مكتوب على جدران التوك توك

بحث اجتماعى ساخر

Looloo
www.dvd4arab.com

كمال سالم عوض

عمرو فتحى

الإهداء

إلى تلك الشموس التى لم تسطع منذ بدء الخليقة إلا فى هذه اللحظات ، إلى الخبيئة التى ادخرتها الأقدار لهذا الوطن ، إلى الذين لا يحتاجون إلى كلماتنا ولا ينتظرون ثناءنا ، إلى هؤلاء الذين أزهروا فى فصول الجدب وأثمروا فى غير أوان الحصاد ، إلى الدماء النورانية التى سالت لتبث براعم الحياة فى شرايين مصر إلى شهداء ثورة الخامس والعشرين من يناير. إلى أهل الشجاعة وصناع الجسارة ، إلى ذلك العبقرى الذى وقف فوق كوبرى قصر النيل يوم جمعة الغضب ورفع يده وكبر ، إلى كل الذين اصطفوا خلفه ليواجهوا القنابل والرصاص بالدعاء والتلاوة ، إلى ذلك العابر الذى وقف أمام مصفحة الأمن ليصد تيار الماء بصدره ، إليكم وأنا أخجل منكم وأتوسل أن تضمونى إلى صفوفكم وأن تجيبوا على هذا السؤال: هل أنتم بشر حقيقيون أم أنكم خلق آخر ؟ تبارك الله أحسن الخالقين .....

Looloo
www.dvd4arab.com

فى انتظار عودة أمن الدولة

انتهيت من هذا الكتاب فى العشرين من يناير. هجعت لإغماضة راحة أسترد خلالها الأنفاس . نمت واستيقظت على الخامس و العشرين من يناير. دعوة عادية لمظاهرة عادية بشعارات عادية ، وحده اليوم كان غير عادى. عيد الشرطة حيث يتبهرجون ويصطفون فى مقاعد تبرق بالنجوم والنسور ليعلن وزيرهم بعض أمجاده التى لا يشعر بها الناس أبدا ويجدد البيعة للرئيس الذى يرد التحية بأحسن منها ويجدد الثقة وينثر آيات التشجيع والحث. قال لى طبيب النساء الذى أعمل معه بعد أن انتهينا من العمليات : هيا نذهب إلى المظاهرة . قلت : لقد تأخرنا ، زمانهم إتخذوا أماكنهم أمام دار القضاء العالى ،كالعادة مئات من المتظاهرين ، يحيطهم كالعادة آلاف من جنود وضباط الأمن المركزى ، بينما كاميرات الفضائيات كالعادة تتنقل بإندفاع بين نفس الوجوه شبه العادية التى لا تمل كالعادة من ترديد نفس الكلام.

لكن وحدها السويس لم تكن تتبنى هذا السخف الذى كنت أعتنقه . لقد صدقت هذه المدينة البائسة الأمر ، استردت أيام حزنها وكرامتها الضائعة ، دخلت مباشرة إلى لجة الثورة ، لم تردعها غابة الألوان المفزعة ، لم تهتز أمام أزرق سيارات الشرطة المقبض ولم ترتعب من أسود عساكر الأمن المركزى المرعب ولم تلتفت لأصفر النسور الظالم الذى يحتل أكتاف الضباط .. إشتبكت السويس دون جس للنبض أو استجلاب لعطف أو رحمة من رجال الشرطة . دخلت السويس مباشرة بقوة و غضب ، قابلت العنف بعنف

Looloo
www.dvd4arab.com

واللكمة بلكمة والرصاص بشهداء كأنهم كانوا يعرفون من قبل دورهم فأتقنوه جيدا بلا تردد . سيطرت المدينة على أقسام الشرطة والمطافئ، وهاجمت بؤر الفساد التى كان رجال الحزب الوطنى يحتلونها . أرسلت المدينة رسائل مباشرة للجميع إنه لقول فصل وما هو بالهزل . تمسك أهل الميدان بالميدان وتلقت البلد قبلة للحياة أفلحت فى دفع أنفاس سخية وعضية إلى الصدر المريض فانتفض وأخذ بشرفات القلب المعتل ليستجمع قوته ويقذف بدماء الثورة فى العروق والأجساد المنهكة ليخرج الشعب من تحت الأنقاض وبه بصيص للحياة ، لا يوجد على ظهر الأرض أروع من خروج الشعب. قالت زوجتى : لقد ضاع تعبك ، لم يعد هذا الكتاب يصلح . قلت : فى ستين داهية الكتاب وكل الكتب ، المهم مصر تقوم وتنهض ، ماذا علينا لو ضاعت الكتب وكسبنا الوطن ، إنها فرصة دخول الجنة بعد أن كنا أيقنا أننا من أصحاب السعير. إننا لأول مرة فى حياتنا نصل لمطار الوطن.

فى ميدان التحرير لم يكن هناك لبلد الكلام وجود ، كانت بلد الفعل وليس أى فعل ، إنه الفعل النورانى المدهش ، كان هناك التاريخ الذى قرأنا عنه كثيرا وشممنا رائحة أوراقه العتيقة ورأينا صوره الباهتة بالأبيض والأسود ، كان هذه المرة متواجدا بشحمه ولحمه يشارك فى الثورة ، أقسم أننى شاهدت التاريخ فى ميدان التحرير ، كان صلصالا من حمأ مسنون ، كان صلصال التاريخ يملأ الميدان وكانت أيدى المصريين تمسك به وتشكله كما تشاء ، أغنيات ، شعارات ، خطب ، دموع ، جموع ، أناشيد ، أحجار ، موانع بدائية لصد البلطجية ، بسمات ، سخريات ، قلق وترقب ، أمل وحلم يراوغ فى التصديق ، كان التاريخ فى الميدان ينفض كل أتربة الماضى ، ينزف كل الأكاذيب ويتخلص من كل الحشرات المتطفلة ، رأيت التاريخ بعينى وهو يشرب ويأكل مع المصريين ، لم يكن يأكل من كنتاكى بل كان يأخذ من يد الأمهات والآباء لقيمات بسيطة يقمن صلبه ، تمر وخبز وقطع بسكويت ، العجيب أن هذا الطعام أفلح فى مسح اللون الأبيض من شعر التاريخ وأخفى التغضنات من وجهه وشد عضلاته وأعاده شابا يافعا ، تلك وصفة سحرية لم يكن الرئيس المخلوع يدرى بها ومن غفلته كان يكتفى بالصبغة الصناعية التى لم تغن عنه شيئا .

فى ميدان التحرير لم تكن هناك بلد الكلام بل كانت بلد الفعل الحق،

لم تكن مصر التى نعرفها على الإطلاق ، بمجرد العبور من حواجز، التفتيش الثورية والولوج إلى ساحات الميدان كنت أشعر أننى فى عالم آخر ، أرض أخرى وسماء أخرى وهواء آخر ، كان الناس يطيرون بلا أجنحة ، أقدامهم لا تلمس الأرض ، عيونهم عصافير الأمل ، حناجرهم قيثارات التسبيح والترانيم ، وجوههم لوحات العزيمة والسمو ، هل هذا ما قال الله عنه ونزعنا ما فى قلوبهم من غل ، لم يكن هناك غل على الإطلاق .

لقد كنا فى مكان من إثنين ، إما ساحة عرفات أو عرصات الجنة ، ليس أقل من ذلك أبدا .

فى ميدان التحرير لم تكن مظاهرة بل قبضة نورانية من يد الإله بسطت فوق الميدان لتقيم خيمة من السكينة والوجد . هنا أدركت أن الجهد الذى بذلته على مدار عامين قد ضاع تماما ، شعرت بالخزى الشديد من مصر وبكيت بغزارة عند أقدامها وأمام عيونها التى كانت تنظر إلىّ بعتاب ، لم تعد مصر بلد الكلام كما كنت أظن بل هى الآن بلد الفعل ، لقد كنا فى غفلة عن هذا حتى كشف عنا فبصرنا اليوم حديد.

لقد كنت أنتظر أو أتوقع مع الكثيرين ما حدث ، تنبأت به فى الكتاب ولكنه تنبؤ المأزومين والمطاردين والمحبطين ، تنبأت به كارثة مرعبة كاسحة، إنتظرته مأساة عسكرية أو إقتصادية أو طائفية ورجحت الانتكاسة الطائفية ولكن كذب المنجمون والمتنبأون وصدق الله ، إننى معكما أسمع وأرى .

امتدت يد الله لتدير الأقدار بسمفونية ليس لإبداعها حدود ونغمات سماوية أخذت بالجميع إلى طريق الفلاح والعزم والإنطلاق إلى محيطات الحرية ، آه ما أطعم وما ألذ طعم الحرية.

لكن فى يوم الأربعاء الثانى من فبراير لم أذهب للتحرير ، كنت مرهقا من المظاهرة المليونية فى اليوم السابق وكنت قد صدقت الرئيس السابق عندما خرج علينا بحديث كاذب ، ذهبت إلى عملى وفى الطريق كنت أستمع إلى الإذاعة المصرية وكانت تتابع حشود التأييد التى حاول ذيول وخرابيح النظام بعثها فى الشارع المصرى علها تفلح فى دفع الطوفان ، كان المذيع فى الأستوديو يتابع مع المراسل الذى يقف أمام باب التليفزيون ، ويسأل المذيع : كم عدد المتظاهرين المؤيدين ؟ فيجيب المراسل : إن عددهم يقترب من الألف متظاهر لكنهم فى طريقهم ليصبحوا خمسة ملايين . ثم

www.dvd4arab.com

يمد أحدهم بوزه ليصرخ بجوار المراسل بل عشرة ملايين . آه والله العظيم هكذا . تضايقت ، إنهم بذلك يفقدون هذا الرئيس بعض التعاطف الذى إكتسبه بالأمس ولكننى قلت: إنهم هكذا يعلنون أن كتابى مازالت له فائدة ، مازال لدينا بعض من بلد الكلام . فى طريق عودتى قابلت أتوبيسات ضخمة تحمل صور الرئيس المخلوع وخلفها سيارات سوداء شيروكى لا يركبها إلا نائب الدائرة الذى نجح منذ أيام قليلة بتزوير وقح ، كان يشحن بعض مريديه والمرتزقة ومن يبيعون الوطن بخمسين جنيها . قلت : لابد أنهم ذاهبون لميدان مصطفى محمود للتأييد ثم إكتشفت أنهم ذهبوا للتحرير. وقلت : إذا ما زال لكتابى فائدة .

ثم ظهرت كارثة الخيول والجمال وهطلت نفوس القبح على الميدان فأدركت أن للكتاب فائدة .

إذا مصر ليست كلها فى الميدان ، هناك أعداد ضخمة مازالت تعانى من أمراض كثيرة تناولتها فى الكتاب كما يبدو أن القبضة النورانية لم تشع فى كثير من النفوس المريضة التى تحتاج لصبر وحلم ومداواة مستمرة . فى تلك الأثناء ذهب أخى للشئون الإجتماعية فى مدينة شبين القناطر لإتخاذ إجراءات إشهار جمعية لحماية البيئة فى القرية التى نقطنها ، كنا نحاول منذ عامين ، لكن مباحث أمن الدولة فى مكتب أبى زعبل كانت لنا بالمرصاد ، كلما تقدمنا بالأوراق رفضتها أمن الدولة . لماذا يا سعادة الباشا ؟ الباشا لم يكن يرد أو يفسر ، نحن فقط نُسأل عما نعمل وهم لا يُسألون، لكن أحد البصاصين قال لنا : إن أحد أثرياء القرية على علاقة طيبة مع الضابط ، إنه يغرقه فى زجاجات العطر وأجهزة المحمول والهدايا الفاخرة وأن هذا الثرى لا يريد أن يتميز أحد من أهل القرية بأى عمل سياسى أو إجتماعى ليبقى هو اللافتة البراقة وسط المجتمع القروى العظيم لذلك فلن ترى جمعيتنا النور طالما بقى هذا الضابط يحكم المنطقة ، تركنا همومنا لله وقلنا علّه يغيرها من فوق.

عندما ذهب أخى بأمل وفرحة وحرية مابعد الخامس والعشرين من يناير وجد مدير الشئون الإجتماعية يقول له : لن أسمح لك بجمعية إلا بعد موافقة أمن الدولة ؟ فقال له أخى : وأين هى أمن الدولة ، إنهم هاربون ومختبئون . فقال المدير: سوف يعودون أم أنكم تستغلون الفرصة . هنا أدركت أن كتابى يصلح ويصلح .

فى خضم الثورة والقلوب لدى الحناجر والشرايين متصلبة من القلق على مستقبل الوطن سارع الذين لا يعرفون وطنا غير أنفسهم ومصالحهم إلى التعدى على الأرض الزراعية ، أقاموا البيوت وزرعوا أعمدة الخرسانة عوضا عن الأشجار ، كانوا يستغلون فرصة غياب الرقابة فى وقت يستحى فيه الشيطان من ذلك ، وهنا أدركت أن للكتاب فائدة .

فى مساء الخميس العاشر من فبراير كانت أجواء الميدان مفعمة بالفرح والحبور . تسربت أنباء عن تنحى الرئيس ، شعر كل من فى الميدان بشعور رائع ، إنها ليلة (الوقفة) وغدا العيد ، إنها ليلة (الحنة) وغدا الزفاف ، توقفت الشعارات وانطلقت الأغنيات الوطنية تصدح فى كل مكان ، ثم جاء الخطاب ، طويل وممل وعقيم ، تماما كحكم الرئيس ، رفعت الأحذية فى الأيدى قبل أن ينتهى الخطاب واشتعل الميدان بالغضب ودارت الحناجر بهتافات فزعة وعصبية . نزل الناس من البيوت بملابس النوم وجاءوا إلى الميدان وصار الزحام غاية فى الصعوبة والشدة . خرجت إلى شارع شامبليون وجلست على الرصيف ، كنت أوقن أنه سيرحل ولكنه بعناده يعطينا فرصة أخرى للمكوث فى الميدان لمدة أطول . بعد ساعتين من الهتاف المشتعل ، انصرف الكثيرون وبدأت الحياة فى الميدان تهدأ فعدت إلى الساحات وتوقفت أمام منصة فنانى وأدباء الثورة . كانت فرصة لراحة الأعصاب وطرد الغضب . توالت الأغنيات الوطنية بصورة هادئة وممتعة ثم أعلن المنظمون عن صعود السيدة عزة بلبع . سعدت لأننى لا محالة سأستمع لأغنيات أحمد فؤاد نجم فقد كانت عزة زوجة له . قدمت عدة أغنيات ثم أعلنت أنها ستغنى (بقرة حاحا) وطلبت أن نردد خلفها. أخذنا نردد الأغنية بحماس ونحن نحلق فى أجواء تاريخية قرأنا عنها ولم نعايشها مثل مظاهرات الطلبة عام ١٩٧٢ وأحداث يناير عام ١٩٧٧ ثم فجأة وجدت أحد الشباب الواقفين يترك كل الآلاف الموجودة فى الميدان ويتجه نحوى ثم يقول بحدة : بذمتك منتش مكسوف من نفسك وانت عمال تقول حاحا. أصبت بصاعقة فلم أرد لكنه عاد يقول : إحنا فى ثورة ولا فى كباريه. كانت ملامحه ضخمة وعرة والغضب يفترش وجهه بحرية وشدة ، له لحية خفيفة ويلبس فى رأسه طاقية صوف اختفت منذ زمن طويل ، تملكتنى روح الميدان فتبسمت وكظمت الغيظ وأخذت أوضح له ما تعنيه الكلمات فبدأ يتفهم لكنه عاد ليعترض على وجود مثل هذه المرأة وسطنا .

www.dvd4arab.com

فعدت أوضح له أنها (مطربة) وليس لديها ما تقدمه غير الغناء وأنها أفضل من (مطربات) غيرها وقفن ضد الثورة ، فهدأ نسبيا لكننى فوجئت بقنبلة أخرى تنفجر فى وجهى ، كان صديقه الذى يقف بجواره ، كأنه لم يسمع شيئا مما قلته فإذا به يصرخ فى وجهى كأن هذا الميدان أنشىء خصيصا لى ، وقال : إيه الهبل اللى أنتم عاملين تقولوه ده ؟ فنظر إليه صديقه الأول وقال : بس بس أنا فهمت ، البقرة يعنى مصر . وهنا أدركت أن لكتابى فائدة . إن الثورة إذا كانت ذهبت بنظام فاسد فهى لم ولن تقوى على محو آثار فساده من المجتمع بسهولة ويسر ، الأمر أشد وأصعب . إننا فى حاجة لثورات وثورات لإعادة بناء الإنسان المصرى وترميم شخصيته ، هذا هو التحدى ، نحن فى حاجة للكشف عن كل أعضاء مصر ، يجب أن نعرى الجسد بلا خجل أو حياء حتى يتعرض للفحص والأشعة والتحاليل وحتى نستطيع أن نصل لدواء ناجع ، الأمر شاق وصعب ولكنه ليس مستحيلا ،فقد عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، نسأل الله العون ..

كنا

- من الموسكى لسوق الحميدية
- مقدرش على كده ومقام السيدة
- نزيه يا مرور بلدنا
- نصر من الله وفتح قريب
- احترم الكبير واعطف على الصغير
- فلسطين عروس ومهرها الدم
- العيشة منجهة والحياة أبهة
- الله أكبر النصر للعرب
- حسنية أخت كوثر
- عاتب اخاك بالاحسان ورد شره بالإنعام عليه .

.....

عبارات وردت فى كتاب
(هتاف الصامتين) للدكتور سيد عويس
الصادر بداية السبعينيات

Looloo
www.dvd4arab.com

أصبحنا

- إوعى تجرى ورايا أختك راكبة معايا
- صاحب كلب يحرسك ما تصاحبش بنت تحبسك
- إحنا الحكومة
- صاحبك مصلحتك
- عايز تعيش ما تعدنيش
- حطوا ايديكوا تحت رجليكوا ده وزه هيـــدوس عليكوا
- الكويس بيتكيس
- الحب زمنه فات والبنات زى المداسات
- هتترسموا عليا هدوسكوا برجليا
- احترس عسلية مفترس .

الفصل الأول

قبل ركوب التوك توك

Looloo
www.dvd4arab.com

هل وئدت الفكرة أم أفسدت الطعم ؟ هل وضعت الملح عوضا عن السكر وهل كنت أستطيع فعل غير ذلك ؟ هل كانت الفكرة جميلة ومهمة والقضية جديرة وجادة ثم جاءت معالجتى ضعيفة وسطحية ، معذرة ، لم أقصد سوى النفع ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت . قدمت جهدى وما تراءى لى ثم علىّ الإنصراف الآن . العمل بين أيديكم لكم كل الحرية الخالصة - وما أقلها فى حياتنا - فى قبوله أو رفضه ، فى تهنئته أو جلده .. لقد خرج إلى الحياة كطفل رضيع ، أبدا لن يعود إلى رحم أمه سواء كان طفلا سويا أو معاقا أو حتى خديج . لقد ظللت أجمع عبارات التوك توك لمدة تقترب من العامين ، لم أكن فى عجلة من أمرى ، كنت أعمل فى هدوء وأناة وكان ينتابنى شعور غامض أننى أحرث فى غير حقلى وكنت مستعدا تماما لترك الساحة لأول قادم يدعى مجرد إدعاء أنه صاحب الحقل ، لكن ذلك لم يحدث أبدا ، لم أجد مفرا من مواصلة العمل بطريقتى دون خوف من موسم الحصاد . عامان كنت خلالهما أتابع شذرات عشوائية لكتابات بسيطة عن الظاهرة فى الصحف والمجلات وعلى صفحات الشبكة العنكبوتية .

كانت هذه الإهتمامات تشجعنى وتثبت لى أننى ربما أكون على حق تماما فى إهتمامى بهذه الظاهرة ومتابعتى لها وأنها تستحق أن تختص بدراسة منفصلة ومكثفة ومركزة. أخذت على عاتقى القيام بهذه الدراسة وما أنا بدارس . كنت أتوقع فى كل لحظة أن يخرج أحد الدارسين المتخصصين بدراسة حقيقية وعلمية عن الظاهرة فيكفينى مئونة الكتابة ويرفع عنى مغبة إمساك القلم ومعاناة لقاء الأوراق وهى معاناة لو تعلمون عظيمة. لكن يبدو أنهم كانوا فى شغل عن مثل هذه الكتابات لذلك لم أجد مفرا من النزول إلى الحلبة وملاكمة هذه الظاهرة بشجاعة غير مدربة

www.dvd4arab.com

وغير ذات شكيمة لكن هل كان فى وسعى غير ذلك؟

كانت العبارات تتكاثر وتتناسل كحشرات النمل بدأب وإتقان. وماكينات التوك توك تسود وتنتشر وتحتل فى كل يوم مساحات جديدة من الشوارع كما أن شباب التوك توك كانوا يجددون فى كتاباتهم بصورة مدهشة ومتجددة وسريعة. كانت العبارات تظهر وتختفى لتحتل عبارات جديدة مكانها كما لو كانوا متفرغين تماما لهذا الأمر أو كأن جدران التوك توك هى صفحات لمجلات موسمية لابد لها كل حين من عناوين جديدة كما أن الظاهرة كانت آخذة فى الإنتشار بشدة لدرجة أنه أصبح من النادر للغاية أن نجد توك توك دون عبارات فوق جدرانه. كما أننى لاحظت أن الكتابة فوق جدران التوك توك ليست مغلقة فقط على التوك توك الذى يسير فى المنطقة التى أقطنها من دلتا مصر بل كانت موجودة فوق التوك توك الذى يزحف ويترنح فى عشوائيات العاصمة وكذلك فوق التوك توك المتغلغل فى محافظات مصر المختلفة ، رصدت كتابات توك توكيه فى محافظات الجيزة والأسكندرية والبحيرة وقام بعض زملائى بتتبع الظاهرة - بعد أن صدعت رءوسهم بالحديث عنها - وسجلوا عبارات فى أماكن مختلفة وأحضروها لى بل أننى وجدت التوك توك قد سبقنى إلى إقليم دارفور عندما ذهبت إلى هناك فى قافلة طبية تابعة لإتحاد الأطباء العرب ، كان التوك توك موجودا فى دارفور وفى الخرطوم عاصمة السودان ، ليس بالكثرة التى نراها هنا ولكنه كان موجودا وكان يحمل أيضا عبارات فوق جدرانه ، نعم لم يكن هناك تنوع وتدفق فى العبارات كما الحال فى مصر بل كانت كلها تحمل عبارة واحدة هى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ولكنها كتابة على أية حال . هل لا يكتمل عمل التوك توك إلا بتسجيل عبارات فوق جدرانه ؟ ترى ما الحال فى الهند بلد التوك توك الأول ؟

أخذت أجمع العبارات وأسجلها دون خطة واضحة أو بارقة ضوء فيما يجب عمله عقب ذلك. كل ما كنت أدركه أن هذه العبارات يجب أن تسجل وتدرس ، لكن ما هى طبيعة الدراسة وما طريقتها وخطتها ؟ ، لم يكن ذلك حاضرا لكننى كنت أسير بشعور غامض أننى سأجد عند لحظة زمنية محددة طريقة ما للولوج إلى ثنايا هذه الدراسة غير أن الهدف من الدراسة كان واضحا تماما فى مخيلتى ، لقد كنت أنطلق من حب خالص لهذا الوطن لكنه حب بكل أسف ممتزج بشجن الفقد وبالأسى والرثاء من

الحاضر والرعب والفزع من القادم. دفعنى عشقى لبلادى إلى خوض هذه التجربة لكننى لم أكن أمتلك أية مواصفات للعمل ، كل ما كنت أستطيعه هو جمع العبارات .....

عندما سئلت المبدعة الرائعة رضوى عاشور فى حديث صحفى عن كيفية جلوسها للكتابة وهل تكون الأحداث التى ستخطها واضحة فى ذهنها قبل البدء فى هذه الجراحة المضنية أجابت بأنها عندما تجلس أمام (الكيبى بورد) لا تكون الأحداث سافرة أمامها ولكنها تأتيها من فيض اللحظة وأنها عندما تخرج من هذا المخاض لا تدرى شيئا عما ستكتبه فى الغد. هل كنت كذلك ، وهل يجوز لى أن أتشبه برضوى عاشور ؟ حاشا لله، إن لمبة الكيروسين لا تجرؤ يوما أن تناطح الشمس ، إنه حمق ، لكننى كنت بحق أجلس أمام صفحات العبارات التى سجلتها لا أدرى ماذا أفعل بها، أظل أجرى بالماوس بطول الصفحات أطالع العبارات علها تفيض على بضوء حتى لو كان شاحبا ، لكن يبدو أن الحمل لم تكن أطواره قد كملت ، ثم رويدا رويدا وبعد جهد وجدت ممرا ينفتح أمامى لتنساب جرعات قليلة من الحركة فى أعصابى ودفقات من الحيوية فبدأت أعمل حتى إذا ما جفت انقطع العمل لفترة ثم تعود الحركة من جديد.

كنت أجمع العبارات وأسجلها دون أن أدرى أن هرمنا المصرى الشامخ (سيد عويس) قد كتب دراسته الراسخة (هتاف الصامتين) فى ظاهرة مشابهة ، هذا ما يطلق عليه قلة علم . كانت أذنى قد اصطدمت بعنوان الدراسة من قبل ولم تتح لعينى لذة مطالعتها ، وهذا ما يطلق عليه قلة ثقافة . لقد كنت نتيجة اللبث أعتقد أن هتاف الصامتين تعالج الرسائل المرسلة من المصريين إلى الإمام الشافعى ، لم أكن أعلم أن هذه الأخيرة دراسة منفصلة تماما فى موضوع آخر، وهذا ما يطلق عليه قلة وعى ، حتى تفضل مولانا يحيى الرخاوى بالأخذ بيدى الواهنة عندما تحدث فى مقالة له فى جريدة الدستور عن كتابات التوك توك وأشار إلى تحفة سيدنا (سيد عويس) المسماة هتاف الصامتين هنا أدركت الحقيقة ، إدراكا متأخرا ناتجا عما يطلق عليه قلة فهم. عندما ذهبت إلى فريدة وتحفة سيد عويس وجدت أنه يتحدث عن ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات فى المجتمع المصرى خلال الفترة من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٧٠ . لقد كان يكتب قبل أن تأذن لى الأقدار بالوصول إلى ممار الأرض ، كنت فى ذلك

www.dvd4arab.com

الوقت نسيا منسيا. لقد بدأت الكتابة بعد هذه الدراسة الفائقة بأربعين سنة لذلك لم أجد غضاضة فى الإستمرار تحت دفعة من ظنون توسوس لى بأن دراستى - الواهنة- قد تصلح إذا سمح لها بالظهور بجوار دراسة عويس الكاسحة فى توضيح بعض الفروق التى حدثت للمجتمع المصرى خلال أربعين عاما ، مجرد ظنون وليس كل الظن إثم. إننى أكتب بعد أربعين عاما من الكتابة الأولى ، وهى فترة ليست قصيرة ، أربعون عاما أحدثت فى مجتمعنا صدمات هائلة تكفى أربعة قرون.

لقد كتب سيد عويس دراسة علمية خالصة مسلحة بكل ترسانة الدراسات العلمية من موضوع واضح ومحدد للدراسة وخطة للعمل وأسلوب صحيح لتسجيل البيانات والفحص والتحليل السليم للنتائج مع الإستعانة بالجداول والخطوط البيانية والنسب الدقيقة بينما كتبت أنا بطريقة عشوائية تسير بالفطرة وتعتمد على نية صادقة فى إضاءة بقعة نور لهذا الوطن وكما يعلم الجميع أن الأعمال بالنيات. لقد كانت كتابتى أشبه بالتوك توك بسيطة وعفوية وخالية من القيود البحثية والأكاديمية وتتسلح بكثير من العشوائية التى إكتسبها التوك توك ملك العشوائيات . إننى لا أريد أن أتقدم بدراسة علمية بل أرغب فى إطلاق صرخة تحذير وآهة خوف ووخزة قلق . كتب سيد عويس بعد هزيمة يونيو بدافع من الشعور بالخطيئة وبرغبة فى مواجهة النكبة بعمل جاد بينما أكتب بدافع الخوف والروع من حدوث نكبة جديدة ، نكبة تتشكل ملامحها الشنيعة فى الأفق القريب ، ليس شرطا نكبة عسكرية مثل تلك التى عانى منها المجتمع عام ١٩٦٧ ولكن النكبة التى أرتعد من حدوثها تبدو نكبة مغايرة ، قد تكون نكبة أخلاقية أو إجتماعية أو طائفية ، ربنا يستر.

كتب سيد عويس حبا وولها ليتعرف على بعض ملامح المجتمع فى الوقت الراهن - وقت دراسته - لكى يتعرف على ما هو كائن ليستطيع مواجهته وتغييره ، لقد كان لديه رغم النكسة قدرة على البحث وثقة فى حاضره وإنتظار ثمين ومشع لقادمه بينما أنا أكتب بثقة مهتزة بعنف فى الحاضر ولا ثقة بتاتا فى المستقبل ، إننى بكل رعب أخشى المستقبل ، أشعر أن مصر تنزلق إلى بحر عميق ، فى كل يوم وربما فى كل ساعة تهبط إلى عمق أخطر من قدرتها على السباحة. كتب سيد عويس عن أسلوب المصريين فى مواجهة المجهول بينما أكتب أنا بينما يقف المصريون

أمام المجهول ذات نفسه. كتب سيد عويس عن الصامتين فى المجتمع المصرى أولئك الذين - أيام زمان - كانت ترتفع أصواتهم فى الصلاة وعند الدعاء وفى حلقات الذكر وفى رحاب المساجد والكنائس بينما أنا أكتب عن الهاتفين الذين تجلجل أصواتهم فى المشاجرات وفى طوابير الخبز وتحرشات وسط البلد ومظاهرات المعاشات المبكرة والأفراح المتبجحة وكاسيتات الميكروباص ومحلات العصير وزنقات اشارات المرور ، أكتب عن الزاعقين فوق منابر المساجد وعظات الكنائس الداعين إلى إشعال النيران وكسر العظام وإكتساح كل جوانب الوطن فقط لمجرد تسرب مقطع فيديو تافه لا يدرك أحد مصدره عن شاب مسلم يعاكس فتاة مسيحية أو العكس.. أكتب عن الحناجر التى تتسع وتستطيل لسب شركاء الوطن الأهل والجيران عند أدنى إشاعة غادرة. عندما كتب سيد عويس لم يكن يشعر بالإغتراب رغم النكسة ورغم أنه لم يكن راضيا كل الرضا عن الوطن وكان أحيانا نافرا غاضبا إلا أنه كتب عن روح مصر الخالدة بينما أكتب أنا وجرثومة الإغتراب تكاد تجهز على ما بقى فى عروقى من حياة ، تلك الجرثومة المستفحلة التى تكتسح فى غيها روح المصريين جميعا.

لقد اهتم المبدع عويس بنوعية المركبات وقسمها إلى أنواع مثل الملاكى والأجرة وحتى عربات الأكل وبيع الفاكهة والحلوى ، بينما أنا أكتب فقط عن العبارات المسجلة فوق التوك توك الذى لم يكن أحد قد فكر فيه فى تلك الأيام .

لم أسجل عبارات من فوق السيارات لأن أصحاب السيارات فى خضم التحولات التى اعترت المجتمع لم يعودوا يسجلون شيئا فوق جدران سياراتهم . كما اعتنى الدكتور سيد عويس بالتبعية الإدراية لهذه السيارات والمحافظات التى كانت فيها السيارات وقت جمع العبارات ثم اعتنى بالكلمات ومدى تكرارها وشكل هذه الكلمات مثل الأسماء والدعوات والإبتهالات والتحذيرات ومضمونها الشعبى أو الدينى ، لقد كان سيد عويس يعمل بطريقة علمية منظمة ، شغل معلمين كبار . بينما أخذت أنا سبيلا مغايرا تماما إعتمد فقط على وحدة الموضوع بحيث تأتلف العبارات التى تتشابه فى موضوع واحد مع بعضها البعض ، شغل صبيان . لقد اعتمدت بشدة على جهد أهل التوك توك فى رصد الكلمات واكتفيت فى أوقات كثيرة بعبقريتهم فى سطر كلمات وعبارات غريبة

Looloo
www.dvd4arab.com

عبارات كثيرة جدا عند الدكتور عويس كانت تتكون من مقاطع من الأغنيات المصرية التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت ، كان المصريون - رغم الهزيمة المرة - لديهم القدرة على الإستماع للأغنيات وتذوقها وقطف بعض جملها و تسجيلها فوق جدران المركبات ، كان الإبداع الفنى فى أوجه ، إبداع شامل فى التأليف والتلحين والغناء وبالطبع كان يقابله إبداع فى الإستماع ، نعم الإستماع يحتاج إلى إبداع . الآن وفى دراستى لم أجد أية عبارات من الأغانى ، لم يهتم شباب التوك توك بذلك ، رغم انتشار قنوات التليفزيون والمحطات الفضائية والنت وزيادة فرص الإستماع لم يسجل أحد عبارات من الأغانى ، هل توقف المصريون عن سماع الأغنيات ؟ هل تقلصت مساحات الفرح والبهجة داخلهم فلم يعودوا يعبأون بأغنية أو كلمة شعر أم أن الأغنيات المنتجة حاليا غدت من السطحية والركاكة بحيث لا تستحق أن تسجل ، إنها لا تعلق بالأذن أو القلب فكيف يعلقها أحد فوق جدران توك توك صغير؟ لقد صنف الدكتور سيد عويس العبارات والكلمات التى جمعها فى ثلاثة أشكال هى الأشكال الشعبية والأشكال الدينية والأشكال الأخرى . تضمنت الأشكال الشعبية أجزاء من أغان مصرية وتعبيرات شعبية وتحذيرات وأمثال ونصائح وتضمنت الأشكال الدينية دعوات وابتهالات وآيات قرآنية وأحاديث نبوية وآيات من الكتاب المقدس .

تحدث سيد عويس عن الأمثال والنصائح والتحيات والتحذيرات بينما تتحدث عباراتى عن المشاجرات والجروح والعصابات والذئاب. جمع الدكتور عويس ألف عبارة لم يرد للكلب ذكر فيها سوى مرة واحدة فى عبارة هى مثل شعبى صامد يقول (نهيتك ما انتهيت والطبع فيك غالب وديل الكلب ما ينعدل) بينما جمعت ما يقرب من سبعمائة عبارة تكتظ بالكلاب النابحة والعاوية والضالة وتتحدث كثيرا عن العصابة والمافيا وتعج بعبارات سب وقذف يندى لها الجبين .

لم يرد عند الدكتور عويس كلمة (أخت) أبدا ، لم يكن المجتمع حينذاك يتجرأ على التعرض للنساء بكلمة نابية ، كان مجتمعا غاية فى الذوق والإحتشام بينما كان سبب رصدى لظاهرة الكتابة فوق التوك توك عبارة تقول (إوعى تجرى ورايا أختك راكبة معايا) بينما تقول عبارة أخرى (مطلوب مدام للعمل) ، يعنى إيه ؟ يعنى جرأة وبجاحة وخمول فى

الأخلاق.

كانت عبارات درء الحسد والخوف منه عند الدكتور سيد عويس ضئيلة وقليلة ولم يعرها اهتماما خاصا ورصدها بسرعة بينما كنت أنا أمتلك عبارات هائلة عن الحسد والعين ومحاولة درئه بكلمات شائكة زاعقة كأنها صواريخ وقنابل ، منتهى العنف والخشونة . لقد أصبح الحسد قوتا يوميا للمصريين ، يخافون ويفزعون من كل نظرة وأدنى كلمة ، وهذا سمت الحريصين على المتع الحسية ودأب المفرطين فى الأنانية كما أنه يتولد نتيجة نقص الحب والود عند الناس ، الحسد كراهية ، كان الناس عند سيد عويس يتواصلون ويفرحون لفرح بعضهم البعض ، يتشاركون فى المناسبات ، ويتقاسمون الأفراح ويطلبون نصيبهم من الأتراح ، الآن تشتت المشاعر وتفرقت الألفة ، لم تعد القرية عائلة واحدة تفرح لفرح الفرد وتحمل حزن الفرد ، عند سيد عويس كانت حالة وفاة واحدة فى قرية أو حارة تؤجل كل الأعراس لمدة طويلة ، الآن يموت لميت وفى اليوم التالى ينصب الجيران الزينة ويحضرون الدى جيه والبانجو للمعازيم.

كتب الدكتور عويس عن عبارات كثيرة موجهة إلى (أهل البيت) للتوسل بهم والتبرك وطلب العون مثل عبارات تقول (مدد يا أم هاشم- مدد يا أهل البيت) لكننى لم أرصد عبارات فى هذا المعنى ولا أدرى السبب ، هل قل ونقص حب المصريين لأهل البيت - أشك كثيرا فى ذلك - أم أن أوجاعهم الكثيرة ومعاناتهم المتدفقة أغشت الأبصار عن طلب العون من أهل البيت أم أن انتشار العلم والمعرفة والثقافة الدينية جعلتهم لا يطلبون العون والمساعدة إلا من الله الذى بيده كل شىء؟.

فى عبارات الدكتور عويس تحدث المصريون منذ أربعين عاما عن حبهم لمصر والعرب ، سجلوا عبارات كثيرة تتمنى النصر للعرب مثل (الله أكبر والنصر للعرب - فلسطين هترجع - فلسطين عروس ومهرها الدم) ، لم يطلبوا النصر لمصر وحدها بل طلبوه للعرب جميعا ، كان العرب جسدا واحدا ، كانت مصر تقودهم وتوحدهم وتأخذ موقع رأس الحربة للفريق ككل ، كما كانت هناك معركة يخوضها الجميع ، معركة توحدهم وتجمعهم وترصدهم نحو هدف واحد ، هدف النصر للجميع ، كان هناك شعور صادق ومتأجج بالقضية الفلسطينية ، الأمل فى استرداد الأرض واليقين أنها لن تعود إلا بالدم .

Looloo
www.dvd4arab.com

بعد أربعين عاما لم أجد أدنى ذكر للعرب فوق جدران التوك توك ، لا أثر للعروبة ولا وجود لفلسطين ، رغم استمرار الصراع وتدفق نهر الدم الفلسطينى على يد العصابات الصهيونية ، رغم اتساع الجراح وتجددها وانتشارها لتشمل العراق والسودان والصومال ، لم يكتب أحد عن الجراح العربية الملتهبة والمهينة ، هل مل الناس أم أن قدرتهم على متابعة الحالة العربية المرضية قد وهنت ؟ هل تمكن الحكام الذين لا يرون غير الإستسلام الخيار الإستراتيجى للحل فى اصابة الناس باليأس والقنوط ؟ هل ضاع الحلم ومسحت الذاكرة وتاه العقل وغاب وثمل بخمر لقمة العيش التى لا يتوقف الصراع من أجلها ، ثم من يقدر الآن على كتابة عبارة تقول (فلسطين عروس ومهرها الدم) هل يسلم من يكتب هذه العبارة من البطش والقهر ؟

كتب سيد عويس عن عاشقين للوطن وللعرب بينما لم أجد هؤلاء أثناء رصدى وبحثى ، كما غاب العرب فقد غابت مصر كثيرا عن أهل التوك توك ، سجلوا آيات كثيرة من القرآن لكن أحدا منهم لم يفكر فى تسجيل أى من آيات القرآن التى ورد فيها اسم مصر ، وهى كثيرة ومشرفة ، لم يسجل أحدهم حتى (إدخلوها بسلام آمنين) رغم أن مصريين سيد عويس كتبوها أكثر من مرة . هل قل الحب نحو الوطن أم انخفضت الوطنية ؟ (ماذا حدث للمصريين؟) ....

لقد حاولت جهدى وإجتهدت فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسى وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء . والباب مفتوح للجميع للعمل والنقد وجسد مصر مترع بالجروح والآلام وهو فى حاجة ماسة لكل الأطباء - ليس البشريين فقط - للعمل على مداواة الجرح وإنقاذ الجسد والروح المثخنين بالإصابات الجسيمة ، لم يمض الوقت بعد ومازالت الفرص سانحة لكن كلما تأخر العمل تعقدت الحالة وتراكم المرض وزاد العبء على فريق الجراحة ، لكن مصر تستحق كل جهد ويرخص أمام بريق وجهها كل عناء..

●●●

وتبقى ملاحظة :

مع انتهاء مرحلة جمع العبارات لاحظت شيئا غريبا يدعو إلى مزيد من الخوف ويعضد الرعب من القادم. لقد كانت عبارات التوك توك تغيض

وجدرانه تبهت وإهتمام أصحابه به يفتر. شعرت أن التوك توك يسرع إلى مراحل العجز والشيخوخة كأنه النعجة دوللى ، شيخوخة مبكرة للغاية ، لم يمض من عمره سوى خمسة أعوام لكنه يبدو كمن خرج على المعاش ، ليس معاشا مبكرا بل نهائيا، لم يعد متوهجا بالبريق واللمعان كما كان عند بداية ظهوره ، قل إهتمام الشباب بتنظيفه وتجميله وترصيعه بالإكسسوارات والشرائط الملونة وأضواء النيون. أهمل التوك توك الذى كان يعامل كأنه أيقونة ثمينة وتحفة فريدة ، كلحت الجدران وبهتت الألوان وتكاثر الغبار ، قدم كل شىء ، تهدلت المقدمة وتغضنت المؤخرة ، أصبح مثل حيوان فى المرحلة الأخيرة قبل الإندثار. هوى صرح العبارات ، وهنت همة الشباب فى جلب عبارات جديدة وتوقف سيل الإبداع كأنه امرأة وصلت لسن اليأس . لم يعودوا يهتمون بسطر عبارات جديدة وتوقفوا تماما عن تجديد العبارات القديمة ، فقدت الحروف المتهاوية اليد الراعية التى تعيد سطرها ، اختلت معانى كلمات كثيرة جراء سقوط بعض حروفها بفعل الزمن والحرارة والتلوث . أصبح التوك توك يسير بإنكسار وغلب كأنه مركبة من زمن قديم . إقترب فى منظره الرث من منظر حيوانات حديقة الحيوان الغارقة فى الرق والإكتئاب .. ترى هل يصاب التوك توك بالإكتئاب ؟.

اختفت البهجة من وجوه الشباب السائقين وجف الحماس وغاب الأمل وصارت المقل عكرة والسحن متهدلة ، بوجه عام جفت الوجوه وغاضت بحيرة الطموح .

ظاهرة تحتاج لدراسة منفصلة لفحصها وإدراك أسبابها . أوجه دعوة صريحة وواضحة ليتقدم أحد ليحمل عباءها ، لا أستطيع فعل ذلك ، إذا كان هناك من يستطيع الكتابة عن شباب مغدورين فى أحلامهم وغدهم فليفعل.

لم يعد التوك توك يساوى همه ، ضاعت السكرة وجاءت الفكرة ، كثرت أعداد التوك توك ، تقلص فرص العمل وشراسة البطالة دفعت الجميع لإمتلاكه بشتى الطرق بحثا عن زيادة فى الدخل ، عمل فوق التوك توك المدرس والمحامى والمهندس والموظف ، تصدى لقيادته الشاب والكهل والهرم ، الكل يبحث عن فرصة لإنعاش الدخل ونزع بعض الشوك من جسد المعيشة الضنك ، لم يحدث ذلك ، لم يكن التوك توك هو مصباح

Loolo
www.dvd4arab.com

علاء الدين ، أخرج دخانا لم يتخلق ماردا بل تشكل صديدا وقيحا لا يتوقف ، أغرقهم فى مشكلات جمة مع رجال المرور وموظفى البلدية والإدارة المحلية ، غرامات ضخمة لا تنتهى ، أعطال وصيانة بدائية على يد فنيين ولجوا إلى العمل دون خبرة تذكر ، هل كان التوك توك موجودا من قبل حتى يكون لدينا خبراء فى صيانته ، إنها الفهلوة والدماغ المصرية التى لا تعترف بصعوبة ولا تقدر دراسة أو تخصصا . تولدت صعوبات كثيرة لملاك التوك توك مع الشباب الذين يعملون عليه ، غياب للصدق وإختفاء للأمانة وفقد للثقة ، لا أحد يريد أن يعطى الآخر حقوقه ، السائق يطمع فى معظم الدخل ظنا منه أنه السبب الرئيسى فى الكسب ومالك التوك توك لا يقنع بما يجلبه له السائق عند نهاية وردية العمل ، تنقل الشباب بين مئات التوك توك ، قل أن تجد سائقا واحدا يستمر فى عمله فوق توك توك واحد ، أضطر أصحاب التوك توك إلى قيادته بأنفسهم فأصبحنا نرى المدرس الذى ينهى عمله فى المدرسة عند الظهر ليمتطى التوك توك فى المساء ، ليس عيبا على الإطلاق لكن كيف سنمرر عدم العيب هذا إلى تلاميذ هذا المدرس عندما يشاهدونه يمد يده للركاب لأخذ أجره فى المساء بينما يبسط نفس اليد فى الصباح لشرح دروسهم . أضطر الكثيرون لبيع التوك توك بخسائر فادحة خلفت ديونا متراكمة ومزيدا من الحاجة والعوز ، دائما جراح البسطاء تتكاثر كأنها قنبلة إنشطارية تزيد حدتها مع تقدمها .

الفصل الثانى

البحث عن الراكب الرابع

Looloo
www.dvd4arab.com

أثناء

دراستى فى الجامعة كنت كبنى وطنى من الطلاب والموظفين (الإقليميين) أعانى بمرارة طاغية كل صباح و ظهيرة من الانتهاك بواسطة وسائل المواصلات. كان محتما التنقل بين ثلاث وسائل مواصلات بعضها محرم صنعه دوليا من أجل الوصول إلى الكلية التى مكثت ثلاث سنوات متصلة أدعو الله صباح مساء أن تنهار على عروشها حتى لا أجد مكانا أذهب إليه ولكن الكلية لم تنهر بل أعصابى هى التى أوشكت على الانفلات وأنا مضطر لاستكمال دراسة الطب وما أدراكم ما بشاعة دراسة الطب بوجه عام وتتفاقم البشاعة عندما تكون تلك الدراسة فى كلية فى الأقاليم.

كانت الرحلة اليومية تبدأ قبل موعد المحاضرات بساعتين و تنتهى بعده بساعتين. أربع ساعات أقضيها فى التنقل من (موقف) إلى آخر وفى انتظار أن يكتمل العدد وفى انتظار اكتمال ما بعد العدد إذ كان السائقون يتميزون بإصرار فائق على شحن السيارة بضعف العدد الذى صممت من أجله فى مصانع اليابان.

كان المقعد الخلفى يمثل - ومازال - مشكلة خبيثة لم تجد أية حلول معها، كان طابور الركاب يتضخم أمام السيارة التالية لكن أحدا لم يجرؤ يوما على الصعود قبل أن تمتلىء السيارة الأولى بما يرغب فيه سائقها من الركاب. موقف السيارات له قانون يشعرك أنك فى بريطانيا أم القوانين. السائقون يجلون بعضهم بعضا ، ويحفظون حق الركاب ، أنهم لا يجبرون أحدا على الصعود ليصبح راكبا رابعا فى الخلف لكنهم أيضا لا يُجبرون على الانطلاق قبل الحصول على العدد الذى يبغون. يقبل الراكب الجديد نشطا مبتهجا بيومه الجديد ، لا يكاد يدنو من باب السيارة حتى يصدم بامتلاء المقاعد فيصيبه التلكؤ لكن السائق يشير له بالصعود إلى الخلف

www.dvd4arab.com

فيرفض الراكب ويرتد للخلف بحثا عن السيارة التالية ، لا يتحدث السائق معه ، لا يحاول إقناعه أو تشجيعه ، لا يتبرم أو يحث ، إنه يترك الراكب للرفض بكل حرية ويبدأ ببرود يحسد عليه البحث عن راكب آخر ، الوقت لا يعنى للسائق أية قيمة ، لديه هدف محدد ، عدد لن يتنازل عنه من الركاب. يتكاثر العدد حول السيارة التالية التى تشبه الكرنبة من طبقات الركاب المحيطين بها بينما لا يمتلك أحدهم الشجاعة على الصعود فى انتظار تحرك السيارة الأولى. الشجاعة غائبة بوضوح عن الركاب الواقفين على الأرض وليس لها ثمة علاقة أبدا بالركاب الجالسين فى انتظار الراكب الرابع . كانوا يجلسون فى هدوء يحسدون هم أيضا عليه كأنهم الورد على الكراسى كما قال العبقرى صلاح جاهين. كانوا فقط يمارسون الأمنيات العارمة داخل أنفسهم فى الحصول على الراكب الرابع حتى ينفض هذا العبث أو يهمسون بدعوات مضغمة تدور وتحوم معظمها على تمنى حدوث كارثة للسيارة و للسائق لكن طبعا بعد نزولهم ، أفضل الحوادث هى تلك التى تصيب السيارات بعد أن نتركها ، أما الأمنية التى لم يتمنوها أبدا فهى ظهور ضابط مرور فى هذه الساعة المباركة من الصباح ليس فقط لأن هذه الأمنية من المستحيلات لكنهم جربوا الركوب مع ضباط من قبل ليس فى سيارات البوكس طبعا ولكن فى السيارات الأجرة وكل ما كان يفعله الضابط أنه يحتل المقعدين الأماميين بمفرده دون أن يجلس أحد بجواره كما أنه كان دائما لا يدفع الأجرة لكن السائق والحق يقال لم يكن يستسلم أبدا لهذا الفساد بل كان يسب الضابط سبا مقذعا يمتد أحيانا إلى أم الضابط وأبيه ، يحدث هذا دائما بعد انصراف الضابط بالطبع.

عقب تحقق المعجزة والحصول على الراكب الرابع للمقعد الخلفى والذى يكون غالبا ممن لا يذهبون لعاصمة الإقليم يوميا مثلنا ولكنه راكب موسمى يذهب للمدينة مجبرا ليؤدى بخشوع وخضوع ما قد يكون عليه من غرامة كهرباء أو مخالفة بناء أو لحضور جلسة فى المحكمة ولا يفرق معه كثيرا وضع المقعد خصوصا وأنه يقصد المدينة لأمر سيىء لن يقلل من سوئه ملاءمة المقعد. تشرئب أعناق كل الركاب داخل السيارة والمنتظرين خارجها إلى صاحب السيادة السائق ليخلص الجميع من حدة هذا الإذلال الصباحى المتئد ويرفع عراقيل التعطل لتكف الدقائق المتسربة عن الضياع،

لكن السائق الذى يدرك جيدا ما يريد ، يفاجىء الجميع بحركة بهلوانية رشيقة يرفع فيها مقعدا صغيرا كان ملقى بجوار السيارة ولم يلاحظه أحد ، مقعد يشبه كرسى الحمام لكنه أكثر ارتفاعا وقوة لأنه مصنوع من أسياخ الحديد وتم تنجيده بفرش يشبه فرش السيارة ، مما يدل على الحس الفنى للسائق، يضعه السائق بجوار الكنبة قبل الأخيرة ثم يستدير ليبحث له عن راكب رابع جديد . يطول البحث هذه المرة ، ويكثر عدد الرافضين للقيام بهذه التضحية ، يتزايد عدد الركاب المنتظرين حول السيارة التالية ويبدأ البعض فى الإلتفاف حول السيارة بعد التالية بينما السائق الأول يواصل الإنتظار بكل معانى الرضا عن النفس ، الراكب الرابع هذه المرة سيعانى أكثر من سابقه الذى يكون أسعد حظا من القادم. الجلوس فى الكنبة الخلفية يضمن استقرارا مناسبا للمقعدة وزنقة توفر دفئا مجانيا فى صباحات الشتاء القارصة وتيارا ناعما من المشاعر المتضادة والمبهجة إذا كانت المجاورة له أنثى أصلية. أما هذا المسكين القادم فستكون رحلته مضنية لأن نصف مقعدته يكون فوق الكرسى الحديدى بينما النصف الأخر يكون فى الفراغ القائم بين مقعده والكنبة مما يحرمه من الالتصاق بمن يجاوره لوجود هذا الفراغ - يتحسر كثيرا هذا المسكين إذا كانت على يساره سيدة جميلة - كما أنه يظل محتفظا بظهره منفردا طوال الطريق حتى لا يقع على من خلفه لأن مقعده بلا مسند وكما أنه يتبرع غالبا بجمع الأجرة من الركاب وتوصيلها للسائق بحكم موقعه المتوسط وقدرته على الإلتفاف للأمام والخلف ، كرسى بلا مسند يا سيدى . ولا يستقر هذا الراكب فى مقعده المنفرد كثيرا إذ إنه يفتح الباب لكل من يريد النزول طوال الطريق بل أحيانا يخرج من السيارة تماما و معه الكرسى العمولة ليسمح لمن يريد من الركاب فى الخلف بالنزول ورغم هذه التضحيات الجليلة فإن الركاب فى الخلف لا يدعونه يجلس بجوارهم عندما ينزل أحدهم إذ سريعا ما ينتفشون ويملأون الكنبة كأنهم لم يكن معهم راكب آخر منذ لحظات وطبعا فى هذه الحالة لا يتدخل السائق أبدا لإراحة هذا الراكب المسكين، لكن الحق أن السائق يتدخل فقط إذا قابله راكب جديد أثناء الطريق فيلتقطه ليصبح راكبا رابعا من جديد.

فى أحوال كثيرة يلعب دور الراكب الرابع أحد أصحاب الشهامة من الركاب الدائمين الذى يحزنه تكدس طلاب الجامعة المتعطلين عن دروسهم

Looloo
www.dvd4arab.com

والموظفين المتأخرين عن أعمالهم أمام السيارة التالية فيضطر إلى التضحية بنفسه حتى تتحرك هذه السيارة اللعينة و يصعد الباقون للسيارة التالية.

إذا كان للرحمة ثمة وجود فى هذا (الموقف) فى تلك الساعة من الصباح فإن السائق يدور حول سيارته ليستعين على الشقاء بالله ويتحرك أما إذا كان كأس البؤس مازال يتسع للمزيد فإن السائق يخرج هذه المرة (حاشية) قذرة ليضعها خلف المقعد الأمامى مباشرة فوق تلك التكأة التى يستقر فوقها المقعد الأمامى ثم يستدير ليبحث لها عن راكب ليس له تصنيف فلا هو رابع ولا ثالث إنه راكب يجلس فى مكان (التباع) الذى غاب اليوم ، راكب يذهب إلى وجهته بظهره ، أما إذا كان التباع موجودا فإن السائق يبحث عن الراكب أيضا بينما يتحول التباع بتلقائية لزاوية قائمة حيث يلصق ظهره بباب السيارة بينما يصنع مظلة فوق الراكب الرابع فى المقعد قبل الأخير ، رائحة عرق التباع تستحق خوض التجربة لمن لم يكن راكبا رابعا من قبل. عندما يكتمل إتقان العمل ويحقق السائق كل مهمته تنطلق السيارة لتدور رحى العمل من جديد فى السيارة التالية حيث يفتح الباب عنوة- أيد كثيرة ممسكة به منذ مدة - وتنحشر الأجسام فى فتحة الباب ويمتزج الذكر بالأنثى والقميص بالبنطلون والعرق بالبارفان والكعب العالى بالكوتشى حتى إذا ما التقى الذين صعدوا من الباب مع من قفزوا من النوافذ وسط فراغ السيارة دارت حبال الجدل والنزال واللوم ثم يضطر عشرة ركاب للنزول لأن السيارة تمتلىء بخمسة عشر راكبا فقط.

كل هذا التعطل والوقت الضائع مع السيارات اليابانى السريعة ذات المقاعد واضحة المعالم أما عندما تتعرض سيارة يدوية لنقل الركاب تكون الكارثة مروعة.

هل هذه سيارات ؟ إنها تشبه من بعيد جدا السيارات ، هل هى حيوانات وحشية موطنها الأصلى موقف السيارات الذى نقصده ؟ إنها تكاد تكون حيوانات غير أنها لا تأكل ، أم أنها لعنة لا يمكن التخلص منها ؟ بقدر كبير من الحقيقة ربما تكون كذلك ، سيارات تشبه عربات نقل الموتى فى الحرب العالمية الثانية ، فتحة الموتور توجد فى جوف السيارة وسط المقاعد، الأبواب من ماركات مختلفة ، لا يشبه باب آخر كما أن كل باب من أبوابها يفتح بطريقة مختلفة تماما ، المصابيح من أحجام متفاوتة والمقاعد

ليس لها وجود بل كنب ضخم متقابل بحيث يجلس الركاب متقابلين ويستطيعون تبادل العناق عند المطبات. كل شىء فى هذه السيارات ليس له علاقة بالأشياء الأخرى ، سيارات لا تدرى كيف صنعوها لكنهم يصنعونها بإصرار صادق ودأب ويزودونها - صراحة - بأحدث أنواع الكاسيت والذى يعرض علينا مطربين مهما حاولنا لم نكن سنتمكن من الاستماع لهم كما أن هذه السيارات تقوم بدورها بإخلاص متناه فى المساهمة فى المشروع القومى لصنع السحابة السوداء. مع هذه السيارات شاهدنا وعايشنا الحوادث الكاملة والحوادث الناقصة كما إننا تجولنا معها فى حقول وقرى المحافظة التى نعيش فيها عندما كان السائقون يتركون الطرق الرئيسية ويخوضون بنا طرقا صغيرة وسط الزراعات ليعبروا قناطر صغيرة لا تكفى لعبور دراجة بخارية هربا من لجان المرور التى كانت وبالا علينا وساهمت كثيرا فى تعطيلنا عن دراستنا لكنها أبدا لم تفلح فى منع هذه السيارات عن العمل.

ذات مرة كنت أجلس فى هذه السيارة بجوار السائق عندما قدمت فتاتان ولم يكن هناك مقاعد فى الخلف ففتح لهما السائق الباب المجاور لى لتصعدا ، غدا المكان ضيقا للغاية وصرت مفروما بين جسد الفتاة على يمينى وجسد السائق على يسارى ولأننى كنت مغفلا كبيرا فى تلك الأيام - تقريبا لا أزال - فقد تزحزحت ناحية السائق حتى أفصل جسمى عن تيار النيران القادم من جسد الشابة ، ظللت التصق بالسائق حتى أصبح (فتيس) السيارة أسفل فخذى ، كان السائق كلما أراد تغيير السرعة يمد يده أسفل فخذى ليبحث عن الفتيس وفى إحدى المرات لم تستطع يده اصطياد الفتيس فاضطر للبحث عنه بعينيه تاركا الطريق فانحرفت السيارة التى كانت تنتظر الفرصة واصطدمت بحاجز الطريق لتنقلب على جانبها ولم أشعر بنفسى إلا والمارة يسحبوننى من خلال الزجاج الأمامى الذى تدمر ، كانت إصابتى بسيطة لكن السائق أصيب إصابة شديدة شغلته- ولله الحمد- عن ملاحقتى لإخفائى الفتيس أسفل فخذى. أما الحوادث الناقصة فكثيرة ، أذكر منها أننى كنت أجلس فوق شىء ما مستدير وسط السيارة- بالطبع ليس مقعدا - كان ظهرى تجاه السائق - كنت أسير بظهرى ومازلت - ووجهى يقابل ركابا آخرين وبعد مسافة من الطريق شعرت بحرارة شديدة تحتى ، كان هذا أمرا عاديا رغم ارتفاع

Looloo
www.dvd4arab.com

درجة الحرارة إلا أننى لم ألق للأمر بالا ولم أنبس بشفة لكن السائق توقف فجأة وطلب منى القيام عن القبة التى كنت أجلس عليها ليرفع غطاء مثل تلك الموجودة فوق فتحات المجارى لنفاجأ بألسنة نيران متصاعدة من جوف السيارة. وسط صراخ السيدات ورعب الرجال قام السائق بعملية الإطفاء بنجاح وهدوء ثم استكمل السير كأن شيئا لم يحدث ، الغريب أن السيارة سارت.

ذات شتاء كانت الطريق موحلة وكانت السيارة تئن مع المطبات حتى إذا ما عبرنا مطبا قوميا أشرف على إقامته أهل إحدى القرى الواقعة على الطريق بحيث لا يجبر السيارات المسرعة على تهدئة السرعة بل ليقوم بتحطيم هذه السيارات مباشرة ، بمجرد عبور المطب وجدت الفتاة المجاورة لى من جهة اليسار تتخلى عن كل خفر الأنثى وتقذف بجسمها فوقى ، حاولت استيعاب الأمر ونهرها عن هذا الفعل الخادش لكننى لم أستطع لأن الرجل الذى كان يجلس على يسارها كان ملقى أيضا فوقها وبالتالى فوقى ، كان شق السيارة الأيسر قد تكوم فوق الشق اليمن ، بعد الصدمة والصرخة عرفنا أن إطار السيارة الأيمن قد انخلع تماما لدى المرور فوق المطب ، هذه المرة توقفت السيارة عن العمل لأنها لن تتمكن من السير على ثلاث إطارات واضطررنا لمواصلة الرحلة فوق موتوسيكل له قارب جانبى لنقل الركاب.

ولا أنسى عندما انخلع مقود السيارة فى يد السائق وظلت السيارة تسير دون سيطرة حتى اصطدمت بجدار أحد المنازل.

كان سائقو هذه السيارات يتمتعون بثقة شديدة فى النفس ورضى لا حدود له ، لم يكونوا يألمون كما يألم الركاب ، ولم يشعروا أبدا بقدر المعاناة المريرة التى يلاقيها الركاب كل يوم ، كانت أمزجة السائقين رائقة منتشية دائما ، يدخنون ويتأنقون بقدر ثقافتهم وبعدهم الإجتماعى ثم لا يعنيهم شيئا بعد ذلك ، كانوا يعيشون حياتهم فى يسر وسهولة ، يعرفون كيف يسكتون رجل الكارتة فى الموقف وكيف يتصرفون مع رجل المرور فى اللجنة وكيف يدركون بسلاسة أماكن الرادار السرية ويصلهم سريعا نبأ وجود أى لجنة على الطريق ، كانوا يتقبلون الأمر بسهولة ويتعاملون معه بسرعة فائقة ، كانت لديهم حلول غزيرة لكل المشاكل بينما لا يملك الركاب أى حلول لوجع واحد من أوجاعهم الكثيرة . بل إنهم عقدوا صداقات مع بعض

الركاب والطلاب ، الحقيقة أن الركاب هم الذين بدأوا بذلك . لجأ بعض الركاب الدائمين من الموظفين وطلاب الجامعة إلى مد حبال الود مع هؤلاء السائقين ، كانت هذه العلاقة مفيدة للغاية لهؤلاء الركاب فقد كان السائق يحجز لهم المقعد الأمامى بجوار الكاسيت حيث يستطيع هؤلاء إخراج شرائط الكاسيت التى يودون سماعها وفرضها على الجميع ثم يعطونها للسائق مشفوعة بترخيم اسمه ليشغلها ، كما أن هذا المقعد هو المقعد الوحيد الذى لا يمكن أن يأخذ أكثر من سعته ، لكن الغريب فى الأمر أن الركاب أنفسهم هم الذين كانوا يضيفون لهذا المقعد فوق طاقته ، فقد كانت الفتيات تركبن ثلاث بدلا من إثنتين ، وبالطبع لم يكن السائق ليعترض فقد توفر له أجر راكب جديد فضلا عن رائحة العطور النسائية التى يشمها والملامسة التى كانت تدفئه فى صباحات الشتاء الباردة ، تدريجيا صار المقعد الأمامى مخصصا فقط للفتيات مما أضطر معه الرجال إلى زيادة درجة النفاق للسائقين حتى يتمكنوا من الجلوس فى الأمام ، بالذمة هل يوجد أحد فى الدنيا ينافق سائق ميكروباص؟ . لقد أدى هذا النفاق إلى زيادة جرأة السائقين فأصبح السائق يصطحب رفيقا له ويجلسه بجواره على نفس المقعد من جهة اليسار ، كان السائق يجلس فوق نصف مقعد بينما يميل جسمه بشدة نحو الفتاة التى تجلس على يمينه بينما باب السيارة مفتوحا يمسكه الرفيق العزيز . لم يكن أحد من بقية الركاب يحتج ، كانوا يشمئزون ويغضبون سرا لكن أحدا لم ينهر سائقا ولم يعبس فى وجه فتاة .

فى هذه السيارات كنت أغرق فى التأمل ، وسط جو الكراهية الغزيرة المحيطة حيث السائق يكره الركاب ، والركاب يكرهون السائق ، والناس فى الشارع يكرهون السائق والركاب ، والسيارات المجاورة تكره سيارتنا بكل من فيها ، وأصحاب المطبات يكرهون كل السيارات العابرة ، وشرطة المرور تكره الجميع ، كنت أنفصل عن الطريق والركاب والسائق وصوت المطرب لأراقب السيارات المنطلقة أمامى وأقرأ العبارات التى يحرص السائقون على كتابتها فوق جوانب السيارات . بدأت أسجل هذه العبارات على أمل أن أكتب عنها دراسة ذات يوم. كنت أدرك طرافة وأهمية الفكرة لكننى لم أكن أعرف كيف أبدأ ، فى هذه اللحظات كنت أتمنى دراسة علم الاجتماع لأتمكن من الكتابة عن هذه الظاهرة بأسلوب صحيح كما كنت ممارست

Looloo
www.dvd4arab.com

أتمنى الكتابة عن تلك الظاهرة الأخرى التى مازالت تشغلنى ، كتابة رسائل نعى فى صفحات الوفيات بجريدة الأهرام موجهة مباشرة للموتى أنفسهم مع أن الموتى- على حد علمى- لا يقرأون الصحف كما أن جريدة الأهرام - تقريبا- لا توزع فى المقابر. لم أكن أعلم شيئا عن الدراسة القيمة للدكتور سيد عويس عن هذه الظاهرة والتى كتبها قبل أربعين عاما ، لكن الفكرة نفسها كانت تسيطر على عقلى ، ربما توارد خواطر .

لم أنجح فى دراسة علم الاجتماع وتوقفت عن جمع عبارات السيارات وضاع مع زخم الحياة ما جمعت من عبارات كما إننى لم أفلح سوى فى كتابة روشتات للمرضى المصابين بنزلات البرد والإسهال وأخذتنى الحياة الجافة التى أحياها مع بقية المصريين تحت أسنانها الحادة وانغمست معهم فى مطاردة لقمة العيش - لا أدرى متى ستتوقف هذه المطاردة اللعينة - وتوفير سبل الحياة اللئيمة للأسرة الكريمة. لم أسجل شيئا عن أدب رجال الميكروباص المنقوش على سياراتهم . اكتفيت بقراءة إبداعاتهم كل صباح ونسيانها عند المساء حتى ظهر عجيبة الزمان ومحطم كل قواعد الأمان وصديق الإنسان المصرى الغلبان فى النجوع و الكفور والغيطان وملك دنيا العشوائيات وأمير الشوارع الضيقة والحارات ، التوك توك أبو ثلاث عجلات ....

الفصل الثالث

بين الميكروباص والتوك توك

Looloo
www.dvd4arab.com

بدأ رجال الميكروباص وغيرهم من أصحاب السيارات الكتابة على جدران المركبات ، لفتت الظاهرة نظر العبقرى سيد عويس فتصدى لها وقام بواجبه على خير وجه ، ثم استمرت الكتابة بينما توقف الرصد والبحث . ثم ظهر التوك توك فقلد أصحابه من سبقوهم ، لكن الأمر لم يكن أبدا استكمالا لمسيرة الكتابة فوق السيارات ولم يكن تشبها ، هناك إختلافات كثيرة فيما كتبه التوك توك عما كتبه غيره . وهناك فروق شاسعة فى البناء والتصميم بين الميكروباص والتوك توك ، الاختلافات بينهما جمة فى الشكل والسعر والحجم وقوة الموتور وعدد الركاب والربح القادم. كما يوجد خلاف جوهرى فى الفئة العمرية التى تتصدى لقيادة كل منهما .

يغلب على قائدى الميكروباص تقدم العمر ، غالبا رجال تعدوا الأربعين وتأخذنا السنون حتى إننا نستطيع أن نرصد شيوخا يقودون الميكروباص. وحتى إذا تعرض الشباب لقيادة الميكروباص فهم الشباب الناضج الذين تعدوا الثلاثين وتزوجوا وأنجبوا بينما يسيطر على قيادة التوك توك الشباب ما قبل العشرين وهم الأغلبية و يتدرج العمر فى الانخفاض حتى يصل إلى أطفال المرحلة الابتدائية ولكنه لا يصعد أبدا تجاه الفئة العمرية الأعلى. نادرا ما نجد رجلا ناضجا يقود توك توك إلا رجلا اشترى توك توك كمشروع تجارى فتولى السائقون الشباب سرقة الدخل و تدمير التوك توك بالرعونة والطيش أثناء القيادة حتى يحولوا(الماكينة) - هكذا يطلقون على التوك توك- إلى قطعة خردة فيضطر هذا الرجل المسكين لقيادة الماكينة بنفسه لإنقاذ مشروعه من كارثة كاسحة.

كما أن الميكروباص سعرها مرتفع جدا لكنها تكسب أكثر وغالبا ما يتملكها المصريون عن طريق أقساط تسدد للبنوك وصالات السيارات التى

www.dvd4arab.com

لا تتهاون فى سحب السيارة عندما يتوقف صاحبها عن الدفع لذلك من يشتريها يحرص على قيادتها وإذا لم يكن لديه القدرة فإنه يعتنى للغاية بمن سيقودها ولا يهبها إلا للناضجين من السائقين عكس التوك توك الذى يمكن اقتناؤه من قبل الكثيرين من الأسر المتوسطة ومن يمتون للفقراء بصلة قرابة إذ تكفى جمعية من الجمعيات الشهرية التى تسرى فى حياة المصريين مسرى الدم من العروق بجوار بيع قطع الصيغة المتخلفة من رحلة الزواج بمعاونة قرض صغير من بنك الائتمان الزراعى ليكتمل ثمن التوك توك ويتسلمه أحد أفراد الأسرة الذى لم يفلح تعليميا ليمرح به فى الطرقات البائسة. كما طفت على سطح الحياة فئة جديدة من ملاك التوك توك ، فئة جمعت أموالا جمة بطريق تتصف ببعض اليسر مع غياب الوعى الإقتصادى وأهمية دور المال فى خدمة المجتمع لديهم ، فئة المهنيين الذين يمموا وجوههم شطر دول الخليج من أطباء و مدرسين وصناع ، بذلوا سنوات عمرهم وتجرعوا كئوس الغربة من أجل جمع أكبر قدر من المال ، هؤلاء تتشغل أذهان أغلبهم باستثمار أموالهم النفطية بطريقة آمنة سلسة ولا تجلب النفع إلا لأنفسهم ، لا تغامر هذه الأموال فى مشروع إنتاجى يخدم المجتمع بصدق أو يعود بالنفع على البيئة المحيطة ، لا يقدم أحدهم على إنشاء مصنع قروى صغير أو ورشة لإنتاج سلعة محلية أو مزرعة حيوانات أو معمل ألبان ، كل مشروعاتهم استهلاكية ضحلة تساهم فى تقوية نزف الإنسان المصرى المسكين كمحلات الموبايلات والسوبر ماركت وسنتر الملابس وبعض التوك توك يرصها صاحبها أو من ينوب ليقودها الشباب الباحث عن الجنيه طوال النهار والليل.

ساهم هؤلاء بأموالهم الخائفة فى نشر التوك توك فى حوارى وعشوائيات مصرنا المحروسة فكثر العدد وسهل الحصول على فرصة عمل لدى الشباب فتمنعوا وأصابهم الكسل والوهن ، بوسع كل شاب أن يجد دائما توك توك فى انتظاره .

ويختلف أيضا التوك توك عن الميكروباص فى أن الميكروباص تكسب سائقها درجة أعلى من الاحترام الذى لا ندرى مصدره أو سببه بحيث أصبح أهل الميكروباص يشعرون أنهم مميزون بدرجة ما - هم أنفسهم لا يستطيعون تحديدها- عن رجال التوك توك ، ينظر سائق الميكروباص أو السيارة النقل إلى التوك توك نظرة دونية حقيرة ، ربما يكون اختلاف

الحجم ، وفى مجتمع مثل المجتمع المصرى الذى يميل معظم أفراده إلى إجلال الأحجام الكبيرة فى كل الخيارات وتنتابه محنة تضخيم الذات والامتلاء بالتميز يمكننا أن نشخص سبب هذه النظرة . لا توجد فئة فى المجتمع المصرى لا يداخلها شعور بأن الله ميزها فى الخلق عن الآخرين ، الكل يشعر أنه حجر زاوية العالم لو مال لأنفض سامر العالم ولأخرجت الأرض أثقالها ، كل هذا على إيه ، مش عارف. الأطباء يداخلهم إحساس أنهم أفضل من فى المجتمع - قشدة المجتمع - بينما يشعر رجال الشرطة أنهم باشاوات هذا الوطن والباقون أفندية بينما رجال الفن والكرة هم النجوم والمدرسون رغم تردى حالتهم هم السبب فى تفوق الجميع ويستحقون أكثر من هذا، بينما رجال القضاء يداهمهم الشعور بنقاء دمائهم عن بقية دماء الشعب المصرى أما أهل الثقافة فعقدة التميز لا تخفى عليهم أنفسهم حتى رجال الدين والجماعات الإسلامية يتحركون وكأنهم معهم توكيل من الله سبحانه بتصنيف الخلق وتسجيلهم فى كشوف الجنة أو النار وأصبح من ينضم لجماعتهم من الناجين أما الآخرون فهم الضالون. و الصنيعية يشعرون أنهم ذوو الألباب المضيئة لكنه مجتمع الشهادات هو الذى لا يشعر بهم. نظرة الاستعلاء لا تغادر أحدا من المصريين . الراكب يتكبر على الماشى والماشى ينظر شزرا للقاعد ، عند كل خناقة أو إشارة مرور تظهر (أنت مش عارف بتكلم مين). وحدهم رجال التوك توك شخصوا الحالة المرضية ووصفوا العلاج فوق جدران التوك توك حين سجلوا (إوعى تنسى أصلك).

●●●

وكما توجد اختلافات بين التوك توك و الميكروباص فإن العبارات المسجلة على كل منهما يوجد بينها بون شاسع. كانت معظم الكتابات القديمة المنقوشة على الميكروباص والتى كنت أرصدها منذ ما يقرب من عشر سنين بسيطة ومباشرة وسطحية ، كانت لا تخرج عن محور من ثلاثة محاور تدور فى فلكها.

الاهتمام الأول الذى كان يؤرق فكر رجال الميكروباص هو الأسرة وخصوصا الأولاد. وهذا شىء طبيعى ، لا يوجد أغلى من الأبناء ، السائق يخرج من بيته مع الفجر ويظل يدور مع شوارع مصدعة وزحام وجو خانق ومقرف طوال اليوم و يخوض صراعات ممضة مع الركاب والمطيات ورجال

www.dvd4arab.com

المرور وزملاء المهنة وموظفى الموقف من أجل توفير لقمة عيش لأطفاله ، إنه مشغول دوما بهؤلاء الصغار المسئول عنهم ، ليس لهم غيره ، لذلك نجده يسجل أسماءهم فوق جدران السيارة كأنه يذكر نفسه طوال الوقت أنه يعمل من أجل هؤلاء كما إنه يعلن الجميع- الذين يقرأون- أنه لديه أطفال وهذه أسماؤهم فوق السيارة لمن لا يصدق. تسجل أسماء الأطفال فى أشكال مختلفة ، أحيانا على شكل رباعى بحيث يحتل اسم كل طفال إحدى زوايا المربع ، وأحيانا تسجل فى سطر واحد أو فى جملة واحدة إذا لم يكن لديه غير طفل واحد . ويتمتع رجال الميكروباص بدفء عائلى ولياقة أبوية لا تجعلهم يسجلون أسماء أطفالهم مجردة بل هم دائما يمنحونهم ألقابا فخمة تدل على مدى حبهم العارم لهؤلاء الصغار ، وهذه الألقاب يكون مبالغا فيها بشدة بحيث إنها من شدة المبالغة لا تستدعى اعتراض أحد أو سخريته كأن لسان حال الجميع يقول المثل المصرى الشامخ (الكلام ليس عليه جمرك) . حتى رجال المرور لا يعترضون على هذه الألقاب ولا تلفت نظرتهم الأمنية رغم أن كل سائق يمنح أطفاله ما يشاء من الألقاب التى لو ادعاها أحد خارج جدران السيارة لتمت إحالته للمحاكمة.

إننا نجد السائق قد منح لقب أمير أو برنس لابنه الأول ولقب باشا لابنه الثانى بينما استولت طفلته الصغيرة على لقب برنسيسة أو أميرة وفى أحيان كثيرة تتم ترقيتها إلى (ملكة) مباشرة وبلا وجع قلب. لكن الغريب فى الأمر ورغم الحب الجارف من سائق الميكروباص لأطفاله وحرصه الشديد - كما يذكر الكثيرون منهم- على جعل أطفاله يحظون بمستقبل أفضل كثيرا من حياة آبائهم فإن أحدا من رجال الميكروباص لم يمنح أطفاله لقبا علميا أو لقبا وظيفيا مرموقا مثل طبيب أو مهندس أو حتى ضابط. الألقاب العلمية والعسكرية غائبة عن جدران السيارات تماما ولا تسبق أبدا أسماء الصغار. وهذا ربما يعود إلى أن الكتابة على السيارة لا تعدو أن تكون حنانا وحبا جارفا لأطفال لا يدركون كنه رتبة عسكرية أو وظيفة مدنية لكنهم يسعدون كثيرا بلقب البرنس أو الدلوعة.

كما يحرص السائقون على ترسيخ الشعور بالرابط الأسرى بين أطفالهم من خلال الكتابة على جدران السيارة فنجدهم يسجلون أسماء الأطفال و قد ربطوا بينهم برباط الأخوة فنجد مثلا الأمير محمود أخو البرنس

يوسف ، والأميرة شهد أخت الملكة شيماء ، طبعا يخرج من هذه الوضعية السائقون الذين يملكون طفلا وحيدا. رقة وحب وحرص على الرابط الأسرى وترخيم لأسماء الأطفال وعطف جارف لهؤلاء الذين يتركونهم خلفهم فى البيت، لا أدرى أين تذهب هذه الرقة ويختفى هذا اللطف وكيف يتبخر هذا الحب سريعا عندما يتعامل سائقو الميكروباص مع الركاب المساكين الذين ينقلونهم صباح مساء ، كيف ينقلب العطف إلى قسوة ويغدو الحب عداء مستطيرا مع أن الركاب لديهم أيضا أطفال صغار، ربما لأن أطفال الركاب لا يملكون ألقابا ، ونحن كما نعلم جميعا بلد تجل وتقدر بشدة الألقاب.

المرأة والعائلة بمعناها الشامل الكبير غائبان تماما عن جدران الميكروباص فلم أجد سائقا يسجل اسم زوجته أو حبيبته أو حتى يبعث لها رسالة حب أو شوق وهذا عائد إلى معتقدات المجتمع المصرى الذى يعتبر اسم المرأة عورة أو شيئا محرما لا يجب ذكره أمام الغرباء ويكتفى بالتلميح عنها بمسميات مختلفة كأم العيال أو الجماعة أو البيت. ولقد كنت فى ميكروباص ذات مرة عندما وجدت أحد الركاب ينزل من السيارة ويلتفت خلفه وهو يقول (يا أحمد هننزل هنا) التفت لأجد أحمد هذا إمراة كاملة . تعجبت جدا - حيث كنت كما تعلمون مغفلا- من هذه المرأة التى تحمل اسما رجاليا تماما. فيما بعد أدركت السر عندما وجدت رجلا ثانيا ينادى المرأة التى تتبعه باسم أسامه بينما كان رجل ثالث ينادى المرأة السائرة بجواره باسم هيثم ، ساعتها لم أجد مفرا من إدراك أن الرجال ينادون زوجاتهم بأسماء أبنائهن . ظاهرة غريبة أخرى تستحق الدراسة ، هل هذا التعتيم على اسم الزوجة ناتج من اعتبارات اجتماعية وأعراف تعنى بطمس هوية المرأة لتجنب العار والفضيحة أم أنها نوازع دينية حيث يعتبر الكثيرون أن ذكر اسم الزوجة أو الأم إثما شنيعا برغم أن الجميع يعلمون اسم والدة النبى محمد صلى الله عليه وسلم وأسماء زوجاته وبناته كما أنه عليه السلام كان ينادى السيدة عائشة باسمها مجردا بل كان أحيانا يرخم (يدلع) الاسم وكان ينادى إبنته الطاهرة باسمها يا فاطمة و لم يكن يناديها يا أم حسن كما أن الله سبحانه قرن اسم سيدنا عيسى باسم أمه البتول السيدة مريم .

أهل التوك توك يختلفون عن رجال الميكروباص فى هذه النقطة حيث

Looloo
www.dvdarab.com

سجلوا كثيرا عن المرأة و الحبيبة رغم تمسكهم هم أيضا بعدم ذكر الأسماء الصريحة لكنهم سطروا عن هذا الأمر الشيء الكثير حتى أن أحدهم كتب مخاطبا إمراة لعبت دورا مؤثرا فى حياته (مع تحياتى لمن دمرت حياتى) لكنهم لم يسجلوا كثيرا عن الأطفال ، معظمهم شباب لم يتزوجوا وليس لديهم أطفال ، اما الذين اهتموا منهم بتسجيل أسماء الأطفال فقد جاءت أسماء أطفالهم تحمل سمات التغيرات التى اعترت كل مناحى الحياة فى المجتمع المصرى ، كانت أسماء غريبة ومختلفة ، الأباء يتحرون الدقة فى البحث عن أسماء جديدة وغامضة ، نوع من البحث عن التميز والعلو ، تغيرت المفاهيم ، لم تعد الأخلاق أو الثقافة أو خدمة المجتمع هى سبل التفوق والتميز ، صارت هناك أشياء جديدة مثل إختيار أسماء للأطفال لم يسبقهم إليها أحد ، تقعر وتضخم ، اتجه الكثيرون إلى صفحات المصحف ليس للبحث عن آية تدعو لخلق كريم أو تنهى عن رذيلة بل للبحث عن اسم لمولود ، معانى لكلمات جميلة من التركية أو الفارسية كأن اللغة العربية قد ضاقت بهم ، ظهرت أسماء مثل ريتاج وجنى و سندس وبسملة والدلوعة شهد.

وكما غابت المرأة عن جدران الميكروباص فقد غابت أسماء الرجال من الآباء والأجداد كما لم يرد ذكر لمستقط الرأس أو محل الميلاد فى أدبيات رجال الميكروباص بينما تفاخر شباب التوك توك كثيرا بعائلاتهم وآبائهم فنجد أحدهم يخبرنا أن (الأصل عرباوى) بينما ينبهنا آخر أن (اللى أبوه صعيدى ما يخفش) كما يتجه أحدهم ليخاطب والدته برقة وعطف قائلا (رضاك يا أمى) ويجمع آخر بين فضل الأب وحب الأم فى عبارة واحدة تقول (أبويا خيره عليا وأمى نور عينيه) ، وقد يكون سبب ظهور عبارات فوق التوك توك تتحدث عن الوالدين وغياب ذلك عن الميكروباص هو صغر أعمار سائقى التوك توك واستمرار عيشهم وارتباطهم بآبائهم بينما رجال الميكروباص قد تخطوا هذه المرحلة السنية واستقلوا بأسر منفصلة نالت من حديهم وتمكنت من مشاعرهم مما قلص عواطفهم نحو الأباء وقد يكون عائدا إلى ما يتمتع به رجال الميكروباص من رصانة فكر - بسبب العمر - وقد يكون بسبب التوجهات الجديدة والأفكار التى غزت المجتمع وسيطرت على شباب التوك توك فلم يجدوا أى معرة فى الحديث عن موضوعات جديدة لم تتطرق إلى أفكار السائقين السابقين.

الهاجس الثانى الذى يشغل قادة الميكروباص هو (الحسد) وهو هاجس يشغل كل طوائف المجتمع المصرى الذى له تاريخ طويل مع الحسد والعين التى تفلق الحجر. الحديث عن الحسد قوت يومى يتناوله المصريون ، الأم تخشى على أولادها من الحسد والأغنياء يخافون من عيون الفقراء الصفراء ولاعبو الكرة الفاشلون يذبحون العجول كلما انهزموا من أجل طرد الحسد ، كل من يملك شيئا قيما - من وجهة نظره- يخشى عليه ويشعر أن الناس كلها تعمل من أجل سلبه ما يملك لذا فهو يحرص على درء العين عن هذا الشيء بطرق كثيرة التنوع ولأن سيارة الميكروباص شيء ذو قيمة مالية مرتفعة فإن سائقيها يدركون أن العيون الحاسدة للجيران والركاب تطاردهم وتتسبب لهم فى الحوادث أو الوقوع فى لجان المرور التى لا ترحم لذلك حرصوا على تسجيل عبارات كثيرة على جدران السيارة و الزجاج الخلفى حيث لا نكاد نجد سيارة تخلو من آيات المعوذتين وبالذات آية (ومن شر حاسد إذا حسد) وأيضا (الله خير حافظا) و (يقينى بالله يقينى) كما أنهم سجلوا عبارات كثيرة تستجدى الحاسدين أن يصرفوا عيونهم المؤذية عن هذه السيارة مثل (الحلوة من اليابان وصاحبها واحد غلبان) و (الحلوة مش ورث دى جاية بقلع الضرس) ومثل (يا ناس سيبونى فى حالى القسط شاغل بالى) و (العين صابتنى ورب العرش نجانى) و (ما تبصليش بعين ردية بص للى اندفع فيا) و (متبصليش بعينيك الاثنين أنا جايه بالسلف والدين) ، والملاحظ فى عبارات الميكروباص أنها كانت تتميز بأدب وخلق ، لم يكن بها ما يخدش أو يقدح ، حوار بسيط ولهجة هادئة ، وندرك ذلك بسهولة عندما نتعرض لنفس الخاطر لدى أهل التوك توك فنجد أحدهم كتب عبارة تقول (عين بصاصة وعاوزة رصاصة) ، هل تغير المجتمع ؟ .

الهاجس الثالث والأخير الذى يحرص أهل الميكروباص على تسجيل خواطرهم عنه هو الهاجس الدينى وهذا نابع من التدين الكامن فى نفوس المصريين والموجود بالفطرة منذ الأزل. ورغم أن معظم سائقى الميكروباص لا يبدو عليهم الالتزام الدينى سواء فى الشكل أو المغزى الحقيقى للتدين ، حيث لا يطلق معظمهم لحيته أو يرتدى الجلباب القصير والسروال ولا يضعون السواك فى جيوبهم كما أنهم لا يراعون الله أبدا فى الركاب المساكين الذين يقعون تحت أيديهم ولا يلقون بالا للسرعات التى يحددها

Looloo
www.dvd4arab.com

المرور ولا ينظرون بعين العطف لمن يسيرون حولهم ومعهم على الطرقات إلا أنهم يحرصون على تسجيل عبارات دينية وآيات من القرآن على جدران السيارة مثل (باسم الله مجراها ومرساها) و(أذكر الله) وتحتل صيغة الشهادة مكان الصدارة إذ يحرص الجميع على سطر (لا إله إلا الله محمد رسول الله) على خلفية سياراتهم.

لم أشاهد سيارة تحمل شعارات دينية ذات صبغة سياسية إطلاقا بل كل الشعارات الدينية كانت بسيطة وتدل على تدين معتدل يصل إلى درجة الخفيف وأظن -وليس كل الظن إثما- إنهم يضعون هذه الشعارات من أجل البركة وجلب السلامة للسيارة وليس أكثر. كما أنني لم أسجل شعارات دينية مسيحية فوق جدران السيارات وأبدا كنت ولا أزال أفضل فى معرفة ديانة السائق المسيحى إلا إذا شاهدت الصليب المنقوش فوق معصم يده.

ورغم الهوس الرياضى لدى الكثيرين من المصريين وولعهم بكرة القدم الذى يصل لحد التعصب فى حالات كثيرة إلا أننى لم أضبط سيارة تحمل اسم أحد الفرق الرياضية أو اسم أحد اللاعبين كما أننى لم أسجل فى مشاهداتى أية شعارات سياسية أو اهتمام بأحوال السياسة فى مصر. لم أرصد عبارة واحدة تنتقد نظام الحكم أو طريقة الحكومة فى إدارة البلاد رغم المعاناة التى تسيل من أعصاب رجال الميكروباص مما يلاقونه يوميا من الحكومة ورجالها ، ورغم أن أهل الميكروباص لا يكفون عن الشكوى المريرة من رجال المرور و نقاط التفتيش والرشاوى التى تدفع فى كل يوم من أجل المحافظة على استمرار حركة السيارة و منع تعطلها إلا أنهم أبدا لم يكتبوا نقدا لمثل هذه المعضلات على جدران السيارات. وأخيرا فإننى لم أشاهد سيارة واحدة تحمل عبارة عن الوطن سلبا أو إيجابا، لم يقدم أحدهم على كتابة أية جملة عن حب الوطن أو الاعتزاز بمصريته أو إظهار مشاعره الوطنية.

ثلاثة هواجس لا رابع لها هى ما يملأ لب سائقى الميكروباص ، الأبناء الضعفاء المعتمدون تماما على آبائهم والحسد الضار الذى قد يجلب الشر للسيارة و يعطلها فيدخل السائق فى خضم من المعاناة لا يدرك حجمها سواه والإيمان الفطرى الذى يدفع السائق للشعور بحاجته إلى قوة عظمى تحميه وتحفظ عليه سيارته فى سباق الحياة المحموم الذى يبدأ مع كل طلعة شمس و يمتد فوق ساعات النهار من أجل توفير قسط السيارة

وقسط قطع الغيار و قسط الجمعية الشهرية وما يتبقى يذهب لأم العيال حتى تدبر الحياة الكريمة للأطفال.

الآن بعد مرور ما يقرب من عشر سنوات على بداية ملاحظاتى لكتابات الميكروباص ومع التغيرات العنيفة التى تعرض لها المجتمع المصرى فى مجالات كثيرة ومع الصدمات الاقتصادية وحمى الأسعار واللعب فى فقرات الدستور وتدنى الحالة العامة للشارع وحالة الخدر والنضوب المسيطرة على مشاعر وثوابت الناس وزيادة الشره الإنفاقى لدى المصريين، عدت من جديد لمتابعة أصدقائى رجال الميكروباص فلاحظت أمرا غريبا قد جد. لقد اختفت معظم العبارات التى كانت مسجلة فوق زجاج و جدران السيارات . غابت عبارات (مع السلامة يا أبو حمادة) و (الطير المسافر) و(يا تهدى يا تعدى) ، إختفت كلمات رقيقة كانت تزين الزجاج الخلفى وتؤطر مؤخرة السيارة. لم تختف الكتابة تماما من فوق الميكروباص لكنها لم تعد بالكثرة التى تشد الانتباه. كما رافق ظاهرة جفاف التسجيل الكتابى لأحاسيس رجال الميكروباص تغيرات جمة لعالم الميكروباص نفسه. لقد اختفت تدريجيا السيارات تقليدية الشكل التى كانت مرصعة بتلك العبارات الشائقة وحلت مكانها سيارات شديدة الفخامة ، سيارات حديثة ، أكثر راحة للركاب ، ذات صالون واسع وتكييف وزجاج غامق وستائر للنوافذ وكاسيت شديد الحداثة ، لكن لم تختف ظاهرة الراكب الرابع كما اقترن ظهور هذه السيارات بقرارات صدرت عن المحافظات بتوحيد لون سيارات الميكروباص لكل محافظة ومنع تنقل سيارات الميكروباص من محافظة لأخرى دون إذن مسبق من إدارات المرور كما تم منع إعطاء تراخيص جديدة للميكروباص فى كثير من الأماكن واقترن ذلك بفرض رسوم باهظة ودفع تبرعات سخية لصناديق الموارد فى المحافظات مما جعل عقول رجال الميكروباص تتوقف عن رفاهية سطر أشجانهم وحفر أفكارهم على جدران السيارات واتجه الفكر برمته إلى كيفية استخراج تصريح لسيارة أو حيل التنقل من محافظة لأخرى دون الوقوع فى قبضة رجال المرور. فى قريتنا الدلتاوية الآن سيارات كثيرة تحمل ترخيصا من محافظة الإسكندرية ، يشد الناس الرحال إلى محافظة تبعد أكثر من ثلاثمائة كيلو متر عن مكان عيشهم وعملهم من أجل تسيير أمور سياراتهم التى يأكلون ويطعمون أطفالهم من ورائها. تغيرت أشياء كثيرة ، هدمت

Looloo
www.dvd4arab.com

مواقف عامة للسيارات كان المرء يظن أنها لن تهدم ، أنشئت أماكن أخرى لتجمع السيارات ، شقت طرق جديدة وظهرت دوائر مرورية مختلفة تماما عما كان يسلكها الناس منذ فترة ليست بعيدة ، كما زادت أعداد الميكروباص بصورة ملحوظة. قلت كثيرا فرص العمل أمام الشباب فاتجه الكثيرون منهم لقيادة الميكروباص ، لم يعد الأمر حكرا على من لم يتعلم بل اخترق المجال أصحاب الشهادات العليا كما غابت وغامت الفرص الحقيقية للاستثمار أمام رأس المال الضعيف والمرتجف فى أيدى البسطاء فاتجهت ألبابهم للربح السريع اليومى فلم يجدوا أفضل من الميكروباص للاستثمار فيها . أصبح الأمر غاية فى التعقيد والقسوة ، لم يعد أحد منهم يهتم بدرء الحسد عن السيارة أو اصطحاب أسماء أطفاله معه أينما رحل. العمل فى دنيا الميكروباص صار وعرا بما يكفى لينخرط سائق الميكروباص فى عمله وأوجاعه حتى تشعر أن معظمهم يعيشون فى عالم خاص بهم ، عالم لا تتخطى حدوده قسط السيارة الضخم وقطع الغيار وعملية تغيير الزيت والهروب من رجال المواقف والمحاولات الدءوب من أجل تخليص السيارة من قبضة رجال المرور إذا حدث وأوقفها أحدهم فى إحدى اللجان ، لم تعد سيارات الميكروباص تتزين سوى برسوم غريبة من صنع المصانع نفسها ، رسوم لا تمت للمجتمع أو البيئة بصلة ، رسوم تشبه كثيرا الثقافات الغربية ، رسوم متراصة بشكل كاريكاتورى عبارة عن طائرة وشوكة وسكين وفنجان شاى يتصاعد منه الدخان ودى فى دى و سماعة تليفون و إشارة منع التدخين و سى دى ، ماذا تعنى ؟ الله أعلم ....

الفصل الرابع

عندما ظهر التوك توك

Looloo
www.dvd4arab.com

ظهر التوك توك - فى قريتى المغمورة فى طى النسيان - مع بدايات عام ٢٠٠٥ ، بالتأكيد ظهر فى أماكن أخرى من المحروسة قبل ذلك إذ أن قريتى كانت ومازالت غير ذات ريادة أو جرأة حتى تكون أول من أدخل التوك توك إلى بلاد النيل. ظهر التوك توك على استحياء كمغامرة قص شريطها أحد الأغنياء الجدد فى قريتى المخلصة للخمول والسكينة ، رجل اكتظ بالنقود التى لا يعرف أحد من أين تهطل عليه رأى التوك توك فى بقعة ما من الوطن فأراد أن يبقع قريتى الوطنية ، فكر ثم قدر ثم توكل واشترى عددا من التوك توك وغرسها عند مدخل القرية من ناحية الطريق الزراعى الذى يحزم القرية تاركا لخصرها- النحيل- مسافة خمسمائة متر ، هى كل المسافة من القرية حتى الطريق ، كانت هذه المساحة مفعمة بسنابل القمح الذهبية ولوزات القطن الشاهقة وكيزان الذرة العفية وأشجار النخيل والتوت والهواء النظيف واللون الأخضر بكل درجاته قبل أن تتسلل إليها كتل الأسمنت والحجارة لتبتلع الحقول وتبصق مكانها منازلا غاية فى التشوه ، منازل الأغنياء القرويين الجدد الذين استعانوا بدراهم الخليج وتراب السلع الصينية التافهة -التى تاجروا فيها - ليشتروا القراريط المسكينة المتبقية لقريتى ويقيموا فيها فيلات أرادوها قصورا كقصور الراقين فى المدن فجاءت مسوخا معدومة الملامح مجهولة الروح تقف بغباء وسط الطريق بين القرية والمدينة فى موضع تتهوه فيه الهوية تماما. تم استئصال الخمسمائة متر الخضراء التى كانت تمتد من القرية للسكة الزراعية لصالح فئتين غاية فى الغرابة والإختلاف ، فئة هجرت الفأس والساقية إلى سمكرة وطلاء السيارات والفئة الأخرى فئة أغنياء الإعارة الخليجية الذين هجروا بيوتهم القديمة فى الحارات الضيقة والشوارع الداخلية للقرية ، هجروها تماما دون أدنى استعداد لإعادة البناء

www.dvd4arab.com

أو التعديل واتجهوا إلى الرقعة الزراعية للقرية ليسيطروا عليها بأموالهم الكثيفة التى لم يعد أحد فى القرية يقدر على منافستهم فيها ، أخذوا أسعار الأرض الزراعية إلى طبقات السماء العليا ، لفتوا أنظار الفلاحين البسطاء إلى الثروات التى يملكونها عندما ينزلون بأرضهم وأرض أجدادهم التى أطعمت أجيالا لا حصر لها إلى سوق البناء والقصور. لم يعد يشغل الفلاح غرس وحصاد بقدر ما يشغله لحاق أرضه بخطط وخرائط البناء التى يضعها رجال المحليات من أجل جنى الثروة الضخمة والظهور فوق سطح الحياة الراقية ، ألا لعنة الله على الكردون . قصور فى قرية ، لم يجد المميزون فى قريتى ما يكسبهم قيمة ومعنى سوى هذه البناءات العجيبة ، إنهم يشعرون أن تلك الدرج غريبة التصميم التى أنشأوها فى مداخل بيوتهم قد رفعتهم للثريا وبلغوا بها ذرى المجد مما دفع أحدهم ليفاجئنى عندما دخلت إلى الشبكة العنكبوتية لأبحث عن أية معلومات عن قريتى فوجدت هذا الرجل قد سجل أن قريتى يكفيها فخرا أن بها الفيلا التى يطلق عليها اسم ابنه. فى هذه الأمتار القليلة ظهر أول توك توك لينقل أهل القرية الذين ينزلون من الأتوبيسات وسيارات مصانعهم عند الطريق الزراعى. كان الناس يقطعون هذه الأمتار القليلة على أقدامهم ، كانت هذه هى الفرصة المتبقية لممارسة رياضة المشى بعد أن هجر الجميع العمل فى الحقول لأنه لم تعد لدينا حقول. أثار ظهور التوك توك زخات العجب فى صدور وأعين الناس فى قريتى كما أسال كرابيج السخرية التى يفلح فيها الفلاحون حول هذه المركبة العجيبة ، مخلوق متحرك، ليس سيارة وليس موتوسيكلا، إنه يشبه حيوان الجمران الذى كانوا يضعون تماثيله الصغيرة أيام زمان فى أعناق صغارهم لدفع الحسد . سرت همهمات الازدراء والتهكم على التوك توك و على من جلبه للقرية التى تستخدم فى تنقلاتها إلى المركز والمدن البعيدة السيارات الميكروباص وسيارات النقل المخصصة لنقل البهائم و الخضراوات بعد أن وضع سائقوها دككا من الخشب ليصطف عليها الركاب ، ستة فى كل دكة، دائما ستة حتى يوافق السائق على التحرك ، يكفل الرقم ستة دفئا مجانيا لأجساد الركاب الذين يمتزجون بكل معنى الكلمة معا عند ركوبهم السيارات التى يطلقون عليها (الداتسون) حتى لو كانت تحمل ماركات أخرى. كان السؤال الذى طرحه الجميع فوق المصاطب وعلى نواصى

الحارات و فى محلات البلاى استيشن والبلياردو هو أين سيعمل التوك توك فى قرية يستطيع كل أحد من قاطنيها أن يقطعها من الشرق للغرب فى خمس دقائق كما يستطيع المرء الوصول إلى طريقها الزراعى فى نفس هذه الدقائق. سار مرأى التوك توك فى شوارع القرية الضيقة يثير الضحك المصحوب بالرغبة فى فشل المشروع ، كل فرد فى قريتى عدو لكل جديد طالما لم يوجده أو يمتلكه هو ، وحتى يخسر هذا الغنى نقوده ، الناس فى قريتى يحبون بعضهم بعضا حبا جما.

لكن المشروع لم يفشل بل نجح بشدة ، وجد الركاب بسهولة وأصبح يدر دخلا جيدا ، وعاد الرجل الغنى بعد عدة شهور ليشترى مجموعة أخرى من التوك توك و يبذرها فى شوارع القرية. وهنا صرخ الكثيرون يا خبر أسود ، المشروع نجح ونحن نتفرج ، إنه لغباء شديد. وحدث انقلاب فى شوارع القرية ، بسرعة غريبة لا تتلاءم مع تجربة جديدة تحتاج وقتا أطول لتثبت نجاحها أصبح التوك توك فجأة هو وسيلة المواصلات المعتمدة رسميا فى قريتى . من تريد الذهاب إلى السوق تأخذ توك توك ومن تريد الذهاب للطبيب فعليها بالتوك توك ومن يرغب فى تقديم واجب العزاء فى الناحية الأخرى من القرية فليصطحب التوك توك برغم أنه يسمع فى بيته صوت المقرىء القادم عبر مكبر الصوت. الأطفال الصغار الذاهبون لمدرستهم الابتدائية يستعينون بالتوك توك الذى أصبح بالحجز. قبل أن تحجز لطفلك مقعدا فى المدرسة أومكانا فى الدرس الخصوصى يجب أن تحجز التوك توك الذى سيحمله إلى المدرسة. التوك توك لجلب الخبز وتغيير أسطوانة الغاز والذهاب للوحدة الصحية لتطعيم الأطفال ، والتوك توك لنقل الأشياء حتى أصبحت الفئة النادرة الباقية بصعوبة بعد اندثار معظمها والمسماة (الفلاحين) تستعين بالتوك توك للوصول إلى الحقول ونقل الكيماويات والعودة بالبرسيم توزيع أشياء نادرة الوجود مثل السمن والجبن والألبان ، رحم الله زمن الحمار. أدت زيادة استعمال التوك توك إلى تكالب الكثيرين من أهل القرية إلى شرائه. لقد اتضح للجميع أن المشروع مربح ومضمون ، الأمر ليس فى حاجة أبدا لأية إجراءات قانونية ، التوك توك لا يتطلب ترخيصا ولا تدفع عنه ضرائب و لا يحتاج إلى فحص أو تجديد فى المرور كما أن قيادته مشاع للجميع لا تحتاج إلى رخصة أو اختبار وبالتالى فسائق التوك توك لا يوجد ما يرهبه أو يعيقه ، فقط يتطلب الأمر الجلوس لبعض

www.dvd4arab.com

الوقت بجوار من يقود ليتعلم المرء بسرعة شديدة قيادة التوك توك التى لا تحتاج إلى مهارة فائقة أو جودة فهم. أدرك الجميع أن التوك توك مشروع القرن وفرصة العمل التى هبطت من السماء للشباب المتعطل ، أسرع كل أب وقدحت كل أم ذهنها لتوفير ثمن التوك توك ، عقدت جمعيات شهرية وبيعت أراض خصبة ورهنت عقود وأساور ذهبية وملئت استمارات قروض من البنوك لا حصر لها ، تمت إصلاحات كثيرة فى مداخل البيوت وغيرت خرائط كثير من المنازل لخلق مكان يسمح لإيواء التوك توك عند عودته ليلا. سهل صغر حجم المذكور المهمة على الجميع. بمرور الأيام فرض التوك توك قانونه وبشر بحضارته فاستجابت القرية ، ظهرت محلات تبيع إكسسوارات و قطع غيار التوك توك و ظهر شباب متخصصون فى ميكانيكا التوك توك - تعلموا فين ماعرفش- وظهرت جراجات خاصة بالتوك توك . لقد حول بعض أهالى القرية المساحات الخالية أمام أو خلف منازلهم إلى جراجات للتوك توك يلجأ إليها من لا يملك مكانا مناسبا كما ظهرت بالطبع جرائم التوك توك. حيث بتنا نسمع عن جرائم خطف الأطفال و الفتيات التى يكون التوك توك وسيلتها وكذلك سرقة وخطف حقائب السيدات لسهولة الهروب وصعوبة تحديد هوية التوك توك ، إنها متشابهة جميعا. كما نشطت تجارة المخدرات وسهلت عملية نقلها بالتوك توك وراج البانجو خصوصا لرخص ثمنه وسهولة بيعه وكثرة مريديه حيث يتعاطاه معظم سائقى التوك توك. ونشأت ظاهرة جديدة فى قرية كانت منذ قليل تمتاز بوفرة الأخلاق والحياء الإجتماعى الذى يدفع من يتجر فى المخدرات أو يتعاطاها إلى الانزواء وأخذ الحيطة. لكن التوك توك بسهولة امتلاكه وجنى الربح من خلفه فتح الطريق لفئة من الشباب ضحلة الفكر والثقافة لتملك المال وهى لا تدرى الطرق السوية لإنفاقه فاتجه معظمهم لتدخين البانجو علانية وخصوصا فى الأفراح. أصبح البانجو المدعو الأول لمعظم أفراح قريتنا. قبل ليلة العرس يتفق شباب التوك توك على شراء البانجو وتحضير أدوات التدخين والمزة لتوفير جو علنى للتدخين. ومما يثير الجزع أن الآباء يشاهدون الأمر بهدوء وصمت يشبه المباركة التامة. كما ظهرت جرائم السطو على سائقى التوك توك. يأتى اللص فى صورة بريئة ليركب التوك توك ويطلب من سائقه أن يوصله لمكان محدد ، غالبا إلى قرية نائية يحتاج الوصول إليها إلى عبور حقول واسعة وعندما ينقطع الطريق يظهر مساعدو الراكب اللص ويشهرون

السلاح الأبيض فى وجه السائق ليترك التوك توك والإيراد والتليفون المحمول ويرحل ، عشرات القصص الدامية عن شباب تعرضوا لضربة مدية فى الكتف أو الرأس لترك التوك توك ، الكثيرون آثروا السلامة والبعض قاوم والقليل كان سريع البديهة لينطلق بالتوك توك قاسما اللصوص إلى قسمين ، قسم فوق الأرض لا يتمكن من إدراك التوك توك وقسم مع السائق فى التوك توك لينتهى الأمر بضربة مطواة قرن غزال فى ظهر السائق ليقف لكنه على كل حال ينجو بالتوك توك رغم معاناة الطعن. التوك توك المسروق يتعرض لأمرين إما أن يرد إلى صاحبه بعد أن يدفع فدية (الحلاوة) عن طريق وسيط أو يتعرض للتفكيك والبيع كقطع غيار. خسائر حارقة حدثت من وراء ذلك ، الشرطة لا تهتم ، لا تتحرك من أجل البسطاء غالبا ، لابد من يد قوية وطويلة لتفعل ذلك.

أصبح التوك توك المهنة الرئيسية لشباب قريتى الذين لا يجيدون أى مهنة ، لقد تعلموا فى مدارس الصناعة وأخذوا دبلومات فى مهن مختلفة لكنهم أبدا لا يجيدون هذه المهن كما درسوا فى مدارس التجارة أو مازالوا يدرسون لكنهم لا يعلمون شيئا عن هذه الدراسة.

بدا التوك كطوق نجاة أمام المتعطلين عن العمل والفقراء فى المهارات ، ولى الجميع وجوههم شطر التوك توك الذى يمكن تعلم قيادته فى ساعات قليلة لينطلق بعدها الشاب يبرطع فى شوارع القرية وحواريها دون رقيب أو محاسيب. عمل مريح وربح وفير بلا جهد يذكر. الشاب يجلس أمام المقود ويزرع الشوارع بثقة وانتشاء كأنه ولى عهد ملكى ، يحمل الركاب و يعود بالأطفال و يتقاضى الأجرة دون نقطة عرق ، فى نهاية الوردية يقتسم الإيراد مع مالك التوك توك ليجد هذا الشاب الغض فى جيبه نقودا لا يدرى ما يفعل بها ، إنهم شباب ما تحت العشرين لا يشغل بالهم سوى التدخين و أجهزة المحمول و السراويل ساقطة الوسط . بارت المهن الأخرى . ذاق الفلاحون مرارة الشكوى وهم يبحثون عن أيد عاملة ، لم تعد الحقول الخصبة تجد من يغرس درنات البطاطس أو يبذر الحبوب الذرة أو يحصد القمح و ينشر شتلات الأرز ، عزت مهن المحارة والطلاء والبناء ، أغلقت مشاريع صغيرة ورفضت وظائف فى شركات ومؤسسات من أجل التوك توك. ما الذى يجبر الشاب على الغوص فى الحقول وسط الطين ليغرق فى العرق و الجهد حتى يحصل على أجرة يستغلى جلب ضعفها

www.dvd4arab.com

بجهد أقل بكثير لو امتطى توك توك. ماذا يشجع فى عمل بأحد المصانع البعيدة والاستيقاظ عند الفجر والعودة مع الظلام ثم الحصول على مرتب مهما كان معقولا سيبدو هزيلا بجوار مكاسب التوك توك اليومية التى تأتى بطريقة أسهل من كل الطرق الأخرى. أصبحت قيادة التوك توك مهنة من لا مهنة له ، غدت مهنة الجاهل والمتعلم ، السليم والعليل ، المعافى والقعيد ، لقد أصبح بإمكان الشاب المشلول أن يعمل بقيادة التوك توك لأن قيادته لا تحتاج إلى الساقين.

زادت أعداد التوك توك فى شوارع القرية ونشأت مشاكل مرورية كثيرة عند النواصى ومداخل الحارات عند تلاقى توك توكين معا كما انبثقت أبواق الضوضاء تقض مضاجع الهدوء الراسخة التى كانت تمتلك زمام الأمر فى القرية منذ آلاف السنين التليدة ، انقلب كل تاريخ السكون القديم إلى ضوضاء لا حصر لها. لقد استعان كل سائق توك توك بكاسيت غاية فى القوة وشد من أزر الكاسيت بسماعات مكبرة للصوت لا تكف عن بث أغنيات غريبة. غزا أهل التوك توك أسماع القرية بأصوات و كلمات وموسيقى لم تكن لتسمع فى قرية أبدا لولا ظهور التوك توك ، المدهش أن أهل القرية جميعا تقبلوا حمى الضوضاء بهدوء وتسليم ، لم يعترض أحد ولم يرفض أحد. تغيرت خريطة المواصلات تماما فى القرية ، أصبح التوك توك هو الوسيلة المعتمدة من الجميع ، كف الفلاحون عن الاستعانة بالحمير واستغنى الموظفون عن الدراجات أما ربات البيوت فلم تعد إحداهن تحرك ساقيها خارج البيت دون توك توك.

تملك أناس كثيرون التوك توك ، أصبح لدى المدرس والمهندس والتاجر ، أما الأطباء فقد اتجه بعضهم إلى شراء التوك توك ، وأصبح أحدهم يشترط لدى طلبه لكشف خارجى أن يذهب فى توك توك ، ويقوم بإستدعاء توك توكه الخاص لهذه المهمة ، ويدفع المريض أجر التوك توك وأجر كشف الطبيب ، سوق التجارة اتسع . تملك التوك توك المتحون والحليقون ، المتشددون والمعتدلون ، وكل شخص يضع شرائط الكاسيت التى تروق له ، مولد بلا ولى . حتى الخفراء تركوا مهمة الحراسة والتجول ليلا ، وضعوا البنادق العتيقة وغرقوا فى دنيا التوك توك أما عمدة القرية فقد اشترى لنفسه توك توكين ....

الفصل الخامس

إحنا الحكومة

Looloo
www.dvd4arab.com

يدرك أهل التوك توك بوعى دفين أو بالفطرة البشرية ، إدراك عام وغريزى ، أنه لا يمكن أن تستقيم حركة شارع أو مقومات حياة بدون قوة مشروعة تسيطر وتحكم وتنظم ، إنه شعور إنسانى متأصل فى النفس ، شعور يجد له سبيلا فى عالم الحيوان ، لابد من قائد للسرب . ويدركون جيدا أن الحكومة هى المسئولة عن هذا الدور فى الشارع المصرى. والحكومة عند شباب التوك توك تعنى القوة ، القوة فقط الممنوحة لهؤلاء الرجال المتحكمين فى تسيير عجلة الحياة اليومية وفتح أو إغلاق قنوات المصالح البسيطة التى تحيط بحياة هؤلاء الشباب. الحكومة عندهم لها معنى و دلالة مختلفة تماما عن المعانى الحقيقية التى قد توصف بها حكومة ، إنها تعنى لديهم رجال المحليات ومهندسى الأشغال بمجلس المدينة ومحصلى فواتير الكهرباء والماء ولجان المرور والسجل المدنى وعضو مجلس الشعب الذى يملك بقوته الأسطورية القدرة على جلب تقارير علاج على نفقة الدولة أو وظيفة فى أحد المصانع الحكومية ، تلك الوظيفة التى أصبحت من الندرة بحيث لم يعد يمتلك فرصة اقتناصها سوى القادرين على دفع رشاوى باهظة. ويشغل رجال الشرطة أعلى درجات السلم الحكومى عند أهل التوك توك . الشرطة هى أقوى وأقصى مناصب الحكومة. تستطيع يد الشرطة القبض على التوك توك وسحبه إلى المركز أو القسم حيث يمكن أن يتعرض هناك للتخريب والتدمير بالإضافة للتعطل عدة أيام ولا يمكن فك أسره إلا بواسطة كبيرة أو غرامة ضخمة. كما أن سائق التوك توك فى معظم الأحوال فريسة سهلة ومضمونة لرجال الشرطة بداية بالمرشد والمخبر حيث تفرض إتاوات وإكراميات منتظمة ودائمة لتفادى المتاعب والعطلة وانتهاء بضابط المباحث حيث يمكن أن يجد السائق نفسه غارقا فى تهمة تحمل يومه عبوسا

Looloo
www.dvd4arab.com

قمطريرا بسهولة شديدة وتسلكه أياما ملطخة بالإهانة والرعب فى دروب التحقيق والحبس. ورغم أن جل هذه التهم تنتهى دائما بالبراءة عند المثول أمام القضاء لكن الأهوال التى تجرى قبل تلك البراءة تجعل الولدان شيبا .

أما الحكومة بمعناها الآخر من أنها تقود مصائر دولة وتعمل على دفع الحياة بكل ما فيها إلى الأفضل وتوفر المطالب الأساسية والإنسانية لكل المواطنين المسئولة عنهم وتسن القوانين وتحشد القوة اللازمة لتطبيق هذه القوانين بعدل ومصداقية على الجميع وتبذل ما تستطيع لدفع عجلة التنمية والنهوض بشتى أوجه العيش فهذا أمر لا يشغل ألباب أهل التوك توك ربما لمحدودية الفكر أو لأنهم لم يروا أبدا طوال سنوات عمرهم هذا الوجه من الحكومة كما أن كل ما تتحدث عنه الحكومة فى الجرائد من أرقام وناتج اقتصاد وتنمية ومشروعات عملاقة لم يشاهده هؤلاء الشباب مترجما إلى شىء عملى واضح فى حياتهم اليومية. إن كل المشروعات القومية الضخمة لا تعنى عند أهل التوك توك حياة أفضل أو يسر يدثر سبل عيشهم ويحسن إيقاع ايامهم ، إنها لا تعنى سوى تضخم ثروات فئة معينة تقوم على تنفيذ هذه المشروعات بطرق لا يمكن أبدا أن تكون فى مصلحة المواطن البسيط ، إن أهل التوك توك يعانون أزمة ثقة شديدة مع الحكومة ، إنهم لا يصدقون الوجوه . إنهم لا يرون غير قفا الحكومة ، جزئها السفلى عند نهاية السلم حيث مجموعات حكومية لا تعمل أبدا إلا فى الاتجاه المضاد لمصلحة وراحة المواطن بما يجلب الخسارة والعطلة والرشوة ، إن أهل التوك توك يخشون عسكرى المرور أكثر من خشيتهم وزير الداخلية، إنهم يدرسون سمات شخصية هذا العسكرى ، يتتبعون أخباره و يعرفون عنوان سكنه وأفراد أسرته ومزاجه الخاص بينما لا يعرف الكثيرون منهم اسم وزير الداخلية و حتى اسم رئيس الحكومة. إن عسكرى المرور يمتلك فى يديه قلما ودفترا يمكن له من خلالهما تخريب حياة من يشاء بينما لا يمثل وزير الداخلية لهم أدنى أهمية ، الناس لا يشتغلون أبدا فى السياسة . هذه هى الحكومة التى يخشاها أهل التوك توك ، ورغم هذه الخشية فإن رهبة وسطوة هذه الحكومة - بأسف بالغ - آخذة فى الأفول والاضمحلال جراء عوامل كثيرة باتت تنهش منذ فترة فى أوصال المجتمع وتعل صحته ولا تجد من يعالج أو يدفع بترياق ، إن المفجع إلى حد الإكتئاب أن هذه العوامل آخذة فى التقدم الحثيث يوميا .

الوجه الذى تراه الحكومة لنفسها فى المرآة غائب تماما عن فكر ووعى جمهورية التوك توك ، لا أحد منهم يشغل لبه بكون الحكومة قوة دفع وخير للمجتمع . لا أحد يزعج عقله بهذه الأفكار ، حتى الشخص الذى يختاره أهل التوك توك ومن حولهم لمراقبة هذه الحكومة و تقويم أدائها و كشف عوارها لا يطلبون منه القيام بهذا الدور أبدا ، كل ما يرجونه من عضو مجلس الشعب عن الدائرة توفير فرص عمل و التوسط لدى رجال الشرطة للإفراج عن معتقل أو تخفيض غرامة أما إذا تفرغ هذا العضو لدوره الرقابى وقدم الاستجوابات و طلبات الإحاطة وتسبب حتى فى إسقاط الحكومة فهم سوف يسقطونه حتما فى الانتخابات القادمة لأنه لم يلب دعوة أحدهم لعرس كما أنه لم يحضر للعزاء فى أحد المرحومين أو لأن هيبته كانت ضعيفة أمام مأمور المركز ولم يستطع الإفراج عن أحد المقبوض عليهم فورا. العلاقة بين عامة الشعب والحكومة غائمة وخالية إلى درجة كبيرة من الود والثقة. سؤال غريب وموجع ، لماذا لا يشعر عامة الناس بالإمتنان نحو أعضاء الحكومة الذين ضحوا بأوقاتهم وأعمالهم الخاصة من أجل التفرغ لخدمة الشعب والعمل العام المجهد ؟

• • •

غابت الحكومة عن الشارع ، غياب حقيقى نتيجة الإهمال والترهل وتصلب الشرايين الذى أصاب حكامنا الذين غابوا عن الشارع هم أيضا منذ ما يقرب من ثلاثين عاما. لم يعد الشارع يمثل أدنى أهمية لمن يحكمون فتركوه فريسة سهلة للبلطجة والمجرمين والأسلحة البيضاء أطلقوا الوثاق لصغار الحكومة فحولوا الشارع إلى سبوبة رزق مشاعة للجميع فأخذ الكل ينزح منها بكل طاقته. إن حكامنا لا يسيرون فى نفس الشوارع التى نسير فيها ، إنهم لا يقابلون المطبات ولا ينحشرون أسفل الكبارى ولا يطالعون بنظاراتهم الشمسية الفاخرة أهرامات القمامة ولا يذهبون أبدا إلى مقر شرطة مرور ولا يقفون فى طوابير السجل المدنى ، إنهم أناس لا يحتاجون بتاتا إلى ختم النسر فكيف يشعرون بما نشعر ، إن المعاناة لأصحابها ، والألم لا يفرى أبدا غير الكبد التى يرتع فيها. لم يعد الشارع وطنا أو أمة ، لم يعد الشارع أهل أو ناس طيبة ، لم يعد الشارع حياة أو حركة ومصدر بهجة بل غدا الشارع مصدر دخل ، رجل البلدية يمسك المقشة لا ليكنس وينظف بل ليتسول ورجل المرور يمسك الإشارة لا

Looloo
www.dvd4arab.com

ليسهل طرق الناس ويفك الاشتباك بل ليجمع العملات الضئيلة التى تلقى له من نوافذ السيارات المخالفة ورجل المحليات لا يعنى بحرم الطريق أو الاعتداءات بقدر عنايته المخلصة لجمع الرشاوى من الذين احتلوا الأرصفة ووضعوا بضائعهم فى طريق الناس.

إن الحكومة غائبة عن الشارع وقبضتها متهاوية وسطوتها واهنة وصوتها مشروخ متحشرج. إن الشارع لا يمكن أن يحيا بلا قوة تحكم سيطرتها عليه فإذا غابت القوة الشرعية ظهرت لا محالة قوى مجنونة خارج السيطرة.

شعر السائقون بغياب الحكومة فأسرعوا إلى تكريس هذا الغياب وتتميطه إلى درجة تقترب من التقنين . قويت قبضة التوك توك وارتفعت عقيرة من يقودونه ، مضى كل سائق يفعل ما يعن له ويخطط شبكة المرور المستقيمة والعادلة من وجهة نظره الخاصة ، الكل يسيرون عكس الاتجاه بلا قطرة حياء أو نبضة حرج ، إنهم يفعلون ذلك بقناعة تامة وضمير متوسد تماما فى حضن الراحة إلى درجة أنهم يزعقون ويصرخون فى وجوه أصحاب السيارات التى تسير فى الإتجاه الصحيح إذا فكر أحدهم ذات مرة أن يعترض التوك توك المبحر عكس تيار المرور ، شمس الحياء آخذة فى الأفول. دفنت إشارات المرور وأجراس مزلقانات القطارات فى ذمة التاريخ ، لم يعد لوجودها فائدة كأنها حفريات خلفها الزمن وسار ، تظل إشارة المرور تضيء فتقف بعض السيارات بعد تمنع بينما يظل التوك توك فى غيه سائرا ، تنعق أجراس المزلقانات بأقصى عقيرتها و يمد رجل المزلقان الشهير سلسلته الخالدة فتمتنع السيارات ويفسح الجميع الطريق أمام الوحش الحديدى القادم بينما التوك توك لا يعبأ بما يجرى على الساحة ، يظل متقدما فى سبيله بمعاونة ومباركة كل الواقفين ومساعدة رجل المزلقان رضى الله عنه الذى يتقدم بكل أريحية ليرفع السلسلة ليعبر التوك توك من تحتها مواصلا طريقه تاركا السيارات الخائبة تنتظر عبور القطار وفى أحيان كثيرة إذا رفض رجل المزلقان رفع السلسلة ينفذ سائق التوك توك عملية ثعبانية بخروجه من جانب السلسلة عابرا إلى الإتجاه المضاد للطريق ثم يصعد فوق القضبان ليعود إلى الجزء المقابل لطريقه بعد أن يتجاوز السلسلة.

غابت الحكومة عن الشارع فقويت قبضة أهل التوك وتغيرت سلوكياتهم

بما يتلاءم مع اختفاء السلطة المسيطرة وامتدت أعراض القوة التى اعترت القوم إلى تسجيلاتهم الكتابية فوق جلد التوك توك ، المدهش والمحزن فى الأمر أنهم لم يظهروا قوتهم بمرارة أو خوف بل أعلنوها صريحة قوية وغاية فى الوضوح عندما كتبها أحدهم ساخنة كالشمس (إحنا الحكومة) هكذا قطع الرجل الطريق أمام الشاك والمرتاب بينما يقول زميله (إحنا الإدارة). لا توجد حكومة فنصب كل من شعر بالقوة من نفسه حكومة ، يفعل ما تفعله الحكومة ، يضع قوانين ويطبقها ، يمنح ويمنع ، بل الأدهى أنه يحاكم ويصدر أحكاما وينفذها ، ظهرت التناوشات والمشاجرات مع أوهن الأسباب ، تطاحن وصدام ، عنف وقسوة. لا أحد يملك الآن الشارع ، إنه ملك للقوة الغاشمة ، كل محل أو دكان أصبح يمتلك ما أمامه من رصيف ، يضع الكتل الحجرية ويدق العوارض الحديدية ويمد السلاسل ، المقاهى والكافتيريات ترص الطاولات والمقاعد فى طريق الناس ، المعارض تقيم عروضا دائمة لمنتجاتها فى عرض الطريق ، لا أحد يعترض ولا أحد يحارب. الناس كل صباح ومساء يذوقون الذل والمر بحثا عن وسيلة مواصلات تنقلهم لأعمالهم ، أهل الميكروباص يتحكمون ويبيعون فى الخلق ، يختصرون المسافات ويضاعفون الأجرة ويحشرون السيارة بضعف ركابها ، ولا أحد يراقب أو يمنع. يظهر ضابط المرور مثل سيف البرق المهتز ، يومض لحظة قصيرة يجمع فيها حصيلته اليومية من رخص تسيير السيارات ثم يختفى بسيارته الفزعة تاركا السائقين يصبون كل غضبهم فوق المساكين الركاب. لا أحد يقدر على الإعتراض ، كيف لأحد أن يعترض وقد كتب توك توك لوحة تقول (إحنا الإدارة) بينما لا يقلق توك توك آخر من أن يكتب بكل جرأة (خارج عن القانون). هل أصبح الخروج عن القانون أمرا محببا؟. هناك أناس لا يرتدون عن الخطأ إلا بالخوف من العقاب ، هؤلاء عندما تخمد لسعة العقاب تنفلت أخطارهم وهذا ربما سبب كتابة أحدهم (مابخافش وإنت عارف). كما انطلق الجميع فى خضم الصراع على الفوز بمكانة الحكومة الشاغرة إلى نيل ما يريدون من الرتب والمناصب فحصل أحدهم على لقب (الحكمدار) وهى رتبة مندثرة كانت تساوى تقريبا درجة مدير أمن بينما فضل آخر تولى منصب حكومى أشد تواضعا عندما أخبرنا أن (العمدة راجع يا بلد المواجع) ورغم ترحيبنا بعودة العمدة إلا أننا نتعجب من وضع هذا الرجل التوك توكى

www.dvd4arab.com

لوطننا بأنه بلد المواجع ، هل وصل العيش فى مصر إلى هذه الدرجة من الوجع والألم ؟ بينما حصل آخر على رتبة أراد إخبار الجميع بها ولكن بصورة قاسية ومذلة فكتب (أنا العميد يا خونة) هكذا ببساطة منتهية أصبح هو العميد ورغم عدم الاعتراض من السائرين أو حتى من الشرطة على نيله هذه الرتبة المرموقة إلا أنه اتهم كل من خلف التوك توك - حيث الرتبة مسجلة - بالخيانة ، المضمض آن أحدا من الخونة لم يعترض أو يتطوع بتوجيه أدنى لوم للعميد أو حتى التوجه لأقرب مرور ليخبرهم عن هذا العميد الذى نثر الخيانة فى وجوه الجميع ، هل هذا العميد محق فى زعمه ؟

كما أخذ غياب سطوة و ردع الحكومة لدى رجال التوك توك منحا آخر. حيث حرص الكثيرون منهم على ردع الباقين وإظهار العين الحمراء حتى لا يتجرأ أحد ويرتكب إثما لا قدر الله فى حق التوك توك ، الذى أصبح فى زماننا هو الحكومة . فنجد أحدهم يخبرنا بل و ينصحنا مشكورا (عايز تعيش متعدنيش) و هذه النصيحة الغالية موجهة لمن يسيرون خلفه فوق الطريق إذ يظهر الرجل أقصى درجات الوضوح بأن كل من سيتجرأ و يتجاوزه على الطريق فإنه سيقتله ، بينما نجد توك توك آخر أكثر رحمة و شفقة بمن يسيرون معه حيث يعلنهم (تمشى ورايا أقدرك تعدينى أزعلك) وطبعا الزعل أقل ضررا كثيرا جدا من القتل بينما أغلق توك توك ثالث الباب تماما أمام كل من خلفه عندما أعلن (لو باض الديك مش هعديك) ، إستحالة فوق إستحالة ، طبقات من التحدى ، حتى إذا فعلها الديك وغير من تكوينه وجنسه وتحولت هرمونات الذكورة لديه إلى أنوثة وفعلها الطائر المسكين ووضع البيضة فإن رجل التوك توك لن يسمح لأحد أن يمر من جانبه ، لماذا كل هذه العنجهية والتحدى الشرير ؟ . ثم يأتى توك توك رابع ليضع قانونه الخاص ويعلنه فى صحيفة التوك توك (شغل علشان تعدى) والشخللة صوت إصطدام النقود بعضها ببعض ، إنها الرشوة بكل وضوح وثقة ، لا يكفى أن تدفع فى كل مكان تريد منه خدمة بل الآن جاءت اللحظة الحاسمة التى ستدفع فيها فقط من أجل تجاوز توك توك يسير أمامك ، أين ذهبت العبارة الجميلة التى كانت تقول (يا تهدى يا تعدى) ، يا مصر ما الذى يجرى ؟ أفيدينا سلمك الله .

من هنا يجب على كل المصريين الالتزام بفقرات القانون الذى سنه

رجال التوك توك - الحكومة- بأن كل من يرى توك توك يلتزم بالسير خلفه حتى نضمن استمرار حياة المصريين وعدم زيادة الزعل أو اللجوء إلى أأمن الوسائل وأيسرها ، الرشوة.

كما أن الالتزام بهذا القانون سوف يحمينا من خورة همام الذى يعلننا أنه (همام عقل اللى من غير عقل) وهذه معضلة فسيولوجية تحتاج لطاقم طبى رفيع يخبرنا كيف يكون همام عقل بدون عقل وحتى يحدث ذلك يجب أن نعلم أن همام ترك عقله لا ندرى أين لذلك فهو مستعد لفعل أشياء شديدة الوقع على السائرين حوله لذا لزم التنويه . كما سيحمينا الالتزام بهذا القانون أيضا من أنياب عسلية الذى يقود توك توك عليه لوحة إرشادية تخبر المارة بأنهم يسيرون فى غابة (احترس عسلية مفترس) ، ليس شارعا وليس مجتمعا ، بل غابة بكل قوانين الوحشية والإفتراس ، ثم كيف يجتمع العسل مع الافتراس؟ لا أدرى . الأمر المدهش أن سائق توك توك آخر كتب يشد من أزر عسلية (بحبك يا عسلية) وبنفس الطريقة يعلن (عربى) الذى يقود توك توك آخر (عربى بيحبك يا عسلية) ، هل الشعب المصرى أصبح يحب الإفتراس ؟. ندعو الله أن يجنبنا ملاقاة عسلية ومحبياه.

كما ظهرت أعراض القوة فى كتابات التوك توك بتمجيد (المعلمه) وهى صفة كانت تطلق على أولاد البلد المتميزين بالرجولة الحقة والصفات الكريمة والنخوة ، كان المعلم فى كل شارع أو حارة يمسك بيده خيوطا من القوة الممنوحة له من المحيطين به عن طيب خاطر ليتولى الصلح بين المتخاصمين ويرد المظالم ويدافع عن البسطاء ، لقد كان (المعلم) القديم يتميز بالشهامة والمسارعة إلى إعانة الضعيف ورد الحق لأصحابه وكان يتصدى للبلطجة والظلم ثم تغيرت الحياة ودار المجتمع دورة غريبة لتتفسخ الطبقات وتتغير الصفات ويظهر معلمون جدد يضربون الضعيف ويسرقون الفقير وينشرون الذعر بين الناس متسلحين بالسنج والمطاوى والشفرات . ظهرت المعلمه الجديدة فوق جدران التوك توك وأصبحت فخرا وعزة لصاحبها و ردعا وتهديدا وأوامر للآخرين حيث كتب أحدهم (محدش يتكلم أبو منه هو المعلم) و سجل آخر (إحنا صغيرين بس معلمين) بينما طلب ثالث من الجميع الانتباه لوصوله (انتباه يا معلمين) ويصدر توك توك جديد قانونا آخر يقول (ابن المعلم معلم) بينما يأمرنا آخر بما قد

Looloo
www.dvd4arab.com

يصلح عنوانا لعصر القسوة الذى نحياه (ما تقلش رومانسيين إحنا المعلمين) بينما يتساءل معلم آخر واثق من قدرته وكأنه يتحدى الجميع أو يبحث عن معركة (فين المعلمه).

كما توجد فئة أخرى من أهل التوك توك تشعر بقوتها وتميزها عن أهل الشارع جميعا ولكنها تعرض هذه القوة بطريقة مفعمة بالثقة والغرور فيقول أحدهم (السمك مهما كبر الحوت هيفضل حوت) وهنا يقصد نفسه بالحوت بينما بقية العابرين سمكا صغيرا وفى نفس السياق يؤكد سائق آخر (السمك مهما كبر الحوت هو الأصل) وسائق ثالث يخاطبنا قائلا (خليك على أدك يا حبيبى). ويظهر أحدهم قوته وسيطرته الغزيرة عندما يقول (أنا رحت الجيش وسيبت الناس تأكل عيش) ، هل كان هذا السائق يحتكر السوق بمفرده أم أنه كان مسجل خطر . ومع استمرارى فى جمع العبارات من فوق جوانب التوك توك ظهرت مجموعة كتابات جديدة لم تكن موجودة أبدا عند بداية العمل ، خلال عدة شهور تغيرت نبرة القوة وعلت الجرأة فوجدت من يسجل بالخط العريض الضخم فوق مؤخرة التوك توك (العصابة) ، هكذا وفى سرعة مذهلة زادت جرعة الانفلات والاندفاع وخفتت الرهبة والخشية من الحكومة والشرطة و حتى من (السائرين نياما) فى الشارع فكتب أحدهم بصورة ساطعة بلا مواربة أو ذرة خوف (إصحى يابا إحنا العصابة) بينما انضم أحدهم لتشكيل آخر أكثر قوة وله شهرة عالمية تاريخية حيث سجل على جدران التوك توك (المافيا).

بجوار هذه العصابات فضل أعضاء آخرون من هذه المجموعة العنيفة إظهار إستراتيجيتهم فى التعامل مع أهل الشارع بطريقة عنيفة وعدوانية كأنهم يسيرون فى شوارع مدينة معادية أو كأن لديهم ثأرا مع من يسيرون فى الشارع فسجل أحدهم (جرح بجرح) وقال آخر (خليها تاكلك) ظننت أنه يقصد أن الماكينة - الاسم الشائع للتوك توك عند أهله- سوف تأكل من يقف أمامها ، والأكل هنا كناية واضحة عن الصدام واكتساح من يتجرأ ويقف فى طريق الماكينة ، كنت أعتقد أنها البلطجة ، ليته كان صحيحا. وهنا أقف برهة على الرصيف لأنتحب ، حيث كان هذا الإعتقاد الساذج هو ما ورد إلى ذهنى عندما سجلت هذه العبارة ولكن حدث أننى كنت أقف مع بعض شباب التوك توك فى قريتى وأخبرتهم عن جمعى عباراتهم

فأخذوا يذكرون لى المزيد من العبارات حتى إذا وصلنا لهذه العبارة وذكرت لهم تفسيرى الأهبل وجدتهم يغرقون فى الضحك من العبط الشديد الذى أعانية وأوضحوا لى أن كاتب العبارة لم يمر فى خاطره أبدا هذا التفسير بل الشاب بكل صدق كان يقصد المؤخرة ، ليست مؤخرة التوك توك بالطبع بل مؤخرة الإنسان ، الشرج ، والتى يذكرها أهل السوء بكل سوء ، عبارة يمكن نقلها بسهولة إلى قسم الواقحة وخدش الحياء ، عبارات كثيرة- بكل أسف - تنتمى لدنيا الوقاحة .

ثم تنقلنا العبارات نقلة خطيرة - كأن كل ما فات لم يكن خطيرا - لنجد أنفسنا وسط عبارات مفزعة ومرعبة ، عبارات تحمل تهديدات وقسوة تقترب من التشوه النفسى ، عبارات غارقة فى العدوانية والنقمة نحو المجتمع مما يلزم الدولة و المسئولين عن إدارتها إلى التحرك وضرب ناقوس الخطر قبل أن ينفلت الأمر وينزاح صمام الأمان فنجد أنفسنا فى ساحات للجحيم . هذا أحدهم يقول (إن عشت هذلكم وإن مت الله يسهل لكم) هكذا بكل بساطة .

لقد كانت هذه العبارة القاسية واحدة من الدشم اللغوية التى دفعتنى لأقتحم عالم التوك توك ، شعرت بالخوف والقلق من القادم ، خوف على الأطفال والشيوخ والترع والحقول ، خوف على العلم والنشيد ، المسجد والكنيسة ، هل هذا الفتى مصرى أم أنه جاسوس ؟ هل هو من أهل هذا الوطن أم لعنة جانحة ؟ ما هذا الإغتراب عن المجتمع ومن أين جاءت هذه العدوانية الطاغية ؟ ما الذى يدفع شاب فى مقتبل حياته ليرفع شعارا ناريا كهذا ؟ أية تربية وأية بيئة تنجب لنا مثل هذا القبح ؟. لقد إرتعش قلبى عندما قرأتها وشعرت بألم داهم ، لماذا يا بنى ؟ نحن لسنا أعداءك ، إننا نحبك ونحب كل شباب التوك توك وحبنا لكم ليس خوفا من الذل الذى تهددوننا به بل إنه حب خالص لهذا الوطن وأهله ، حب صادق للأرض والزرع والشارع وقبل كل ذلك للناس ، كل الناس. لماذا هذا الوعيد المرعب والذى لن يرفعه عنا سوى الموت ، يبدو الفتى غاية فى التصميم والتهديد ، هل هذا يجعلنا نتمنى له الموت ، إنه ليس حلا ، يجب أن نعيد جميعا التفكير فى علاقاتنا ويجب أن نرعى هذه العلاقات ونعيد بث الحيوية والحياة فى شرايينها. يجب أن نبذر الرحمة والعطف فى كل الدروب قبل أن يتمكن هذا الشاب من تحقيق تهديده ، ثم أن هذا الفتى

Looloo
www.dvd4arab.com

ليس بمفرده بل هناك على الدرب رفقاء حيث كتب أحدهم رسالة مقتضبة يقول فيها (لن أطلب الرحمة من أحد ولكن سيأتى يوما - كتبها هكذا - لن أرحم فيه أحد) ، إنه إعصار العنف والغضب القادم ، إنه الإنسلاخ المزعج للشباب من وحدة المجتمع ، إنها نقمة شباب لم يتوافر له غير الإهمال والإستغناء ، شباب لا يشعرون بقيمتهم لدى الدولة بل يشعرون شعورا طاغيا بأن الدولة تعمل ضدهم بحماس لا يكل ولا يمل .

مرة أخرى أزمة الثقة ، من لنا بترياق حتى لو كان مرا ليعالج هذا الوحش السرطانى ، هؤلاء الشباب فى حاجة ماسة لبناء نفسى جديد يزرع فيهم الحب والإنتماء ، هم فى حاجة للحلم والأمل ، هل يوجد بيننا من يشعر بالخطر ويعمل من أجل ذلك أم أنها ستظل متروكة لتسير بلا دفة أو حكمة ؟ ليس لها من دون الله كاشفة.

ثم تصحبنا العبارات فى رحلة التحدى والإنفلات إلى كتابات تقدم لنا آراء أهل التوك توك الخاصة فى الحكومة والحكام ، آراء مقتضبة ومبتورة، بدون تفصيل . يقول أحدهم فيما يشبه الحكمة الخالصة (الندل ندل حتى لو حكم بالعدل). حكمة بالغة فهل تغنى النذر ، إننا قد نقبل بحكم النذل إذا طبق العدل رغم أن النذالة لا يمكن أن تقترن بالعدل.

ثم يحاول بعضهم تقديم تبريرات مقنعة لإستقوائهم واعتناقهم القسوة و البطش حيث أرجع أحدهم ذلك إلى عوامل وراثية بحته فقال (ولد ابن ولد على الشقاوة إتولد) ، ويقول آخر (عايشين من غير قلوب) ترى من نزع القلوب من صدورنا وغرس مكانها أحجار القسوة؟ بينما يعترف أحدهم قائلا (الشقاوة من عندينا بس ربنا يهدينا) بينما عزى آخر الأمر إلى عالم الحيوان والذى يعتقد الكثيرون منهم أننا نعيشه حيث الأمر لديهم يشبه الغابة تماما بكل صراعاتها اليومية من أجل لقمة العيش ، فالحيوانات لا تكف طوال اليوم عن السعى و الحركة من أجل الظفر بطعام يسد الجوع مهما لاقى الحيوان من صراع وعنف فى سبيل ذلك وكذلك رجل التوك توك يصارع ساعات النهار والليل من أجل توفير المبلغ المقدر له فى الوردية وهكذا لابد من القسوة والقوة واليقظة وإلا تعرض لمصير يحدده أحدهم قائلا(لو نام السبع شوية الكلاب يأكلوه) بينما ينبهنا آخر إلى خلاصة حكمة التوك توك فيقول (خليك ديب بلاش تخيب). دعوة لتوحش المجتمع فهل يوجد من يقاومها قبل فوات الأوان؟

الفصل السادس

لوزعلان البحر مليان

Looloo
www.dvd4arab.com

أشد غصة أصابتنى عند مطاردتى لماكينات التوك توك المنطلقة فى حركة مريكة ومرعبة كأنها حيوانات الأفلام الخيالية عبارة جعلتنى أقف متسمرا فى مكانى فى الميدان الرئيسى الممتلىء بالغبار والضوضاء فى مدينتى عديمة الملامح. عبارة صدعت أعصابى وقبضت بعنف على قلبى وعصرته ونصبت حولى خيمة من البرد القارص والغيم اللذين ينشران فى النفس اصفرار القنوت . جعلتنى هذه الجملة الحارقة التفت لظاهرة وخطورة الكتابة فوق التوك توك ومن ثم أشرع فى تتبعها وتسجيل الكتابات المنتشرة فوقها بأمر جاد بعدما كنت أقرأها بمشاعر ضاحكة وسخرية مريرة دون شعور بخطر أو خوف . وهل يأتى الخطر من كلمات موزونة الإيقاع ذات قافية مكتوبة فوق جدران توك توك بسيط ينتقل بيسر فى شوارع المدينة. هذه العبارة الصادمة كانت السبب فى هذا العمل المتواضع وتسليط الكاميرا على هذه الظاهرة . تقول العبارة الكارثة (ما تجريش ورايا أختك راكبة معايا) . فى هذه اللحظة الغريبة اكتسحنى تيار وحشى من الرعب والخوف والغثيان ، سرت فى عروقى تيارات عنيفة من الأسى والحزن ، منذ هذه اللحظة أصبحت أخاف على مصر وعلى فتياتها وأطفالها وعلى كل الأشياء الحلوة فيها ، شعرت حينها أن الأخلاق والشهامة والحياء فى وطنى الذى يتغير ويهتز بشدة كأنه عربة تسير فى حقل للألغام فى خطر شديد. إوعى تجرى ورايا أختك راكبة معايا ، هل هذا إعلان عن جريمة خطف أم مواعدة سرية أم زواج عرفى أم أنه تحد وتكبر ؟ ، هل الأمر إغتصاب أم حب أم شغف أم عشق ؟ هل هى المراهقة أم النضج ؟ هل هو هزل أم جد؟ هل خطفتها يا رجل التوك توك أم أنك أدرت لها قصص المطاردة والمشاغلة حتى تقع فى غرام فتى التوك توك الأول الذى انطلق بها فوق صهوة جواد حديدى ليس له تاريخ أو أصل أو فصل .

Looloo
www.dvd4arab.com

ماذا يفعل الإنسان عندما تكون أخته راكبة معك أيها السيد التوكتوكى الخطير؟ هل يرفع لك التحية والإجلال ويتمنى لك السلامة أم يدير رأسه بعيدا ويغض الطرف حتى تمر فلا يرى أخته و هى بجوار الفارس النبيل أم يجرى خلفك ليدق عنقك وينقذ ما بقى من شرفه ؟ وإذا كان مطلوبا من الأخ أن يتقاعس عن نجدة أخته ويكف عن مراقبتها فهل نطلب من رجل الشارع العادى أن يهرع لنجدة فتاة تتعرض لمعاكسة أو اختطاف أو تحرش؟

أخذنى التفكير فى العبارة ، كيف لاحت له وكيف أتته الجرأة ليسجلها فوق توك توك يذرع شوارع المدينة ليلا ونهارا ؟ ، ألم يخش لومة لائم أو نظرة استهجان؟ ألم تأزه لسعة حياء أزا بسيطا ؟ كانت الوقاحة فيما مضى ذات حدود ، كانت تستحى من عين المجتمع ، كانت تهرب عند مواجهة كلمة العيب ، لكنها الآن أفلتت فلم يعد أحد يقدر على رد جماحها . إنه بعبارته الخطيرة يتهم الناس فى شرفهم وعرضهم دون ذرة خجل بل إنه من شدة وقاحته يدعوهم إلى الديائه ويأمر الأخ بالتحول إلى مجرد مشاهد للمباراة من خارج الملعب لا يحرك ساكنا عند رؤيته لأخته مع سائق التوك توك. وقد يقول قائل إن الأمر بسيط وهين والرجل لم يخطىء لأن الأخت ربما ركبت التوك توك مثل كل الناس لنقلها من مكان لآخر ، وهنا نقول لو كان الأمر كذلك فلماذا يحذرنا السائق من الجرى خلفه ؟ إذا كان الركوب مجرد توصيلة عادية فلا داع من الأساس لمطاردة التوك توك ولكن السائق يحذرنا من الجرى خلفه إذا فالأمر غير عادى والركوبة بها ما بها مما يقلق ويرجف. الغريب أن هذه العبارة تكررت كثيرا، كأنها أعجبتهم ونالت رضاهم ، بل تجرأ وتفرد أحدهم فكتبها باللغة الإنجليزية . لكن بعد مدة طويلة من انخراطى فى البحث وجمع العبارات وجدت عبارة أخرى مشابهة تقول (إوعى تجرى ورايا أختك مش معايا) تقريبا نزلت من التوك توك ، ما هى حكاية الأخت مع أهل التوك توك ، ولماذا الأخت بالذات ؟ إن مجتمعنا تعود عندما تضربه حمى السب والقذف أن يسب الأم ، شرف الأم ودين الأم وعرض الأم ، لا يقترب أحد من الأخت ، تلك ثقافة غربية ، هل نقلدهم حتى فى طريقة السب؟ يبدو أن الأمر تغير فإتجهت بوصلة الرمى إلى الأخت والتى تمثل عند الكثيرين الشرف والكرامة والعرض . وربما يكون اتجاه أهل التوك توك إلى مهاجمة

الأخت نظرا لعدم تزوج معظمهم وبالتالى فليس لدى أحد منهم زوجة أو ابنة ولكنهم يوجهون هذا الكلام إلى رجل الشارع الذى يمتلك الكثير من الأخوات ، ما التفسير ؟ لا أدرى .

لقد لاحظت أن دكتور سيد عويس فى كتابه (هتاف الصامتين) لم يسجل عبارة واحدة أو كلمة تشابه من قريب أو بعيد هذه العبارة ولم يرد للأخت أو الأم أى ذكر ، فماذا حدث لمجتمعنا وما سبب جرأته الوقحة على مهاجمة الأعراض ؟ هل هو جزء من وهن العيب أم أنه حلقة من حلقات اضطهاد المرأة ؟

الجملة التالية فى رق الوقاحة تقول (الحب زمنه فات والبنات زى المداسات)، لقد أتعبت بصرى حتى استطعت كتابتها وظللت أسير بالسيارة خلف التوك توك ببطء حتى ألتقطها ، فى البداية اعتقدت أنها تقول (البنات زى المسدسات) فابتسمت ولكنها لم تكن كذلك أبدا فأصابنى الوجوم ، ثم أتعبتنى مرة أخرى عندما أردت أن أسكنها فى بيتها فترددت هل أدعها تقطن فى أحد منازل كلمات الحب أم أنها يجب أن تحشر فى وادى الوقاحة فلما وجدتها لا علاقة لها بالحب كدستها هنا ، إذا فالبنات أحذية ، هكذا يرى هذا السائق المهذب ، أخته وابنة عمه وابنة خاله ، أحذية ، ليس مهما أن يفوت زمن الحب ، رغم أن ذلك كارثة ، لكن الخطير تلك النظرة الغبية نحو الإناث ، نظرة القبيلة الجاهلية ، الأنثى أقل فى المنزلة والقيمة والقدر ، يوجد من يفكر هذا التفكير الآن ، إنهم كثيرون ، مادام زمن الحب الرائق والصحى قد فات فلابد أن يحل مكانه زمن الفحش فى القول والعمل.

ثم نقرأ عبارة تقول (وهى معاك لسه حبيبتى) والعبارة موجهة إلى خطيب وربما زوج لفتاة كانت ذات ليلة سوداء على علاقة حب برجل التوك توك وكالعادة لم يوفق فى الارتباط بها نتيجة ظروفه الاقتصادية أو درجة تعليمه وربما يكون للعامل الإجتماعى دوره فى رفض أسرة الفتاة له وغالبا يظن الجميع أن العلاقة انتهت وصرف سائق التوك توك بثه العاطفى إلى ترددات أخرى بعيدا عن مدار هذه الفتاة التى ترتبط برجل جديد ، رجل ربما لا يعرف عن ماضى الفتاة شيئا لكن رجل التوك توك - قبحه الله من رجل - لا يرعى للحب حقا ولا تأخذه بحبيبته القديمة شفقة أو ذكرى طيبة فيعلنها على الهواء مباشرة ويسجلها فوق جدران التوك توك ليظل

www.dvd4arab.com

يدور بها ليلا ونهارا تشهيرا بالفتاة وتحقيرا للرجل الجديد ونحن هنا نحذر فتياتنا البريئات من الارتباط العاطفى مع أحد سائقى التوك توك لأن هذه العلاقة إذا قدر لها الفشل فستصبح الفضيحة مدوية وسيعرف حديثها القاصى والدانى .

عقب هذه المنحدرات الوقحة التى تتعرض للفتيات يعرج بنا نهر الوقاحة التوكتوكيه إلى منطقة أخرى حيث السخرية من الآخر بوجه عام فنجد أحدهم يذكرنا أن (الرومانسى واحد بس يا خونه) ، مرة أخرى يفجعنا أحدهم برأى مهين ، من جديد يعودون إلى وصم الجميع بالخيانة ، العميد أخبرنا من قبل أننا خونة وتقبلنا رأيه مجبرين لأنه عميد وهو مركز مرموق وذو سطوة ولأن العيب عندما يخرج من أهل العيب لا يكون كذلك ، ولكننا نتساءل بهدوء إذا خرج العيب من الرومانسى فأين هى الرومانسية إذا ؟.

هل الخيانة واضحة فينا إلى هذا الحد حتى يراها أهل التوك توك وحدهم بينما لا يلمح وجودها بقية السائرين فى الشارع ؟ ثم ما هو نوع الخيانة التى يرونها ونحن عنها غافلون ؟ هل هى خيانة الأمانة أم خيانة الوطن أم الخيانة للصديق التى يعانون هم منها بقسوة أم أنها الخيانة الزوجية ؟ الحق أن كتاباتهم لا تعرض لنوع الخيانة. كما أننا لا نستطيع التوجه إليهم بالسؤال أو حتى الاحتجاج والاعتراض ، إن هذا لا يعنيهم بل إنهم ينفجرون فى وجوهنا (لو زعلان البحر مليان) وهى ترجمة لعبارة يذكرها المصريون للشخص الذى يبدى غضبا من أحدهم ويكون هذا الشخص غير ذى قيمة تذكر لديهم فيطالبونه بالشرب من البحر علامة عدم اكتراثهم بضيقه بل تكريسا لهذا الضيق وإشعالا له ، كما أنها تدل على ضعف حيلة (الزعلان) وعدم قدرته على التغيير. هكذا يخبرنا الرجال أن زعلنا لا يشغلهم ويعلوننا أن البحر ممتلىء لنشرب منه أجاجا عندما نريد ، يبدو أن المصريين جميعا يشربون من البحر. ولا يتركوننا فقط للبحر بل يخبرنا أحدهم (خلاص راحت عليكم) ، ما هى الأشياء التى راحت ، لا يخبرنا ، ولكنها عبارة ذات دلاله تذكر عن شخص كان له وضع وقيمة ثم دارت الأيام فذهبت قيمته واختلف وضعه والواضح أن أهل التوك توك يقصدون المصريين عامة حيث راحت عليهم صفات طيبة وأيام عزة ، راحت عليهم أحلام لا حصر لها ، وأجيال لا ذكر لها وآمال لا حدود

لها ، لم يبق لديهم غير الحصرم يضرسونه ليل نهار. وما يؤكد زعمنا هذا قول توك توك آخر (شوفلكوا لعبة) ، إنها دعوة للبحث عن اللعب بعد أن انتهى الجد والعمل ولم يعد لدينا شىء نفعله كما أن هذه العبارة تقال للخاسرين الخائبين الذين فقدوا أو أضاعوا فرصة ثمينة يصعب تعويضها فيقال لهم شوفلكوا لعبة مما يشى بالخيبة الثقيلة . ثم يجرنا توك توك آخر إلى درجة جديدة لأسفل فى سلم تدنى اللغة والأخلاق عندما يكتب (كوخة) ، فقط كلمة واحدة بحروف ضخمة تفقأ أعين المارة وتزكم برائحتها أنوفهم ، كوخة تلك الكلمة التى تحرص المصريات على تلقينها لأطفالهن الصغار ليعبروا بها عن رغبتهم فى قضاء الحاجة وتحرص الأم أن يكون هذا بينها و بين صغيرها حتى لا تثير التقزز لدى المحيطين يأتى هذا التوك توك ليضعها كالشمس فى وجهنا جميعا ، وليته أوضح ماذا يعنى بكلمته ؟ هل يريد الذهاب إلى دورة المياه أم أن التوك توك رائحته كريهة فيحذرنا من الاقتراب أم أنه أراد وصف الحياة أم المجتمع أم وصفنا نحن ؟ لقد فعلها فى وجهنا وانصرف بالتوك توك دون إيضاح. ومع تواصل سيل الوقاحة يضع توك توك جديد رأيه فيمن حوله قائلا (محدش عارف حاجة) ويدركه على التو صديق آخر هاتفا (أحلى حاجة محدش فاهم حاجه) . رغم الوقاحة فى وصف الجميع بالجهل ونضوب الفهم وإيداء السعادة - أحلى حاجة- بعدم الفهم العام إلا أن هذه العبارات تضع بؤرة نور أمام أعيننا عن أزمة الثقة التى يعانى منها أهل التوك توك وتعانى منها أم الدنيا كلها ، لا أحد يثق فى أحد و لا أحد يوقن بصدق أحد. هذه العبارة رغم وقاحتها التى تطعن فى معرفة الناس جميعا إلا أنها تشخص حالة عامة لدى المصريين من فقد الثقة فى كل ما يحيط بهم وشعورهم بأن الأمور تسير دائما حيثما اتفق حيث لا توجد أبدا فى شتى مناحى الحياة - المصرية - مصادر ذات علم صادق يعتمد عليها أو خطط وطنية خالصة وصادقة ترشد الناس لم يجب عليهم عمله عند ظرف معين. محدش عارف حاجة ، كل يسلك السبيل الذى يظن أنه صحيح ويجدف فى بحار المعرفة بمفرده ، هذه العبارة تكشف أننا أمة لا علاقة لها بالمعرفة إطلاقا وكل ما لدينا سلوكيات عشوائية تأتى من رحم اللحظة ، إننا أمة الفهلوة ، أمة ربك يسهلها ، وساعة الله يعين الله. ورغم أنه محدش عارف حاجة إلا أن الجميع عارفون فى كل شىء فبمجرد فتح

Looloo
www.dvd4arab.com

موضوع مهما كانت صعوبته ينخرط الكل فى الإدلاء بمعلوماتهم وتجاربهم حتى إذا كان الحديث عن الطاقة النووية سنجد من يتحدث وينظر ويروى الأسرار التى قد لا يعلمها رئيس جهاز المخابرات نفسه ، إن المصرى يصبح خبيرا فى جراحة الجهاز الهضمى فقط لأن ابن أخته أجرى جراحة استئصال الزائدة الدودية ، لأنه لا يوجد فى قاموسنا عبارة (لا أعلم) لذلك أصبحنا جميعا لا نعلم. عقب ذلك تدخلنا لوحات التوك توك إلى ما يشبه المشاجرة حيث نشعر كأن حروف الكلمات المكتوبة تتحول إلى نبرات خشنة وأصوات عالية ونكاد نرى توابل المشاجرات المصرية الحديثة من لكمات وأسلحة البيضاء وعصى ونحن نقرأ ما كتبه أحدهم (أوعى تنسى أصلك) وهذه العبارة تفتتح بها غالبا المشاجرات ورغم أنها تحض الإنسان على التواضع بتذكيره أنه من أصل طين لكنها فى المشاجرات تستخدم لتحقير الخصم ووصفه بالدناءة والانحطاط ، ثم تدركنا عبارة أخرى تقول (شايف نفسك على إيه) وهى بدورها تذكر الخصم أنه ليس كما تصور له نفسه من الأهمية وحتى يفيق سريعا يعلمه سائق التوك توك حقيقة الأمر (أنا بابا يالا) ، والسائق يقصد هنا أنه والد الطرف الآخر، ليست أبوة العصب بل أبوة الريادة . علاقة الأبوة هنا ليست علاقة حقيقية ولكنها علاقة روحية المقصود بها القدم والتقدم فى دنيا المشاجرات وليس علاقة الدم وإن كان الدم يأتى سريعا عند التلاحم فى الشجار. وليس كل رجال التوك عنيفين فهذا رجل ينصح من يتشاجر معه بود ونصح يجب أن يؤخذ فى الإعتبار (خليك على أدك يا حبيبى) ويقول آخر (إلعب بعيد يا له - ولد -) بينما يخبرنا أحدهم بمعلومة نادرة عندما يصرخ (أنا بابا ياله) ويجب علينا أخذ هذه النصائح بعناية فائقة واحترام حتى لا نعرض أنفسنا لأشياء قد نندم عليها كثيرا إذ يصرخ أحدهم فى وجوهنا (لا كارك و لا فنك العب بعيد أحسن لك) وطالما ليس لنا فى الكار أو الفن فعلينا بالبعد كما أن اللعب بعيدا خير من مقابلة هذا التوك توك الذى يعلنها صريحة بوقاحة مفرطة ونفعية مادية بائنة (تركب هسليك ، تنزل هولع فيك). ثم يدخل توك توك جديد ليخاطب الجميع بوضوح وحزم قائلا فى أمر محدد (حطو إيديكو تحت رجليكو ده وزة هيدوس عليكو) يا صلاة النبى ، كأنها تنقص السيد وزة ، كأننا فى ساحات يونيو ١٩٦٧ ، الجميع يضعون أيديهم تحت أرجلهم ويستسلمون للذبح ، رغم أن الإوز هو الذى

يذبح ، لكن الأمر انقلب والوضع اختلف ، كيف كان ذلك ؟ لا أدرى ، أنه وضع مهين وحقير، ترى كم فى مصر من الإوز المتوحش ؟

●●●

هذا التوك توك لم أستطع قراءة المكتوب فوق مؤخرته بسهوله ، لقد تركته يتقدمنى فوق الطريق لأرصد ما خط فوقه من الخلف ، حاولت التركيز لحفظ العبارة وتسجيلها فيما بعد فلم أستطع ، لم تكن عبارة واحدة بل كانت عبارات عدة كأنها مقالة أو قصيدة شعر ، حاولت السير خلف التوك توك والقيادة - لسيارتى - بيد واحدة وتسجيل العبارات بيدى الأخرى لكن منعنى سببان أحدهما آلات التنبيه الزاعقة بجنون من السيارات التى تسير خلفى ولا يعجبها سيرى البطىء خلف توك توك صغير ، السبب الثانى كم السباب واللعن النازل فوق رأسى من أفواه كل قائدى السيارات التى كانت تسير خلفى والذين - أعزهم الله - بمجرد محازاتى كانوا يلقون إلىّ ما تيسر من الشتائم حتى أن أحدهم أخبرنى بحقيقة كنت أجهلها تماما رغم سنوات عمرى الطويلة إذ قال لى الرجل - مشكورا- لما أنت حمار فى القيادة بتسوق ليه ، كما سب أحدهم والدة من أركبنى السيارة ولكنه لم ينتظر حتى أخبره أن أحدا لم يفعل ذلك بل أنا ركبتها بمفردى ، بينما كان بعضهم - والحق أقول - لا يكتفى بالسباب بل كان يقرنه بالبصق. اضطررت إلى الإسراع بالسيارة حتى إذا ما اتسع الطريق توقفت انتظارا للتوك توك ثم سرت خلفه حتى توقف فى (الموقف) الخاص به وجعلت أنقل العبارات بسهولة. كان السائق يتحدث مع شخص ما لابد أنه يعرفه بينما نحن نجهله لكنه يخاطبه بصوت عال واستهزاء ، يبدو من طريقه الكتابة أن الصوت كان مرتفعا لحظه الكتابة إذ الحروف متعرجة ومتآكلة كأن من يسجلها تطارده الشرطة للقبض عليه فى جريمة ، كان السائق يقول (أنا المعلم يالا - يقصد ولد - إنت بتضحك على أمك - وإحنا بنضحك عليك - ده مالنا ومحدش يسألنا - مالكش فيه - اتعلم من المعلم) عبارات غامضة كأنها شفرة عصابة لتهريب المخدرات ، كأنه يريد أن يسجل كل أفكار وثقافة الفئة التوكتوكيه ، السائق يخاطب من يصفه - لضعة شأنه - بالولد ليخبره أنه - هذا الولد - يغش أمه ويخدعها والسائق بدوره يخدع هذا الولد ورغم أن الخدعة تكون فى سرية إلا أن السائق يعلن خدعته دون خشية أو ذرة خجل بل يبدو كالمفتخر بفعلته ثم أنه لا يخشى رد فعل هذا الولد عندما يكتشف الخدعة ، الأمر يبدو فى غاية المكاشفة وكان السائق على موعد مع انتهاء

www.dvd4arab.com

العلاقة بهذا الولد لذا يخبره بالحقيقة الغائبة دون خجل أو خشية ثم يستدير هذا السائق الواثق تاركا هذا الولد وضيع الشأن ليواجه من هم أعلى وأجل شأنا ، إنه يخبر الجميع وكأنه أحد تجار الوطن الكبار أن المال يخصه، وهو لم يوضح لنا نوع هذا المال وقيمته لكنه يريد أن يوصل لنا رسالة واضحة وصارخة ، أنه فوق المساءلة وخارج نطاق اللوم أو المحاسبة. إنها مصر فى الثلاثين عاما الأخيرة ، تطل من فوق جدار هذا التوك توك ، الخروج عن القانون واستصغار قيمة الآخرين وتضخم الشعور بالذات ، إنها تلك العبارة اللعينة التى تسرى فوق الألسنة بيسر وسهولة ، (إنت عارف بتكلم مين) ، عندما ينتهك القانون وينهار تظهر هذه العبارة ، فى مخارج المطارات تظهر هذه العبارة لتخرج حقائب وبضائع بلا جمارك ، فى كمائن المرور عندما تكسر الإشارات وتدهس تعليمات السير ، فى أقسام الشرطة وعند كل البوابات المغلقة تظهر (إنت مش عارف بتكلم مين) ، والغريب أن هذه العبارة التى تأتى دائما على ألسنة مخالفة وخارقة للقواعد ومبتعدة عن الالتزام تثير فزع المتلقى الذى هو غالبا فى جهة الحق وتضعه فى موضع الخوف والإحساس بالخطأ ، إنها عبارة ذرية تقلب الأوضاع وتحيل المخطئ إلى صاحب حق بينما يتزايل صاحب الحق الأصلى ويتحول إلى متهم يقدم الاعتذارات والترضيات حتى يعفو عنه صاحب العبارة. هل يوجد فى مصر من لم يقل هذه العبارة ذات مرة ، ضباط ورجال جيش وأهل قضاء وأساتذة جامعات ومخبرون فى الأمن ، الكل يشعر بتضخم ذاته وقوته الجبارة وأهميته الشديدة ، إنهم يشعرون أن مقاسهم أكبر من مقاس الوطن ، بينما يتراجع ويضعف ويهن أهل الوطن الحقيقيون الذين لم يذكروا هذه العبارة مرة فى حياتهم ، ثم يطالبنا هذا الذى لا يسأل أن نتعلم منه ، ماذا نتعلم ؟ كالعادة لم يوضح ، لكن الأمر هنا بديهى ، سنتعلم الغطرسة وكسر القوانين ثم التمترس خلف (إنت عارف بتكلم مين). إذا كان سائق توك توك بسيط يقول ذلك ، فماذا سيحدث لو سنحت الفرصة لكل متضخمى الذات بسطر ما يدور فى داخلهم ؟ ماذا سيقول من يستطيع أن يسجن ويعتقل ؟ وماذا سيقول من لا يمكن تسلم وظيفة حتى حارس مدرسة إلا بإذنه ؟ وماذا سيقول رؤساء المحاكم وأساتذة الجامعات ؟ وماذا سيقول من نهب المصانع والشركات ؟ وماذا سيقول من احتكر السلع ؟ وماذا يقول من سيطر على الأرض وسطا على خيرات وثروات بلدنا التى لا تشبع أبدا من التسليم للصوص والشطار ؟ .

الفصل السابع

سلام يا بلد الكلام

Looloo
www.dvd4arab.com

هل يوجد على ظهر هذا البلد أحد غير مهان ؟ هل يسير فى دروب مصر أحد لم يذق طعم الإهانة العلقمى ذات مرة ؟ هل يوجد هذا الشخص المحصن ضد الإهانة أم الكل مهان ؟ أصبحت الإهانة فى البلد توزع مجانا على الأرصفة وفى طوابير الخبز ومخافر الشرطة ومحطات الأتوبيس ، تمتزج بالهواء وتذوب فى الماء وتتغرس فى التراب ؟ شحت وندرت كرامة الإنسان المصرى ، لم يعد أحد يأمن على نفسه من قبح البلطجة المستشراة فى السلطة الحاكمة وحمق البلطجة المكدسة على نواصى الشوارع وفى المقاهى . كثيرون من المصريين يعانون غربة طاحنة وضياع يدعو إلى الإحباط ، كثيرون يشعرون أن البلد لم يعد بلدهم ، إنه بلد آخر، بلد لم يعد لديه القدرة على منحهم الإحتياجات الشرعية للنفس البشرية ، بلد يغرق فى الضوضاء والقمامة والعشوائية والقبح ، فوضى فى التعليم والصحة والمحليات وعند اشارات المرور ، الأخطر أن البلد فقد القدرة تماما على منح مواطنيه القدرة على الحلم ، الناس فى مصر لم تعد تحلم بأى شىء . كثيرون يحلمون بالهروب بأنفسهم وأطفالهم إلى شوارع منظمة ونظيفة ومساكن صحية جميلة المعمار والطلاء وماء صالح وطعام آمن ، من لديه الجرأة والعزم هرب إلى الخارج ومن يملك المال هرب إلى (الكمبوندات) المشيدة فى الطرق الصحراوية وفيلات الإعلانات ، أما الشعب فيقبع وسط الصخب والحفر والحوادث وإنهيارات المنازل وإنفجار مواسير الشرب وجميع أنواع الإنفلونزا . هكذا كتبها هذا الفتى فوق التوك توك (سلام يا بلد الكلام) ما هو البلد وما الكلام وما نوع السلام المذكور ؟ هل البلد تعنى مصر؟ وهل مصر تشغل حيزا مهما عند أبنائها وهل تتعلق ألباب أبناء التوك توك بمصرهم ؟ وهل مصر أساسا مشغلة

Loolo
www.dvd4arab.com

بأبنائها ؟ الجميع بمن فيهم أهل التوك توك يشعرون أن وطنهم فى حالة معيبة من الإعياء والوهن ، الجميع يشعرون أن مصرهم تتفتت إلى شظايا من الزجاج الجارح يمزق أعصابهم ويدمى خطواتهم بينما فى مكان آخر يعاد تجميع هذا الزجاج ليصير ألواحا من المال والأرصدة المريكة والقصور والتجمعات السكنية الموغلة فى الفخامة يمتلكها نوع آخر من المصريين ، نوع لا يراه المصريون الحقيقيون إلا فوق الشاشات ومانشيتات المجلات الملونة ، أناس نشعر نحوهم بعداوة فطرية ، حالة مبهمة تسيطر على مشاعر معظم المصريين وتخالجهم فى صحوهم وتجرح صفاء أوقات سمرهم ، إنهم يحسون أن مصر رافضة لهم كأنهم لقطاء لا يمثلون مثقال ذرة ، إنها تجرعهم الإهانة فى الشارع وتسقيهم الذل فى المؤسسات وتسحقهم تماما فى مراكز الشرطة وتنزعهم من إيهاب الآدمية على أبواب المستشفيات ، إنها تضن عليهم بشربة ماء زلال ، ربما نكون الوحيدين فوق وتحت الأرض الذين يلقون براز أطفالهم فى كوب الماء الذى يشربونه ، الناس جميعا من أسوان حتى دمياط يتخلصون من قمامتهم فى مياه النيل ، دون أدنى شعور بالخزى أو مجرد وخز فى الضمير ، يبدو ضميرنا فى حالة مرعبة من التبلد ، إن المصريين الحقيقيين لا يستوعبون لماذا تحرمهم مصر من ثمرة فاكهة سليمة وتضن عليهم بوسيلة مواصلات صادقة ، لقد صارت الفاكهة أيضا فى حالة من الغربة تشبه غربة المصريين فى وطنهم ، لا طعم ولا رائحة ، أما الأتوبيسات العتيقة فتشعرك بجو المتاحف البدائية . لقد أصبح من اليقين لدى معظم المصريين أن هناك مصرين ، مصر ممسوخة كأنها جنين تدخلت عوامل لا حصر لها لتشويهه ونزع كل الملامح الحقيقية عنه ، مصر هذه تضم كل المصريين ، أهل التوك توك والميكروباص والطوابير والمطبات والتليف الكبدى والفشل الكلوى والغبار وحقائب القمامة على النواصى والحيوانات النافقة فى مياه الشرب والحذاء الواحد والجوارب المخروقة ومزلقانات القطار وبضائع الصين العفنة ومصايف جمصة وفايد والملابس الداخلية المتآكلة ورائحة العرق النافذ وأطفال المدارس المصابون بفقر دم . أما مصر الآخرى التى يشعر المصريون نحوها بشعور عدائى متنام يماثل تماما شعورهم نحو الإحتلال فهى مصر التى تعيش خلف أسوار عالية فى تجمعات سكنية فارهة وطائرات خاصة وقصور على شواطىء لا يصل إليها إلا أصحاب السيارات

السوداء غريبة الماركة وطعام قادم من باريس وملابس لامعة وسحنات تتضح بالصحة والروائح الغالية وأطفال مترعون بالصحة والحيوية . إننا - المصريون الحقيقيون - لا نرى مصر هذه إلا فى الأفلام الحديثة وصفحات الإعلانات وأحيانا فى صفحات الحوادث والوفيات. يشعر المصريون بأن مصر تدير لهم ظهرها بينما تبذل كل ما فى وجهها من جمال وألق لفئة محدودة ومحددة من أبنائها لا يتجاوزون عدة آلاف ؟ الجميع يشعرون أن مصر لا تأخذ بالها منهم لذلك لم يعودوا هم يلقون لها بالا ؟ أصبح ما يشغلهم البحث عن سم خياط يتسربون من خلاله إلى خارج هذا الوطن.

ما الذى يربط شباب التوك توك بالوطن ؟ ، هل يكفى الميلاد وجذور الأسرة ومنزل العائلة ودروس الإبتدائى الساذجة لبناء جسور الإرتباط بين البلد وبين أبنائها ؟ إذا لم يجد الشاب تعليما حقيقيا ومدارج صحية للنمو والنضج ومستقبلا يحمل فرصة عمل محترمة ومساحات واسعة للحلم فهل يبقى على صلة بهذا الوطن المريض ؟.

عندما ينزع الفتى بقايا أحلامه ويغلق نقط النور المتبقية فى داخله ويتخلص من عبء الوطن الثقيل فإنه يدير وجها مفعما بالأسى والحزن والرثاء ليلقى سلاما لا ود فيه ولا شوق ، سلاما ممتلئا بالغيظ والحنق والتحدى لكل الصعاب القادمة حتى لا يضطر إلى العودة إلى هذا الوطن القاسى . يلقى الفتى سلاما جزعا وساخرا ويرحل . المصريون عندما يفقدون الأمل أو يكرهون لا يلقون سلاما كاملا بل ينبسون بكلمة واحدة كأنها البتر أو شهقة الموت ، سلام ، فقط سلام بلا رحمة أو بركة ، سلام المرارة والإستهجان وقمة القنوط . لا يكتفى سائق التوك توك بهذا السلام الصعب بل يكثف حقيقة البلد ويجمع مرايا الكون ويرصدها فى وجوه الجميع لتتجمع حقيقتنا المذلة المذهلة إننا بلد كلام ، فقط كلام ، سلام يا بلد الكلام ولا فعل ، سلام يا بلد الكلام ولا عمل ، سلام يا بلد الكلام والرطن والشرثرة ولا صمت ، كلام ليس له قيمة ولا وزن ولا قدر ، سلام يا بلد الكلام الذى لا يسمن أو يغنى من جوع ، سلام يا بلد الكلام الذى ليس فضة أو حتى صفيح ، إن الكلام يا قوم ليس عليه جمرك. حتى السلام السياسى الذى تصدعت به رءوسنا منذ ثلاثين عاما يدرك الجميع أنه سلام الكلام والإستسلام والضعف ، إننا نشعر أن الوطن فى حالة

Loodo
www.dvd4arab.com

عامة من الضعف الإقتصادى والصناعى والأمنى والأخطر من كل ذلك الضعف الإجتماعى أما الضعف الجنسى فحدث عنه ولا حرج . ثم يدخل توك توك جديد تحت المجهر ليؤكد لنا مؤازرته لشقيقه التوك توكى فيلقى علينا السلام بطريقته الآمرة الجافة المفعمة بالإنفعال والغضب (سلام ممنوع الكلام) . لم يدع لنا حتى فرصة رد السلام ، إن سلامه من الأساس لم يكن تحية بقدر كونه ضجرا وتباعدا وإكتئابا من كل المحيطين به . وبجواره نجد توك توك آخر يعتنق نفس الفكر عندما يصرخ فى وجوهنا (خلص الكلام) . الكلام الذى هو وسيلة التواصل ووعاء الحب والود والتراحم يخلص وينتهى ، الكلام الذى علمه الإله لآدم وكرمه به على الملائكة يخلص ويجف بين المصريين ، وعندما يخلص الكلام وسيلة التفاهم والتسامح تظهر لغة الأيدى المسلحة بالمطواه والسنجة والعصا . ثم ترد عبارة فوق توك توك ثالث تؤيد الدعوة إلى عدم الكلام لكن بصورة منمقة وأكثر أدبا وفى إطار من العظة والحكمة فتقول (الصمت لغة الرجال العظماء) . ثم يدخل توك توك جديد خلف زميله السابق ليؤكد ضجره من كثرة الكلام غير المفيد ، ذلك الكلام الضار الذى ينخرط الناس فيه بلا طائل فيتمنى (يا سلام لو الناس تبطل كلام) لكن هذه الحكمة لا تستقر برهة قصيرة حتى تعود عبارات الزعيق والصراخ للظهور بنبراتها الخشنة العشوائية كأننا فى مشاجرة فنجد أبو منه يرفع عقيرته وسط الشارع (محدش يتكلم أبو منه هو المعلم) ورغم إحترامى لأبى منه وتقديرى له رغم عدم معرفتى السابقة به وموافقتى على تقلده كرسى المعلمه بمفرده لكننى أتوجه إليه بسؤال- إذا سمح لى بالكلام - هل يتنافى كونه هو المعلم مع حقنا فى الكلام ؟ ولا يهملنا أب آخر لسماع الرد إذ يصرخ بدوره فى وجوهنا (مع أبو جى جى خلص الكلام). هل فعلا خلص الكلام بين المصريين ؟ الكلام الطيب والمثمر ، التحية والبسمة والوجه البشوش ، الترحيب وإتفضل شاى ولو سمحت ومن فضلك وأهلا يا بلدينا ، أين ذهبت ومن نزعها من حياتنا ؟ ماذا حدث لحواراتنا ؟ يأتينا الرد سريعا من بعيد حيث يأتى توك توك يزمجر ويهتز وهو منطلق كسهم الموت ليصدمنا - ليس فى أجسادنا - بل فى أرواحنا وقلوبنا عندما ينعق (مات الكلام) ، صيغة نعى واسلوب قطع ، مات الكلام فلم يعد للتواصل بيننا من سبيل ، هل يبدو هذا التوك توك متعارضا مع صديقه الذى دمغ البلد

بكثرة الكلام ، لا أظن ذلك ، التوك توك الأول وشم البلد بعورة الكلام ولكنه كلام ليس له قيمة كزبد السيل الذى يذهب جفاء بينما التوك توك الأخير ينعى الكلام الجيد الذى ينفع الناس و يمكث فى الأرض ، أصبحت البلد (مكلمة) لكنه ضجيج بلا طحن . ولأن الكلمة الطيبة بين المصريين ماتت فقد اصطحبت معها إلى القبر أشياء كثيرة كانت تستوطن هذا البلد . لم يعد التواصل بيننا موجودا، إختفى الصبر وظهر الملل فنجد توك توك يقول لنا (ولا نص كلمة) وهى عبارة تذكر مصحوبة برفع قبضة مضمومة وسبابة مشرعة أمام فم يرغى ويزبد ، إنها دائما عبارة تهديد وقمع ، رجل التوك توك لا يريد أن يسمع أو يصغى بل يغتصب الحوار لنفسه فقط بينما الراكب والسائر وحتى ضحية تهور التوك توك يجب أن ينصت ولا ينبس بنصف كلمة . رحل الحلم وإستقر الضجر ، غابت التؤدة وتضخم الإندفاع والإنفعال ، سيطر على حوارنا التلاسن والسب المقذع والتدافع بالأيدى راجت السنج والمطاوى والسيوف . أصبحت حواراتنا معارك وحوار طرشان الكل يزعق ويجعر ولا أحد يسمع . جفت ويبست المشاعر لم يعد أحد يصبر على أحد أو يعذره وظهرت على التوك توك عبارات الإزدراء والتكبر فكتب أحدهم (هتدفع الثمن) وهى العبارة التى أصبحت تحتل مقعدا متقدما فى حواراتنا وإختلافاتنا ، بمجرد حدوث تشاحن رهيف فى الشارع تنفجر الحناجر بالتهديد و الوعيد ويظهر كل طرف ما لديه من بؤر قوة وصلة بأصحاب مراكز القوى فى البلد ويوجه التهديد الذى يحمل ملامح المرحلة (إنت مش عارف بتكلم مين) ويلحقها بعبارتنا التوك توكيه (هتدفع الثمن) . ثم يقفز أمامنا توك توك آخر وهو يحمل عبارة تشبه تابوت الموتى ، عبارة تنغلق على جرح نازف دام كأنها سكين ضخم ينغرس فى قلوب عشاق الوطن ، يقول هذا الرجل القاسى (عشم مات المعاملة دلوقت خد وهات) ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ننعى إليكم عم عشم ، عشم الذى كان يجمع الأهل والأصحاب ، عشم الذى على منكبيه كان أهل القبيلة يجتمعون على كلمة واحدة وأهل الشارع يتواصلون معا ويجعل أهل القرية عائلة واحدة بل كان يوحد أهل المحافظة الواحدة إذا تلاقوا معا فى خدمة عسكرية أو سفر ، مات العشم بين الناس فلا أحد يرجو تعطفا أو تجملا أو عطاء من أحد وليستعد الكل للمعاملة التجارية الصرفة ، خذ و هات ، لا عواطف أو تراحم فقط نفع واستنفع، وفى أثناء تشييعنا للمرحوم

www.dvd4arab.com

عشم نتقابل فى الجنازة الضخمة التى تسير فيها مصر بأكملها بموتى آخرين عندما تطالعنا صفحة الوفيات المنشورة فوق جدران التوك توك بنعى جديد يقول (محدش باقى على حد) ويلاحقنا توك توك ثالث بنعى مشابه يقول (محدش بيبكى على حد) ثم يفاجئنى توك توك رابع بحركة سريعة حيث يقترب منى بسرعة كأنه يريد أن يصدمنى تقريبا لحنق من رصدى لعالم التوك توك وعندما يفشل فى هدفه ويولى مسرعا أشاهد على وجهته الخلفية عبارة تقول (خليك فى حالك) كأن الرجل يرفع راية من رايات مجتمعنا الآن ، عبارة تسمعها فى كل مكان وكل موقف ، تنزل كالحجر الضخم الذى سد باب الكهف أمام ثلاثة نفر فلم يجدوا من سبيل للخروج إلا بالدعاء الصادق ، تهبط لتسد الباب أمام كل مصلح وباحث عن الحق ومطالب بالمعرفة ، خليك فى حالك الله يصلح حالنا و حالك ، عبارة الوئد أمام من يبغى التغيير أو يبحث عن ألق لوجه الوطن ثم يعبرنا توك آخر ليؤكد المعنى بقوله (يهمك فى إيه) وله أقول يهمنا فى كثير ، إننا نعشق هذا الوطن ومرضى بحبه ولا آكاد أسترسل فى سطر مشاعرى نحو الوطن حتى يجذبنى توك توك جديد من ياقة قميصى وهو يقول (ولا ولا- يقصد ولد - كتير الكلام قليل الفعل) ويقول آخر (مش عاوز كتر كلام) ثم يكتمل عقد أصحاب التوك توك الرافضين لما أقول بدخول توك توك آخير ليقول فى هدوء راسخ واستغناء وافر وفض يد شامل من كل المتشدقين - أمثالى - بحب ما يطلق عليه وطن (سيبنالكو الكلام) قالها و انطلق.

ثم يحملنا توك توك آخر إلى عالم (معطلكش) ، عالم العجلة والعدو ، عالم الصدر الضيق والخلق القلق والتأفف ، لا أحد يسمع ولا أحد يصبر ، الكل خلف لقمة العيش ومصاريف البيت وتأمين - أنظر واندهش - مستقبل الأولاد ، أية مستقبل ، مندفعون كأنهم فى سباق محموم ولذلك نجد توك توك يقول لنا (إوعى كده) ثم توك آخر ينصح وكأنه يسب (مشى إيديك شويه) ثم نجد توك يرجو وكأنه ينذر (ما تسلك يا مان - رجل بالإنجليزية - وتسبنى أعيش فى أمان) ثم يظهر فوق الطريق توك توك يغلف العنف ملامحه ويصرخ فى وجوهنا (اللى نايم على ودانه يصحى) وأخيرا يهتف توك توك يسخر من الذين يقفون خلفه ويستعجلون المرور سواء بإطلاق آلات التنبيه أو بإضاءة الأنوار (براحتك يا خفة الإشارة

واقفة) ترى هل الإشارة وحدها هى الواقفة أم أن مصر كلها (واقفة).

لكن رغم العتمة القاسية إلا أن القلب مازال به نبض واهن يدل على استمرار نهر الحياة ولكنه فقط فى أوج الحاجة لجرعة تقوى وتدفع للأمام ، جرعة من الحب والود الصادقين ، جرعة من العطف والوئام ، مازال هناك بعض الخير ، على الأقل حتى نتمسك بالعيش ونواصل حياتنا ، فنجد توك توك يقول (كمل كلامك) وهى دعوة كريمة للتواصل واستمرار الحوار وتدل على صدر رحب وأفق واسع ومستمع جيد ،ويندر فى زماننا الحالى أن تجد مستمعا حقيقيا حيث يحتكر الجميع الكلام والثرثرة دون أدنى فرصة للإستماع ، لا يتركك أحد تتحدث دون مقاطعة وخير دليل على ذلك كل برامج الحوار المتلفزة. ثم يدركنا توك توك تال بجرعة بلسم تطفىء لظى الغضب وتنشر نسمة من نسمات شهر أبريل المعطرة برائحة زهر الليمون فى النفوس عندما يطالبنا بأدب جم (هدى أعصابك) ، ليتنا نقدر . ثم نغرق فى بحر من الرقة والعذوبة عندما نجد توك توك يحدثنا برحابة فياضة (فى عينيك كلام) ، هل مازال أحد ينظر إلى عينى أحد بعطف وهل ترك الحزن مكانا للكلام فى عيوننا ؟ ثم يلج إلى ساحتنا توك توك مفعم بالشغف نحونا ويدعونا فى حرص بالغ (خلى بالك) ، نخلى بالنا من ماذا ؟ لم يوضح ،ولكنها دعوة المحبين لأعزائهم عند الوداع والرحيل ودائما يتجه غرضها إلى خلى بالك من نفسك . ثم نصل لمسك الختام ورحيق الكلام عندما ينشر توك توك أخير أمام عيوننا حكمة بالغة عن فصل الأمر فى كنه الكلام فيقول هذا الفيلسوف (كلام الناس هواية وذكر الله كفاية)

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل الثامن

الفندق والسياح

Looloo
www.dvd4arab.com

يقول (العيون كتير بس ربنا كبير)، العين أجمل ما فى الإنسان ، طاقة النور التى تشرق على الحياة وحضن البحر الواسع الذى يتسع لكل زخات الجمال، تلك العين يخشاها المصريون ، يقلقون منها ويستعيذون. هل يوجد بين المصريين من لا يخشى الحسد ؟ الجميع - تقريبا - بلا استثناء يشغلهم الأمر بدرجات متباينة تبعا لدرجة اليقين الإيمانى والثقافة والطبقة الإجتماعية ، حتى أولئك الذين يبدون ثقة متناهية فى النفس والأقدار وعدم قدرة الآخرين على الإيذاء فإنهم يبدون قدرا ولو بسيطا - على الأقل عند العثرات - فى إنشغالهم بالحسد . لا يوجد بيت فوق الخريطة المصرية لم يتحصن بوسيلة ما لدرء العين التى فلقت الحجر ودفع الحسد الذى يذهب بالنعمة تاركا الحسرة ، كف خشبية معلقة فوق باب البيت ، خمسة وخميسة ، بخور وأعشاب ، آيات قرآنية ، مقاطع من الأناجيل ، خرز وجعارين ، ورق يخرم بالإبر ، مياه ترش أمام البيوت عند صلاة الجمعة ، شيوخ وقساوسة ، أولياء ومقامات ، دجل وتجارة واسعة تستهلك الكثير من أموال فئات لا بأس بها من المصريين .

والحسد تمنى زوال النعمة عن الآخرين الذين نكرههم بالطبع و لا نطيق لهم خيرا ، والحسد أنواع منها تمنى تحول النعمة عن المحسود إلى الحاسد حتى لا يستمتع بها المحسود ويفوز الحاسد ببهجتها أو تمنى زوال النعمة من المحسود إلى أى أحد آخر أما أسوأ أنواع الحسد هو تمنى زوال النعمة عن المحسود حتى ولو لم تذهب إلى الحاسد ، المهم أن تترك هذا المحسود وتنصرف وهذا ينم عن سواد وحقد لا حد لهما وهناك نوع وحيد محمود للحسد وهو الغبطة حيث يتمنى الحاسد - غير المذموم - أن يحصل على نفس ما حصل عليه المحسود دون أن يفقد المحسود ما حظى به وهذا الحسد لا ينكره الشرع ولا ينهى عنه . وأدوات الحسد هى العين

Looloo
www.dvd4arab.com

التى تسلط نظرات نارية حاقدة سوداء إلى النعمة فتتسبب فى خسرانها ويعتقد البعض أن العين تخرج إشعاعات مدمرة تصل إلى حد فلق الحجر.

فى الماضى كانت كتابات درء الحسد تتصف بالرقة والأدب الجم مثل (الحلوة من اليابان وصاحبها واحد غلبان)و (ماتبصليش بعين رديه بس للى اندفع فيا) ، لكن الآن تغيرت النبرة والكلمة واللهجة ، ارتفع الصوت وتغير قاموس الكلمة وخشنت العبارة وشحب واتسخ الذوق فظهرت عبارات ممتلئة بالسب والعنف ، هذا أحد أهل التوك توك يصرخ فى وجوه الحاسدين لدرء شرورهم (عينيك يا ظالم) .

كما أن اللسان بدوره قد يشارك فى عملية قنص النعمة عندما يدور فى كهفه بكلمات سامة ضارة مستكثرة على المحسود ما ناله ثم يسرى هذا السم إلى القلب ليسيطر على عملية الحسد بما لديه من ظلام وغل وضغينة.

هل ينجو أحد من تلك الآفة البائسة ؟ مهما كانت درجة الثقافة تجده يقول عند حدوث مكروه: يا ترى من حسدنى؟ فإذا قلت له هل تؤمن بالحسد ؟ يجيبك : إن الحسد مذكور فى القرآن . إجابة ثابتة لا تتغير ورغم الحديث عن الحسد فى القرآن فى مواضع شتى فإن الجميع لا يعرفون من حديث القرآن عن الحسد إلا سورتى الفلق والناس؟ وهما تحتلان مكانا بارزا فوق مؤخرات مئات التوك توك .

إن متابعة ظاهرة الإهتمام بالحسد عند المصريين تحتاج إلى دراسات واسعة ومستفيضة فالأمر لم يبدأ اللحظة ولكنه تاريخ ممتد بطول النيل وعرض التاريخ . المصرى بطبعه حريص على ما يملك ولكنه فى ذات الوقت يكون غير مطمئن لبقاء ما يملكه بين يديه ويخشى دائما الدوائر ، إنه لا يثق أبدا فى المستقبل ، ولا يركن للبهجة ، يمشى فى دروب الحياة بقلق وريبة كأنه مطارد أو متهم ولا يتمكن أبدا من الفرحة الكاملة ، دموع عند الفرح ، خير اللهم إجعله خير، زيارة للمقابر فى الأعياد ، أيام حداد لا حصر لها ، إحتشاد لأربعة أخمسة عقب الوفاة ثم ذكرى الأربعين وذكرى سنوية ، المصرى بطبعه يميل إلى تذوق الحزن ويعمل جهده لإطالة الشعور به بل وذهب الأمر بالقدماء إلى تدشين معابد جنائزية بطول الوادى،إننا نبدو كقوم نذرنا للحزن وأوقفنا على الأسى. عندما يمتلك أحد المصريين

شيئا يبدو ذا قيمة فإنه يبقى خائفا مترقبا ، إنه يشعر أن العيون المحيطة تستكثر ما لديه وتراقبه وتتمنى زوال ما يحظى به من نعم لذلك يلجأ إلى شتى الوسائل لدفع العين وحماية ما يملك لذلك نجد أن الخوف من الحسد لدى المصرى يكون دائما مقرونا بالحرص والإنكار. الحرص على إخفاء ما يخشى عليه الحسد وعدم إظهاره ثم الإنكار لوجود النعمة بالأساس حتى تنصرف العين الحاسدة بشرها بعيدا.

وأهل التوك توك يشغلهم الأمر بشدة ، إنهم يشعرون بقيمة ما يركبون ويدركون أن العيون الحاسدة التى تمشى على الأرض ترصد التوك توك - الذى يمثل ثروة ضخمة بنظرهم - بدقة صارمة وربما تمكنت هذه العيون من جلب الضرر إلى هذه الماكينة الثمينة ومن هنا كانت الكتابات فوق جدران التوك توك تعالج هذا الأمر بحرص شديد يقول أحدهم (مهما مشينا العين علينا) . قد لا يوجد توك توك خال من لوحة تتعلق بالحسد. وهم فى تعاملهم مع الحسد يرسمون خطين متوازين ، الخط الأول يتعلق بالتوك توك نفسه بما يمثله من قيمة مادية وحصن معنوى يرتزق منه وينفق على المعلقين برقبته لذلك نجد كتابات كثيرة تصف التوك توك بصفات طيبة وتمتدحه وربما تتغزل فيه أما الخط الثانى فيمثل الذعر والضيق من الحاسدين ومحاولة دحر شرهم الذى ربما يكون أخطر من الموت ذاته حيث يتمنى أحد السائقين فى كتابته فوق التوك توك مقابلة أسد بل ويرحب بقيام الأسد بفرز أسنانه الحادة فى جسمه مفضلا ذلك عن نظرة واحدة من عين حاسد فيقول (عضة أسد ولا نظرة حسد) .

إن التوك توك ينتشر فى المناطق الريفية وحول مداخل المدن فى الأحياء الفقيرة والمتواضعة لذا نجد معظم من يقتنون التوك توك ينحدرون من أصل ريفى ، والفلاح المصرى إذا إمتلك دابة للركوب أو للحقل يميل فى أحيان كثيرة إلى معاملة هذه الدابة كأنها أحد أفراد الأسرة إن لم تكن أعز ، إن حياته ورزقه يكون معلقا فى رقبة هذه الدابة كما إنه بتملكه لها يحتل مكانة مرموقة فى أوساط القرية ويرقى بين عائلاتها ، وتعلو القيمة كلما ازداد عدد الرءوس الحيوانية التى تضمها حظيرته ، ينسحب هذا التفسير على التوك توك الذى يساوى بثمنه عدة بقرات لذا نال مدحا مفرطا من أصحابه وصل إلى حد بعيد ، فهذا أحدهم سجل فوق مؤخرة التوك توك(حبيبة ماشية بتدلع وعيون الناس متولع) وحبيبة هو الإسم الذى

Looloo
www.dvd4arab.com

أطلقه الرجل على التوك توك ويجب أن نعلم أن التوك توك لدى أهله ينتمى إلى عالم الأنثى ، إنه عندهم (ماكينة) ونادرا ما ينطقون كلمة توك توك ، وبالطبع العيون التى ستندلع فيها النيران هى عيون المارة الحاسدين الذين فشلوا - ربما لفقرهم - فى شراء حبيبة وأخواتها ويقول آخر على لسان التوك توك (أنا الغندورة ما تحكيش وسكرة ماتهمنيش) . ونجد توك توك آخر يشعر بنظرة الاحتقار التى يقابل البعض بها ماكينته فيسرى عنها قائلا (ما تزعليش يا غندورة بكرة تبقى أمورة) وبنفس الطريقة يتحدث آخر قائلا (ما تزعليش يا قطة بكرة تبقى تويوتا) وإذا تقبلنا إطلاق كلمة قطة على التوك توك والمقصود بها هنا التوخيم فإننا لا نستطيع تصور تحور التوك توك غدا إلى سيارة تويوتا إلا إذا كان يقصد أنه من عمله فوق التوك توك سوف يدخر ويتملك ميكروباص فى المستقبل وهو الحلم الكبير الذى يخايل ويداعب شباب التوك توك . وفوق توك توك آخر كتب السائق (الحلوة دى مخطوبة) ويقول آخر (الحلوه منين يا ترى أنا أوطه السكره) وبالطبع ندرك الآن من هى الحلوة ولكن سنظل نحدس من هوخطيبها . وعلى نفس درب الحلوى يمتدح سائق آخر التوك توك قائلا (الحلوة خوخة جت بعد دوخة) وهى دعوة واضحة لأولى الألباب لدرء حسدهم إذ الأمر لم يكن سهلا وإنما احتاج لكثير من المعاناة حتى يحصل على هذا التوك توك ، وأصحاب المعاناة لا يستحقون الحسد بل هم فى حاجة إلى العطف و الشفقة. ويستمر إطلاق أسماء الفاكهة على التوك توك فنجد أحدهم يتحدث بثقة طاغية غير عابىء تماما بطابور الحاسدين فيصف ماكينته قائلا (الحلوة تفاحة للسفر والسياحة) ويقول آخر (مستكة المرتاحة للسفر والسياحة) ، ثم تظهر حلوة أخرى لكنها تبدو أشد خطرا وقوة من الأخريات ، إنها تسير والحرائق تتبعها لهذا يصفها صاحبها قائلا (الحلوة لما تتدلع بتخلى الأسفلت يولع) ، ربنا يستر ، ويقول آخر محدثا كل من يقابله (زيزو سوسو وى على التوك توك وبوسه) بما يدل على شدة تبجيل وتقدير التوك توك. وفى نفس السياق الوصفى للماكينة كتب أحدهم (مرسى العشاق) والحق أن التوك توك يوفر بتكوينه حصنا آمنا للعشاق ، فالغطاء الذى يحيط بجوانب التوك توك و يحجب النور عن الجالسين فى داخله يوفر حماية رائعة للعشاق من عيون المارة كما أن السرعة التى ينطلق بها السائقون و طريقتهم فى السير

بتعجل واضطراب كأنهم فى مناورة عسكرية لا يدع فرصة للكشف عن هوية الجالسين خلف السائق ويقول آخر (سفينة الملوك). وحرصا على حماية الماكينة من الحوادث وجه أحدهم بيانا مقتضبا لمن يجرون حوله فى الطرق يطالبهم فيه بالمحافظة على الماكينة قائلا (أنا مظبطها إوعى تخبطها) ويقول زميله (الخواجه صنعها والباشا دلعها) ثم يتوجه آخر بالحديث إلى الماكينة نفسها وكأنه يرقيها داعيا لها (ربنا يحميك من يد ابراهيم الميكانيكى) ولا أدرى لماذا ابراهيم بالذات ، يبدو أن ابراهيم أشهر ميكانيكى فى المنطقة ، ثم يدخل سائق جديد إلى معرض الإعجاب بالتوك توك ولكن بصورة تفرط فى الثقة و التحدى فيقول (تقفيل معلم ومحدش يقدر يتكلم) والتوك توك عند شرائه لا يكون بصورته التى يسير بها فى الطرقات ولكنه يستورد كأجزاء منفصلة موضوعة فى صناديق ويقوم الذى اشتراه ربما بمساعدة ابراهيم الميكانيكى فى تجميع هذه الأجزاء لتكتمل الصورة النهائية وينطلق فى الطرقات . وفى نفس الإطار كتب أحدهم مفتخرا بما يركب (إحذرُوا التقليد) ورغم توحد مصدر التوك توك القادم فى الغالب من الهند أو الصين إلا أن هذا السائق يتيه بمركبته ويخبرنا أنها ذات ماركة محترمة ويطالب الركاب بالحذر من بقية التوك توك التقليد . أما هذا السائق فقد صنف نوعية الركاب التى يحملها فى التوك توك وقد أوقف ماكينته على فئة محددة بدأت تظهر وتطفو فوق عنق المجتمع بشدة وتتحكم فى مجريات شتى الأمور ، لقد تمكنت هذه الفئة من الوصول إلى مقاعد الحكم وبؤر التوهج فى الدولة ، لقد غدا لهم حكم مصر ومن تحت أقدامهم تجرى أنهار المال التى لا تكف عن التدفق فأضطرت فئات أخرى من المجتمع إلى التمسح والحوم حول هذه الفئة علهم يتمكنون من مواصلة العيش على بقايا رجال الأعمال ولهذا فقد حصر هذا السائق الظريف التوك توك لنقل رجال الأعمال فكتب (خاصة برجال الأعمال فقط) ترى هل ركب بالفعل أحد رجال الأعمال التوك توك ذات يوم؟ كما يقول سائق آخر (التوك توك المهم للمشوار المهم) كما يقول آخر (الطيارة وصلت والدماغ فصلت) ، أن يعتقد أن التوك توك طائرة هو حر ، ماذا تعنى الدماغ فصلت ؟ هل يريد الاجهاد والتعب أم إنتهاء تأثير المخدر ، نسبة ضخمة من السائقين المصريين يتعاطون المخدر وخصوصا البانجو والترامادول . ويستمر تدفق عبارات الغزل فى التوك توك فيقول

Loolop
www.dvd4arab.com

أحدهم (لا بوش ولا طط الأتومبيل على الخط) ونحن نعرف بوش الأول والدبليو بوش ولكن لا نعرف من هو طط ؟ ربما يكون أحد الرجال المهمين فى منطقة السائق ، وعلى لسان التوك توك نفسه كتب سائق جديد كأنما يعطى درسا فى فن القيادة (دلعنى فى الغيارات وريحنى فى المطبات) ويتأكد رباط الحب بين الإنسان والماكينة عندما يعود سائق آخر للتحدث أيضا على لسان الماكينة (بالراحة عليا بص للمدفوع فيا) ، ويقول زميله (محلفانى محدش يركبها تانى) لقد زهقت من الركاب . وفى نفس الطريق يسلك سائقون كثيرون حيث تنتشر عبارات مدح لا حصر لها عن التوك توك مثل (قطتى الجميلة) و(العايقة) و (العايقة رايقة). وفى وصف الحالة التى يعيشها أحد شباب التوك توك كتب أحدهم (بقت فندق وكلهم سياح) ، هل يوجد تكريس لحالة وسيلة مواصلات فى العالم أكثر من هذا الوصف العبقرى؟ لقد غدا التوك توك فندقا للنزل بينما الركاب سائحون لا يقر لهم مقام ، فقط أيام قليلة ثم يرحل الجميع ، هل هى نظرة فلسفية نحو التوك توك ووسائل المواصلات بوجه عام التى لا تنتمى لأحد ولا ينتمى لها أحد ؟ و بالتالى فلا توجد مشاعر متبادلة بين الراكب والسيارة التى تحمله أم أنها رؤية فلسفية أيضا للحياة عامة والتى مهما يعمر بها من عمر فلن يزيد عمره عن مجرد إقامة قلقة تشبه إقامة السائح الذى لا محالة مهما طالت مدة نزوله سيرحل . ثم تحملنا العبارات إلى شاغل كنا قد تعرضنا له سابقا وهو نظرة الإزدراء التى يواجه بها المجتمع عامة ورجال المواصلات والسيارات الأجرة خاصة التوك توك وأهله . يشعر سائقو التوك توك أنهم يصنفون فى درجة أقل من السيارات وهم يعترفون بذلك لكنهم يدركون جيدا أنهم يقدمون خدمات قد يعجز الآخرون عن تقديمها ولعرض هذه الرؤية كتب أحدهم (توك توك يوصلك ولا تاكسى يعطلك) والحق أن التوك توك لديه قدرة هائلة على المناورة والتكيف الشديد مع أحوالنا المرورية الكئيبة ، فالتوك توك يستطيع السير فى الإتجاه المعاكس و لا يقف أمام مزلاقان قطار ويصعد فوق الرصيف ويفلت بغرابة من أضيق المسافات ويخترق الحارات ويعبر بسهولة من بين الحواجز التى تفصل الطرق ليتمكن من تغيير إتجاهه بسير لا ند له ، عكس التاكسى الذى لا يمكن له إظهار قدراته الحركية وسرعته إلا فوق الطرق السريعة والمنسابة ، إن التوك توك لا يعترف بإشارات المرور .

فى تأثر واضح بإعلانات الفضائيات وبلمحة مرحة كتب أحدهم (روتانا توك توك مش هتقدر تمشى على رجليك) . ثم يعرض لنا سائق جديد خارطة حياته اليومية ، إنها أمر قمة فى البساطة واليقين (خارجة وربنا حاميها وراجعة وربنا مراضيها) هكذا جل المصريين ، رزق يوم بيوم ، إحينى اليوم وأمتنى غدا ، رضا وتسليم ، إيمان وعقيدة ، كأنهم الطير التى تغدو خماصا وتعود بطانا وعلى نفس الدرب يقول توك توك آخر(خارج فى ملك الله وراجع بإذن الله) ثم يضع توك توك ثالث لبنة جديدة فى جدار الإيمان النورانى بقدرة الله وإدارته لكل الأحداث فيقول (لا مال ولا غنى ده من فضل ربنا) وبنفس النغم يهمس توك توك آخير (ده مش غنى ده ستر من ربنا). وبنفس درجة الإيمان يفتتح توك توك جديد صفحة مكافحة و درء الحسد فيعلن أنه فى البدء دائما يكون الله (أنا فى حماك يا رب) ويقول آخر (ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب) ويؤكد توك توك ثالث (من كان رزقه على الله فلا يحزن) ثم نجد العبارة التاريخية فى درء الحسد والتى إفترشت جدرانا جمة فى السيارات ومازالت تحتفظ بمكانتها فوق جدران التوك توك (العين صابتنى ورب العرش نجانى) ويتوجه أحد السائقين بنبرة عطف ونصح إلى الحاسدين وكأنه يربت على أكتافهم و يصف لهم علاجا ناجعا فيقول (غير ولا تحسد) ويهمس أحدهم فى ردع (كفاية يا عين) ويقول آخر على لسان الماكينة (ليه تحسدونى أصحابى تعبوا على ما اشترونى) ، وإذا لم يكن هناك مفر من النظر إلى الماكينة فليكن نظر صحى آمن ، حيث يقول أحدهم (بص لى وخلاص بصة بإخلاص) ويقول زميله (يا تهدى وتشوف جمالها يا تعدى وتسيبها فى حالها) .

ثم يشرع توك توك فى تعامله مع الحاسدين قانونا يشبه قوانين نيوتن فيقول (اللهم أعطى الناس ما يتمنوه لى) هكذا سيفكر الحاسدون كثيرا قبل أن يلقوا سهامهم نحو هذا التوك توك إذ ربما ترتد هذه السهام بكل نيرانها نحو الحاسد. ثم تبدأ وتيرة صد الحسد فى الإرتفاع التدريجى المحمل ببعض الزجر والإنفعال وتعلو نبرة الكلمة فنجد توك توك يقول بتوسل أقرب إلى النهر(يا ناس سيبونى أسدد ديونى وبعدين إحسدونى) ويقول آخر (يا ناس سيبونى فى حالى دا القسط شاغل بالى) ويقول ثالث (ما تبصليش بعنيك الإثنين أنا جايه بالسلف والدين) ويقول رابع (أمانة

www.dvd4arab.com

عليكو سيبونى أفوق لروحى وأعيش حياتى) ثم ترتفع عقيرة صوت التوك توك أكثر فيقول أحدهم للحاسدين (يا ناس سيبونا فى حالنا كفاية اللى جرى لنا) ونحن لا نعلم ما جرى ولكن من الواضح أن شيئا غير سار قد حدث يجعل السائق يصرخ فى الناس لتركه كما أنه من المحتمل أن تكون هذه إحدى الطرق المصرية فى تصغير النعمة وتصوير الأمر على أنه معاناة كبيرة حتى يشعر الحاسد ببعض الشفقة ويرتدع ، وسيلة من وسائل إنكار النعمة ، ثم يأتى توك توك جديد ليحاول زجر الحاسدين وربما إرشادهم طريقة مضمونة للحصول على توك توك طبعا غير طريق قروض البنوك حيث يقول (سألنا ربنا وإدانا وعيون الناس مش سيبانا) ثم يوضح توك توك آخر الأمر برمته فيقول (دى مش دبابة دى رزق الغلابة) والدبابة لقب يطلقه السائقون على السيارات نصف النقل وهى بدورها حلم كبير أمام المنشغلين بدنيا المواصلات وسائقنا يخبر الحاسدين أن الأمر لا يستحق تدخلهم وإعمال ملكاتهم فى رصد التوك توك لأنه حقير بجوار السيارات الضخمة كما أنه وسيلة رزق للغلابة المستحقين الشفقة لا الحسد وبنفس الطريقة كتب آخر (لا تربو ولا دبابة ده توك توك الغلابة) والتربو نوع من سيارات النقل ثم تظهر لنا طريقة أخرى لدرء الحسد بالإنكار عندما نجد توك توك يخاطب الحاسد قائلا (متبصليش عليها دا اللى جاى منها رايح فيها) ويقول زميله صارخا (اللى جابته خداته ما وفرتش منها حاجه) لا ربح ولا كسب بل معاناة وتعب ، إنها تستهلك ما تدره من ربح فما فائدة الحسد فى مثل هذا الوضع. ثم تصل حدة الصوت إلى الزعيق والصراخ وتظهر العصبية والغضب الشديد فنجد توك توك يحذر الحاسدين من مجرد النظر للتوك توك قائلا (متبصش لعجلها لتجيب أجلها) لقد تحولت الماكينة إلى كائن حى يتمتع بالعمر وينتظره الأجل ورجل التوك توك يخبر الحاسد بخطورة النظرة التى ربما تحمل الموت للتوك توك ثم يصرخ توك توك آخر (يا عين مالك سيبى الملك للمالك) ويلاحقه زميل له (يا عم يا اللى إنت مش مالك سيب الملك للمالك) وعندما يجد رجال التوك توك أن هذه العبارات لا توقف كيد الحاسدين ويشعرون أن هؤلاء الملاعين لن يكفوا عن مطاردة هذه الماكينات يضطرون إلى سلك سبل جديدة علها تكف هذا الحسد الأسود الذى لا يريد التوقف فنجد سائق يعلنها بخط كبير وإقتضاب أكبر (للبيع) ، فقط

كلمة واحدة كأنها الصرخة أو قبضة اليد المتقلصة توشك أن تنقض فوق عين الحاسد ، لقد ظننت أثناء جمعى للعبارات من فوق التوك توك أن هذا إعلان عن بيع هذا التوك توك كما يحدث فى دنيا السيارات عندما نجد مالك السيارة يعلق ورقة فوق الزجاج الخلفى يعلن عن رغبته فى بيع السيارة ويشمل الإعلان المتحرك مواصفات السيارة ورقم هاتف المالك ولكننى عندما دققت النظر وجدت كلمة (للبيع) مكتوبة بطريقة مزركشة وبحروف ضخمة فأدركت أنها ليست إعلانا ثم جاء توك توك جديد ليوضح سبب البيع قائلا (هابعها خلاص علشان ترتاحوا) وهنا أدركت المعنى . وتصل حرب مكافحة الحسد إلى قمة ضراوتها عندما يتخلى أهل التوك توك تماما عن كل الوسائل السلمية فى مكافحة الحسد ويأخذون زمام المبادرة ويبدأون فى شن هجمات قوية دون خشية أو موارية فنجد توك توك يقول (عين بصاصة عاوزة رصاصة) ثم يأتى توك توك آخر بهجمة جديدة قائلا (متبصليش يا تلانك أنا علىّ فلوس فى البنك) ، لقد حاولت معرفة معنى (تلانك) لكننى لم أحصل لها على أثر فى معاجم اللغة لكن واضح جدا أنها إحدى مفردات اللغة الجديدة التى تتخلق الآن وسط مزارع التغريب والتخبط ، ويبدو من طريقة الصياغة أنها سب وقذف ، لقد وصل أهل التوك توك مع هذه العبارة إلى جرأة شتم الحاسدين دون أدنى خشية من خطرهم ، إن ديون البنك تمثل لدى هؤلاء السائقين رهبة ورعبا يتزايل أمامها كل خوف أو خطر . ثم يصل قطار مكافحة الحسد لمحطته النهائية التى يستقر على رصيفها أهل التوك توك فى ثقة وأمن غير عابئين بالحسد الذى يتصاغر فى عيونهم كأنما يملكون جدارا صلداً يتكسر هذا الحسد فوق صلابته فنجد توك توك يقول ساخرا من الحاسدين (مش هتعرف تقلدنى إنت كبيرك تحسدنى) ويدركه توك توك آخر بسرعة وأنفة قائلا (ده مالنا ومحدش بيسألنا) ثم تأتى لوحة الختام المشبعة بالرضا والإستغناء والترفع والزهد ، لوحة قديمة لكنها تصلح لكل وقت كأنها نص مقدس أو أثر خالد (سولار فى التنك ولا مليون فى البنك)

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل التاسع

عميد
كلية الحب

Looloo
www.dvd4arab.com

تمنحك الحياة سرها متأخرا حين لا تكون قادرا على العودة للخلف ومسح كل الأخطاء التى اقترفتها ، وحين ترغب فى تمرير سرها لمن يصغرك لا يستجيب لك كونه لا زال غرا بما تمنحه الحياة من تدفق فى اوردته

الكاتب السعودى عبده خال
رواية (ترمى بشرر)

Looloo
www.dvd4arab.com

أكبر عدد من العبارات المرتبطة بفكرة واحدة والمتكررة بكثرة سخية عفية كانت عبارات الحب . يبدو الأمر طبيعيا ومقبولا، شباب مفعمون بالفتوة والمشاعر ، يقيمون عند شلال العاطفة حيث القلوب واجفة والعقول هاجعة فى سكون غير عابئة بمتاعب حياة أو متطلبات عيش ، يبدو شباب التوك توك كأنهم لا يحملون أدنى هم لتوفير لقمة أو لذعة مسئولية. إنهم يكسبون مالا يوميا بسهولة (وردية) فوق التوك توك ستجلب له ثلاثين أو أربعين جنيها يستطيع أن يأكل منها ويدخن ويشترى قميصا بلا أكمام ويشحن المحمول ويحب . حتى إذا انقطعت هذه النقود وتوقف عن العمل فوق التوك توك سيجد من ينفق عليه من الأسرة . لم تعد الأسر تتعامل بجدية صادقة مع العاطلين ، لقد وهنت قبضة الأباء وشاخت مهارة التوجيه والنصح.

ماذا سيكلف الحب شاب التوك توك ؟ بعض النظرات الوالهة لمن تخيرها قلبه وكارت شحن لتليفونه المحمول والحصول على رقمها ثم الأخذ فى إرسال الرسائل والرنات. أما مكان اللقاء فالتوك توك يوفر ذلك بسهولة شديدة.

لقد تغير المجتمع كثيرا فى السنوات الثلاثين الأخيرة. أصبح أكثر انفتاحا وتحررا وانفلاتا ، امتلك وفرة فى طرق اتصال الشباب بالفتيات ، محمول ونت وشات ووسائل مواصلات وتعليم ودروس خصوصية ويسر شديد فى مغادرة المنزل دون مسئولية. تخلص المجتمع من كثير من الكوابح الإجتماعية التى كانت تكبح انطلاق العلاقات المتبادلة بين الفتيان والفتيات. وهنت قبضة الرقيب الإجتماعى وخفت صوت العرف اللذان كانا يسيطران على الشارع ويفرضان قانونا قاطعا يحتكم الجميع ويدافع عنه

www.dvd4arab.com

الجميع. قانون عرفى لم يضعه مجلس تشريعى ولم تسنه حكومة لكنه تولد وتخلق من ثقافة المجتمع المحافظ ومن تمسكه بدينه وأعرافه التى لها شدة وبأس أقوى مما للقوانين الوضعية. هذا القانون كان يمنع الشاب من التحدث مع الفتاة ويمنعه إذا تحدث معها من إظهار هذا الحديث ويدفعه لجعله سرا ليحافظ على سمعتها وصورتها لدى الناس وحتى إذا وقع هذا الشاب فى حب الفتاة خشى أن يتحدث حتى مع نفسه عن هذا الحب. غاب الوازع الإجتماعى وضعف الرادع الدينى فظهر الحديث عن الحب فوق جدران التوك توك بكل صفات التوك توك واندفاع ورعونة سائقيه. لماذا اختفت كلمة (عيب) من فوق ألسنتنا، فقدت بريقها وصولجانها رغم أنها لم تكن عيبا لنتخلص منها.

كذلك أدى غياب وتغييب الدور الرقابى للحكومة - بما تملك من قوات أمن وشرطة - عن الشارع وفر فرصا سهلة جدا لظهور صور من الحب المجنون فأصبحنا نرى معاكسات وتحرشات لا حصر لها وأصبح التحرش الجماعى شيئا مقبولا يصعب ردعه.

ماذا ننتظر من سائقى التوك توك؟، إنهم يطرقون قلعة العاطفة والشعور، مرحلة الشباب، يودعون دون رفيق أو معين خدر وسكينة الطفولة وينزرعون كأشجار المجالس البلدية فوق طرقات الشباب وحدهم دون رعاية أو كفاية أو بصيص ضوء أو قطرة من مياه الحكمة من الأهل والمجتمع سواء. الأهل فرطوا رغبا أو رهبا فى رعايتهم عندما سمحوا لهم بترك الدراسة والإنخراط فى العمل فوق هذه الماكينة الجهنمية والمجتمع لم يعد فى درجة كافية من الوعى ليهتم بشريحة واهنة واهية من شرائحه.

إنهم الآن فوق شلالات ومنحدرات الفتوة حيث القلب يهدر بقوة لا حدود لها والمشاعر تنتفض بإشارات العاطفة الحارقة. إنه الحب أشد وأقوى وأسمى المشاعر الإنسانية، يقول الخالق سبحانه فى الحديث القدسى (كنت نسيا منسيا فأردت أن أعرف فخلقت الخلق ليعرفونى) هل إرادة المعرفة تعنى حب المعرفة، هل خلق الله الحياة بأسرها من أجل الحب، أظن وليس كل الظن إثم أن الأمر كذلك.

الحب عند أهل التوك توك - من خلال كتاباتهم - يمثل لهم هاجسا ملحا يملأ حياتهم ويغشى عقولهم. والحب لابد له من قائد كما تروى الأساطير الإغريقية وقائده لديهم الجنون الذى يأخذ بيد الحب طوال الحياة.

أما حب أهل التوك توك فلديه قادة مختلفون يذهبون به إلى مناح شتى. كنت أعتقد أن حب أهل التوك توك سيكون انفعاليا مجنونا مفعما بالطيش والرعونة فقط ورغم وجود هذا النوع وظهوره من خلال بعض العبارات التى كانت تصلح للتسكين فى جزء الوقاحة إلا أنه ليس كل الحب، لقد وجدت درجات أخرى من الحب الصادق والهادىء، وجدت حبا يقاسى ويعانى وحبا مطمئنا هادئا، وجدت ذم الحب ومدح الحب كما وجدت النظرة الفلسفية الرزينة للحب. كل وتجربته وظروف حبه وموقف حبيبته. مئات السائقين ومئات الحبيبات لابد أن يخلق لنا مئات العلاقات والظروف والعبارات.

ونظرا لكثرة العبارات وتنوعها وجدت أنه قد يكون مناسبا تقسيمها إلى مجموعات تنتمى كل مجموعة منها إلى صفة من صفات الحب.

أولا: مدح الحب

(أنا الحب) هكذا اختزل واقتصر، إنه الحب خلاصته ورونقه فى صورة إنسان، هل نجد رقة وعاطفة أشد من ذلك؟ ثم يلاحقه زميل له قائلا (كله بالحب)، عبارة تصلح قانونا للتعامل البشرى فى أشد درجات رقيه وسموه. كأنها شعار المدينة الفاضلة ومجتمع اليوتوبيا. كله بالحب هل تساوى عبارة (الله محبة)، إنه الحب العام والشامل ليس مع الحبيب فقط بل مع كل ما هو فى الحياة. ويستمر هدى المحبين المتيمين على درب إطلاق صفات خاصة بهم تميزهم فى دنيا الحب فنجد أحدهم يطلق على نفسه (سفير الغرام) ولا تمكنا العبارة المقتضبة من قنص ما خلف العبارة من معنى، هل يريد إخبارنا بشدة عواطفه وغرقه فى الحب أم أنه يقوم بسفارته ممتطيا التوك توك للتقريب بين المحبين، هناك عبارات كثيرة غامضة ورغم غموضها لم أحاول إيقاف أحدهم لاستيضاح المعنى ولا أدرى هل هذا الفعل صحيحا أم خاطئا غير أنى أدرك جيدا إمكاناتى البحثية المتواضعة ولذلك لم أحاول أن أتجاوزها. من هذه العبارات الغامضة عبارة تقول (غاوى حب) هكذا يقول السائق. يغوى ويهوى الحب، وهى عبارة واسعة فضفاضة قد تعنى المعنى وضده، غاوى حب هل له عقل أم لا يعقل، هل حبه سطحى أم عميق، هل يعيش كل حياته

www.dvd4arab.com

وتحركاته تحت جناح الحب ، كل شيء جائز. ثم يقدم سائق جديد أوراق اعتماده فى دنيا الحب قائلا (عاشق أنا وقلبى عنيد) ورغم أن العشق يرطب القلب ويمسحه بترياق الرحمة واليسر والتسامح إلا أن صاحبنا يخبرنا أن قلبه عنيد وقد نلتمس له عذرا إذ يحتاج الحب فى أوقات معينة بعضا من العند والمثابرة للوصول إلى الحبيب. ثم يصحبنا أهل التوك توك فى تفقدنا لدرجات الحب لديهم إلى طبقة لها غطاء مادى مجسم ومحسوس إذ يخبرنا أحدهم أنه يشغل وظيفة هامة هى (عميد كلية الحب). نحن نقف الآن أمام كلية الحب ، إنها كلية ليس لها أدنى علاقة بالجامعات التى نعرفها ولا تدرج فى رغبات مكتب التنسيق، إنها كلية بلا محاضرات أو مدرجات أو كارنيهات وبالطبع ليس لها حرس جامعى ولكن لها عميد. لا يعرف طريقها ولا يدرس فيها غير أهل التوك توك. هذا السائق يخبرنا أنه يشغل منصب العمادة فيها ولكن الأمر يختلط علينا عندما نجد توك توك آخر يخبرنا صاحبه أنه يشغل نفس المنصب مع تحد أكثر وضوحا من سابقه إذ يقول عن نفسه (عميد كلية الحب قسم الرومانسية) ، هكذا عرفنا أحد أقسام كلية الحب وعرفنا أن الكلية لها عميدان يشغل أحدهما رئاسة قسم الرومانسية وللأسف لم تمكنى متابعتى للكشف عن بقية أقسام الكلية ومعرفة بقية العمداء والأقسام . ثم ينقلنا توك توك جديد من كلية الحب إلى (محكمة الحب) وهى محكمة غامضة لم أعثر لها على أية تفاصيل فوق جدران التوك توك ، لقد إكتفى السائقون بهذه العبارة ولم يتوسعوا فى الحديث عن الناحية القانونية والقضائية للحب ، ربما تركوا هذا الجانب إلى ما بعد الزواج ولكننى قبل أن أتجاوز هذه المحكمة أفاجىء بعبارة منقوشة فوق عربة من الصاج والحديد يجرها حمار ويستخدمها الفلاحون بكثافة فى القرى لنقل السماد البلدى من الحظائر إلى الحقول وحمل المحاصيل إلى البيوت كانت العبارة تقول (إدلعى يا كيداهم المحكمة موجودة) من هى كيداهم؟ هل هى إبنة أو زوجة صاحب العربة أم أنها الحمارة التى تجر العربة ؟ ولماذا التهديد ؟ هل دلع كيداهم بهذه الخطورة بحيث يسحب البعض إلى المحكمة أم أنها صيحة تحذير إلى المتحرشين والمتلصصين بكيداهم ؟ ولماذا لا تحتشم كيداهم من الأساس وتكف عن الدلع وتوفر على الشباب الذهاب إلى المحكمة؟ أسئلة كثيرة لم أجد لها إجابة وبالطبع جبنت عن

سؤال هذا الفلاح عن قصده نتيجة ترددى و خوفى من الوقوع فى خطأ ما بحق كيداهم لأن المحكمة موجودة.

ثم ينتقل عشاق التوك توك فى صحبتهم مع الحب إلى صفحة مختلفة من صفحات الحب حيث يتجهون بنظرتهم إلى إحدى وسائل الحب وهى (الآلة) نفسها التى يعملون فوقها فيصفون التوك توك بصفات الحب فنجد أحدهم يكتب (مرسى العشاق) و (سفينة الحب) ويكتب آخر (بيت الغرام) وكل ما أتمناه أن تكون هذه المراسى والبيوت أعشاشا للحب والغرام الطاهرين ولا تتحول إلى مأوى للرذيلة والأفعال المحرمة. ثم تقع أبصارنا فوق توك توك يجرى وهو يحمل فوق مؤخرته عبارة شديدة الرقة تقول (نظرة حب) ، هكذا نعود إلى زمن الحب العفيف الهادىء المطمور فى حشايا القلب والمتطلع - أقصى تطلعه- إلى نظرة واحدة من المحبوب ، طوبى لهذا الحب الرائق الشفاف فى زمن الخشونة والرعونة الذى نحياه ويخبرنا أحد رواده قائلا (متقولش رومانسيين إحنا المعلمين). عودة سريعة إلى طبيعة العصر ، جفاء وقسوة وتمجيد للقوة العضلية وإعلاء لصفات البلطجة والعنف. إنه ينفى ويرفض بكل وضوح وثقة الرومانسية ويرضى بلا خجل أو ستر بالمعلمة. ولا أدرى ما الذى يمنع المعلمين من أن يكونوا رومانسيين ، هل الرومانسية عار حتى يتبرأ القوم منها أم أنها تتنافى مع صفات المعلمة الجديدة والتى تختلف تماما عما كانت عليه المعلمة القديمة. لكن يدركنا توك توك سريع ليخفف عنا وطأة المعلمين ويخبرنا أن الخير مازال موجودا وأن الحب مازال له السيطرة- أتمنى ذلك- حيث تقول عبارته (الحبوب ملك القلوب). شعار جديد من شعارات المدينة الفاضلة ، بالحب وليس بالقوة أو البطش تسيطر على القلوب وتهفو لك الأرواح وتمسك بناصية الأفئدة . ليتنا جميعا نعمل من أجل تملك القلوب بالحب ونتخلى عن تلك الآفة القاتلة التى تسربت إلى شرايينا وأعصابنا فى الحقبة الأخيرة ، آفة تملك السلطة والبحث عن القوة بشتى الطرق المشروعة والملتوية . لقد إتجه المجتمع إلى بحار القوة العاصفة ، لا أحد يشعر بالأمان ، الجميع يبحث عن زاوية إستقواء ، حصانة برلمانية ، وظيفة فى الشرطة أو الجيش ، منصب تافه فى المحليات ولجان الحزب الحاكم ، المهم الحصول على مظلة من القوة حتى لو كانت هذه المظلة من ورق التواليت لكنها قد تحمى من الإهانة أو الظلم أو تعسف

Looloo
www.dvd4arab.com

ضابط مرور أو رخامة موظفة محليات أو كسل طبيب إستقبال فى مستشفى عام. وسط هذا الزخم الهائل من القوة والبطش والفوضى أصبح الباحثون عن الحب غرباء ، طوبى للغرباء..

ثانيا : فى ذم الحب

نكران أو قدح الحب هنا لا يأتى من الكفران به أو عدم تقديره لكنه نابع من شدة جراحه ونوبات آلامه التى تطحن فى دورتها القلوب وتعصر المشاعر. ذم الحب إنبثق عقب تذوقه والإكتواء بلذعاته الحارقة ، لذعات تأتى من مجرد استرجاع الذكرى كما كتب أحدهم (ذكريات كدابة).

وهذا سائق يهتف (حب إيه يا غلبان مفيش بنت لها أمان) ويقول آخر (حب إيه يا جاهل مفيش بنت تستاهل) ويقول ثالث (مفيش إخلاص) ويقول رابع (خلاص مفيش إخلاص). إنها التجربة بكل معطياتها وتدفقها وتداعياتها.

لا يأتى رأى بلا خبرة مسبقة ، لقد خاضوا غمار الحب لكنهم وقعوا فى شرك الخيانة ولم تقابلهم بطول الطريق أشجار الإخلاص أو أيك الصدق فكفروا بالحب وبأهله وخرجوا ليعلنوا تجاربهم ونتائجها فوق كتابات التوك توك. هذا يجعلنا نتفهم معنى عبارات مثل (كلهم خاينين) و (حب وخداع والكل بياع) و (منهم لله) و(عيون كدابة). ورغم رأيهم الصعب فى الحب إلا أن الأمر لا يخلو من بعض التعقل والرقى الفكرى حيث يحاول بعضهم دراسة التجربة الفاشلة ويثير تساؤلات علها تكشف عن أسباب هذا الفشل الذى لن يفد فى هذا الوقت ولكنه قد يساعد فى التجربة القادمة فنجد عبارات تقول (غلطة مين) و (مين باع مين) و (بعت ليه). ثم لانلبث أن نلج إلى المنطقة الشائكة التى تجرنا لها دائما العبارات لنجد ألغاما من الكلمات الصادمة مثل تلك الجملة التى تقول (راحت حبيبتى منى)، إنه ينتهج نهجا جديدا فى ذم الحب وهجاء الحبيب ، لقد ضاعت (منى) منه فلم يبث شجونه بهدوء أو حتى غضب لكنه إختار أن يفضحها فوق صفحات التوك توك بإفشاء إسمها ، هكذا تصبح كل (منى) متهمة بتورطها فى علاقة عاطفية مع هذا السائق وتزداد الأمور ضيقا وصعوبة على كل (منى) تعيش بالقرب من صاحب هذا التوك توك حيث ستصبح موضع شك لا محالة. ثم ننتقل إلى عبارة شائكة أخرى تقول (خلعت دبلتى وبعت دنيتى) إنه القنوط بكل وجوده وسطوته ، فشل ذريع وتجربة

عنيفة لم تدع للفتى مفرا من بيع الدنيا بأثرها ، يأس ثقيل ، لا أمل فى القادم ، لا محاولة أخرى ولاعزم أو عزيمة. إنها تجربة قصيرة ، ربما لا تتعد الخطبة بدليل خلعه للدبلة وحديث (الدبل) يكون دائما فى الخطبة ، إذا الأمر لم يصل للزواج حتى تكون ردة الفعل بهذا العنف ، لكنهم أهل التوك توك يحبون بعنف ويفارقون بعنف ويكرهون بعنف. ويصل سائق آخر فى نقده ونقمته على الحب إلى أن يتعهد قائلا (حرمت أحب تانى) وينفس المعنى ولكن بكلمات انجليزية يقول زميله (no love again) ، ماذا سيفعل هؤلاء الشباب فى بقية اعمارهم ؟.

ثالثا : الحال مع الحبيب

يختلف ويتنوع مؤشر الحب تبعا لسلوكيات المحب والمحبوب. تتأرجح عواطف أهل التوك توك كثيرا وتتماوج المشاعر فتلد عبارات سخية وغنية بالتنوع تصف حال سائق التوك توك مع حبيبته. ونستطيع من جديد تقسيم العبارات التى تصف الحال مع الحبيب إلى حزم مختلفة تتلاقى فيها عبارات متشابهة لتلتئم تحت فكرة أساسية. تدور كاميرات أعيننا لترصد كلمات وصيغ الحب فنجد بداية ما يبشر ولا ينفر ، نجد ما يبث بعض الثقة فى صدورنا ويمنحنا دفقة من الإطمئنان إلى صحة وإستقامة العاطفة المصرية وحيوية قلوب أهل التوك توك ، نجد الحب الرقيق الرهيف ، العاطفة الصادقة والمهجة الصافية والوجدان الناعم الباحث عن خلاصة الحب ومعانيه المتينة ونلتقى مع المشاعر الجياشة والنفوس المحلقة التى صبغها الحب وحرقها بنيرانه المستعرة فلم تصرخ ولم تشتك ولم تفسق أو تغدر ولكنها خرجت من الحب أكثر نقاء وصفاء كأنها التبر الذى تخلص بالنيران من خبثه. هذا أحدهم ينطلق بتوك توكه ليلا ونهارا وهو يهمس بهدوء وإنفطار (كان بينا حب) ، ضاع الحب فلا ضجيج ولا عواء ولا فضائح بل صبر جميل وهمس فوق جدران التوك توك يشى عن لوعة وجوى. يلحقه زميله قائلا (حبيبى الأولانى) ويصمت ، لا يزد ولا يفصل لكن الأمر يبدو واضحا إنهم يعانون لكن لا يشتكون ، كأنهم عباد يتلقون صليل العذاب من أجل صرفهم عن الإله وهم صامدون لا يفكرون حتى فى

Looloo
www.dvd4arab.com

التنفيث عما بداخلهم ، يتقبلون الأمر بإيمان راسخ لأنهم يعلمون أن الحب كثيرا ما يقسو على أهله إنها (حكاية كل عاشق). ثم يتدخل أحدهم ويبدو أنه أقل إحتمالا فيتوجه لحبيبه الضائع طالبا منه الطلب الأخير(حبيبى علمنى معنى الصبر). وينطلق غدير البوح هادئا فيتساءل توك توك جديد (إزاى هعيش العمر وأنت مش معايا) إن الأمر قمة فى الصعوبة (أصعب فراق فراق الحبايب) ، فدائما (الوحدة صعبة) ويئن أحدهم قائلا (آه من اللى منى) وعلى نفس الدرب يدخل توك توك آخر ليطمئن الحبيب الغائب أو الضائع أو حتى الخائن أنه لن يتغير وسيظل على إخلاصه (حبيبى تحرم عليا تفرح عنيا بعدك) ويقول زميل له (لو مكنتش نصيبى هتفضل حبيبى) وبالطبع هذا السائق يختلف تماما عن ذلك الذى كتب مخاطبا الحبيب الجديد للحبيبة المشتركة (وهى معاك لسه حبيبتى) رغم قرب المعنى لكن السائق الأول كان يخاطب الحبيبة فى أسى بينما الثانى يخاطب الرجل الجدى الذى دخل حياتها فى تبجح ووقاحة مفرطة. ثم يرثى توك توك آخر على حالة الفراق التى ألمت به ويتوجه لحبيبته قائلا (كان نفسى أكون ليكى) لكن من الواضح أن صعوبات جمة حالت دون الوصل مما يدفع توك توك جديد إلى تقرير هذا الحال الشائك قائلا (صعب تبقى نصيبى). إلا إنهم ورغم الفراق وصعوبة إستكمال علاقة الحب التى من الواضح أن ظروفا كثيرة تعمل على تقويضها يظلون على حبهم ويبثون للحبيبات دلائل تمسكهم بالعهد فيقول أحدهم (فاكرك ومش ناسيك ودايما بفكر فيك) ويقول آخر (قلبى بيسألنى هلاقى زيك تانى فين)و(فكرتك حبيب أيامى) . ورغم حالة الفراق المسيطرة على هذه المجموعة وتقبلهم الأمر كأنه قدر (الفراق قدرى و نصيبى) فإن أحدا منهم لم يفكر أبدا فى كتابة عبارات تقدح فى الحبيب أو تنتقم منه أو تنال من سمعته وقدره. إن هذه المجموعة تبدو كأنها من قبيلة عذرة التى تستمتع بالعذاب بالحب ، أبدا ليسوا مازوشيين ، إن مشاعرهم الحسية متأججة ويقود زمامهم وجدان رائق وفائق يطير مع الحب فى سموات من اللذة الروحية الخالصة ، لكنهم أصحاب أخلاق . وعندما فكر أحدهم فى هجاء حبيبته لم يجد غير هذه العبارة المنحوتة رأسا من جبال الرقة والذوق ليكتبها (مبقتش ملاك) ويلاحقه بنفس النهج زميل آخر قائلا (كنت فاكرك ملاك أتاريك !!!) وعلامات التعجب من عنده ، لم ينبث

بكلمة ، منعه حبه وأخلاقه من مهاجمة حبيبته فقط نزع عنها ثوب الملائكية الذى كان يلبسها إياه بينما ينضم عاشق جديد لهذه المجموعة ويهمس فى حسرة (زمن الملايكة خلاص). هل يوجد أرفع من هذا الخلق ، إنه يبدو أفضل كثيرا من قيس وعنتر اللذين لم يدعا فرصة إلا شبها بحبيبتيهما أما شبابنا فقد سحر الحب عيونهم فجعلهم يحيون على الأرض بينما تحلق قلوبهم فى أعالى السموات مع الملائكة وعندما عادوا من تهويماتهم إلى دنيا الخيانة والفراق لم تختل مشاعرهم أو تتغير قيمهم وسطروا بأدب جم بعض أوجاعهم فنجد أحدهم يقول بهدوء (خلصت الحكاية) ويقول آخر (القلب الحزين) ويهمس ثالث (راحوا الحبايب) وينطوى آخر مع قلبه فى محنته وهو يسأل قلبه (إصبر يا قلبى) بينما يقرر أحد حكمائهم أن (جرح الحب ملهش طبيب).

وأشد ما كتبوا عبارة تقول (كان من المستحيل أنساك دلوقتى حب ومات) . وتظل هذه المجموعة تعانى حتى فى لحظات الوصل واللقاء فنجد أحدهم يقول (اليوم اللى وصلته فيه النوم استغنى عنى). بينما يتجه عاشق آخر شاكيا برومانسية خارج الحصر إلى حبيبته ما يحدث له كلما إلتقاها (حبيبى أنا بضعف أدامك- قدامك- كل ما بسمع كلامك) ورغم أن هذا المحب قد يبدو راغبا فى عدم تحدث حبيبته أمامه حتى يتخلص من نقيصة الضعف فإن حبيبا آخر يفاجئنا بوضع معاكس ومغرق فى الحب عندما يقول(لحظة سكوتك بيوحشنى صوتك). وعندما نصل إلى نهاية هذا الجدول العذب الصافى والذى من شدة رقته لا نريد أن نودعه فإننا نجد عند النهاية عبارة رائعة كتبها أحد المحبين تقول (سلام عليك يا سحر العيون)... ثم ينقلنا التوك توك من حال إلى حال فيتغير بنا طريق الكلمات من الحب العذرى الحالم المستعذب للمعاناة والمطمئن للفراق والبعد لنجد أنفسنا أمام حب صلد ومحبين مفعمين بالثقة والمغامرة والتصميم .

نرصد عبارات تدل على الثقة الراسخة فى النفس والحبيب . ونلاحظ نبرة الرفض والمقاومة وعدم القنوط وبوجه عام فهذه المجموعة من التوك توك لا تتنازل عن الحبيب بسهولة ولديها شبه يقين بالفوز بمن تهواه قلوبهم. لا يعترفون بما يعيق الحب أو يكبحه وهذا دليلهم يحبرنا منذ اللحظة الأولى (أنت حبيب العمر) لا فراق أو بعد وحتى فى حالة الفراق

Looloo
www.dvd4arab.com

فإنه لا يسلم بل يعلن (حبك قدر ومكتوب عليا).(ده نصيبك مش هواك) ومع حتمية القدر والنصيب لا يوجد ما يقلق كما أنه يغلق الباب تماما أمام من قد يفكر فى فض عرى هذا الحب أو يحاول التقرب من هذه الحبيبة المرتبطة بحب قدرى مع صاحب التوك توك، وبنفس الطريقة يعلن توك توك آخر شدة حبه وصعوبة تخليه عنه قائلا (سهل أحبك صعب أنساك)، يقول رفيقه (فى خيط ضعيف رابط بيننا وهو ده النصيب).

أفراد هذه المجموعة يبدو أنهم يتمسكون بحقوقهم إلى أقصى درجة ويتمسكون بحقهم فى الحب أكثر وأكثر ، فهذا أحدهم يقول (إستحالة تروح منى) وهذه الإستحالة تتطلب عملا وجهدا وعندا وأحيانا حربا حتى لا يروح الحبيب وهذا يفسر لنا الكثير من قضايا شباب التوك توك وسبب مشاجراتهم ، الثقة فى النفس والإحساس بأن السبيل الوحيد لنيل حقوقهم هو القوة. كما إنهم بإرتباطهم الصلد بأحبائهم لا يستطيعون البعد عن الحبيب لأن ذلك يمثل لهم كارثة إذ يقول أحدهم (بعدك عنى إنتحار) ويأتى الإنتحار من تلك الخطوة الغريبة التى يتخذها هؤلاء الأفراد مع الحبيب والتى يخبرنا بها توك توك منطلق (وقفت حياتى عليك وبس) يبدو أن هذه الفئة لا تحب إلا مرة واحدة فى عمرها وهذا أحدهم يقول (متحرمش العمر منك) ، (إوعدنى هتفضل جنبى). ويحاول شباب التوك من هذه الفئة تصحيح نظرتنا نحوهم حتى لا نعتقد أن هذا التمسك بالحبيب وتلك الثقة تنبثق من عنف أو قسوة أو حب تملك . إنهم يسطرون عبارات تدل على أن سلوكهم هذا ينبع من رقة وعاطفة وحب شديد. لقد اصبح للحبيب تأثير رهيب ودور مهم للغاية فى حياتهم مما يجعل البعد عنه دربا من الإستحالة. هذا أحدهم يخاطب حبيبته برقة فياضة قائلا (نن عينى) ويقول آخر(الدنيا ما تحلاش إلا بيك) ويقول ثالث (معاك أنا بنسى الدنيا) ويقول رابع (هيه اللى فى القلب) ويقول خامس (ياريتنى عرفتك من زمان). ثم تقدم لنا العبارات سببا آخر لشدة تمسك هؤلاء الشباب بحبهم وعدم تفريطهم فيه مهما كانت المصاعب ، إنه سبب وجيه جدا ، ندرة وتميز الحبيبات ، إن حبيبات هذه الفئة يتصفن بخصال لا تتوفر أبدا فى نساء . هذا أحدهم يخاطب حبيبته حامدا شاكرا مقرا بالنعمة (طلبت منك يا رب حبيب بعت لى ملاك) هل يمكن أن يتنازل أحد عن ملاك؟ ويقول سائق ثان (زى الملايكة) بينما يتجه سائق آخر

بكل مالديه من عاطفة وحب ليخاطب حبيبته بطريقة توحى بشدة حيرته وإعترافه بعدم القدرة على قنص الوصف لهذه الحبيبة التى تفوق الوصف فيقول لها بتسليم (خايف أسميك بحر الناس تغرق فيه) بينما يؤكد سائق أخير هذه القاعدة قائلا (أصل كل واحدة بتختلف عن التانية).

فى المجموعة التالية من العبارات يتخذ الحال مع الحبيب وضع الغضب والإنفعال. ويأتى هذا الغضب من تصرفات الحبيب الممجوجة مثل الخيانة والغدر وعدم تثمين هذا الحب وتقديره بقيمته. تبدأ العبارات بهمس وهدوء وأسى مثل (أعز ما ليا غدر بيا) و (متبكيش يا قلبى على اللى جرحونا). ثم تأخذ النبرة فى الإرتفاع فيقول أحدهم صارخا - يمكننا سماع الصرخة من شكل الحروف المنقوشة بوحشية فوق مؤخرة التوك توك- (الغدر طبعها) يبدو الفتى من عبارته كالمذبوح على عتبة الحب وعلى التو يعضد مذبوح آخر صديقه فيقول لحبيبته (الغدر طبعك). هذا الغدر رغم بشاعته وتمزيقه لأوصال العلاقة فإن خسائر شباب التوك توك لم تقف عند هذا الحد ، لقد أتلف الغدر مشاعرهم ونكس وهدم تلال الحب فى داخلهم وحولها إلى أودية من الكراهية لذلك نجد أحدهم يصرخ فى وجه حبيبته بحنق قائلا (من غدركم كرهتكم) ، عندما يتحول الحب إلى كره فلابد أن طعم الغدر كان لاذعا. بينما يدخل توك توك آخر إلى حلقة النقاش لكنه يبدو أكثر تماسكا وثقة فهو لا يصرخ ولكنه يتجه إلى الحبيبة الخائنة برأى صادم ، لا يوجد ما يمنعه بعدما حدث ، فيقول لها (مجنونة) ربما لأنها تركته وهو لا يعتقد أنه يترك ومن تقدر على ذلك فلابد أن بها خللا عصبيا ، ثقة. وبنفس الثقة الزائدة بالنفس يخاطب توك توك آخر الحبيبة (خسرتينى) هو حكم بذلك وبالطبع لا تسنح لنا الفرصة لمعرفة رأى الحبيبة ويقول زميله (مالكش فى الطيب).وبنفس الطريقة يهجو سائق آخر حبيبته قائلا (ختك على عيبك) ولم يبين لنا هذا السائق ما هو هذا العيب ولماذا رضى بحبيب معيوب وإذا كان صبر على هذا العيب من قبل فما هو الدافع الذى ألم به ليجعله يمن على حبيبه ويفضحه فوق صفحات التوك توك الآن ، لماذا لم يدع حبيبته فى أمن وهدوء؟ . ثم يظهر حبيب يعزى نفسه فى ضياع الحبيبة ويبدو كمن يبحث عن مكسب وسط هذه الخسارة فيقول (إنتى اللى جبتيلى الكلام)، وعلى العكس من هذه الطريقة الخشنة فى توديع الحبيب الضائع تظهر عبارات جديدة أكثر أدبا

Looloo
www.dvd4arab.com

وتسامحا مثل (دايما ظالمنى) ويستمر قطار الرقة فى تقدمه حتى نصل لعبارات شديدة التسامح مثل (مع تحياتى لمن دمرت حياتى) ولقد إقتبس بعض الذين نجحوا فى حبهم هذه العبارة وأعادوا صياغتها لتصبح (مع تحياتى لمن غيرت حياتى).

وتأخذنا عبارات الحال مع الحبيب إلى حال جديد من أحوال أهل التوك توك مع أحبائهم فنجد أنفسنا مع حالة طريفة وعبارات تختلط بالمرح وخفة الدم. كلمات ممزوجة بالدعابة والبسمة والبشاشة تعكس الإطمئنان فى الحب أو البساطة فى العلاقة وعدم القلق مثل هؤلاء الذين يصفون الحبيب قائلين (عسولة أوى والله) و(والنبى سكر) و(شغلاهم) و(الحلوة شغلاهم) و(أحلى منهم) و(حبيبتى) و(قطتى الجميلة) و(علشانك يا قمر) و(يحب القمر) و(قمر الزمان حبيبى). ويتصف أيضا أهل هذه الفئة بالرومانسية والرقة فى عباراتهم فنجد أحدهم يقول (أحلى ما فى السما نجومها وأحلى ما فى حبيبتى عيونها) و(إنت غيرهم).

كما تشى بعض العبارات عن مواقف وأحداث فى حياة المحبين مثل (خبينى) وبالطبع لم يوضح لنا وربما لها هى ايضا تخبئه ممن؟ ومثل (فى عنيك كلام) ، (بحبها وعارفه نفسها) وإن كان الأمر يبدو هنا دعوة للحبيبة بالبوح. وكذلك قول أحدهم (إرجع بقى) ونحن لا ندرى من أين سيعود الحبيب؟ ربما تكون دعوة للوصل بعد الفراق. ثم تظهر نبرة الثقة والإعتزاز كعادتهم دائما فى كل عبارات الكتاب فنجد أحدهم يقول (مش هتعرفنى تكلمينى آخرك تعاكسينى). ثم تدلف بنا العبارات إلى منطقة ضبابية تغمض فيها المعانى ونجد أنه كان من المفيد جدا لو أوقفنا السائق لنسأله عما يقصد وهو ما لم يحدث بكل أسف مثل هذه العبارة التى كتبت بحروف راقصة وضخمة جدا (رافعة حاجبها ومحدش عاجبها) من هى ؟ الله أعلم. لقد كانت هذه العبارة شديدة الوقع على السائقين لأن الكثيرين سجلوها على التوك توك. لكن كيف لاحظ هذا السائق الظريف حركة الحاجب ؟ كيف ميز هذا الحاجب المزجج الدقيق الذى يشبه السيف البتار ، ومن أين له معرفة الحاجب المرفوع من الحاجب المرتخى ؟ لابد أن له حنكة شديدة بتضاريس وجه المرأة ، لابد أنه أيضا تابع هذا الحاجب فترة طويلة لأنه - بالذات هذا السائق- بعد فترة استبدل العبارة بعبارة جديدة تقول (نزلت حاجبها و برضه محدش عاجبها). متابعة غريبة لحاجب ،

كأنها مباراة بينهم وبين الحاجب ، لكن هذه المتابعة وهذا الهوان لم يرق أبدا لمن يشعر بالقوة فقد كتب سائق سيارة نقل ضخمة محتجا على هؤلاء الضعفاء وناهرا لهم قائلا(رافعة حاجبها ومحدش عاجبها علشان بوستوا ركبها). وقبل أن نودع أحوال أهل التوك توك مع أحبائهم تخترقنا عبارة تقول (حسسنى وبلاش تلمسنى) ماذا يقصد ؟ هل هناك ثمة تحرش ؟ هل أحد الطرفين يبحث عن لذة مادية بينما الطرف الآخر يتمسك بالمشاعر والعواطف ؟ إنها إحدى عباراتهم الغريبة والتى مهما درنا حولها لنا نصل أبدا إلى القصد ، إنها إحدى ألغاز التوك توك .

رابعا : الوقاحة فى الحب

أعتقد - الإعتقاد خاص بى- أن كل فكرة تصطدم مع الثوابت القيمة والأصيلة للمجتمع هى نوع من الوقاحة والقباحة. فى مجتمع مازال يتصف - حتى الآن- بالحياء وتعظيم الحرمات واحترام المرأة وإجلال زوجات الآخرين بشدة عندما يقول أحدهم (إنت خطيبها وأنا حبيبها) فهذا غاية الوقاحة وسوء الخلق. هناك حاجز مكون من الدين والعيب والشرف يحجب الزوجة عن قلوب وعيون الآخرين بمجرد ارتباطها بزوج وإنتقالها من منزل والدها إلى بيت زوجها ، دروع وموانع كثيرة تحمى هذه الزوجة وتحتم على الجميع البعد عنها وإلا عد الأمر خيانة مروعة ، فماذا نقول لهذا الذى يسجل على جدار التوك توك الذى لا يتوقف عن الدوران والحركة كأنه نملة خرافية تجوب الشوارع وهى تحمل قولا مخلا ومخجلا مثل (وهى معاك لسه حبيبتى). الغريب أن توك توك آخر كتب (من طبعنا ما نجرحش اللى حبنا) إذا كان هذا هو طبعكم فماذا نسمى هذا التبجح؟ . نعم إن الأمر غاية فى الإتساع والتنوع والعبارات كالمطر مما يعطى الفرصة لبعض الخارجين لسطر بعض الكلمات الآثمة ولكن هذه العبارات الخادشة كانت تحتل نصيبا مفروضا. ثم أنها لم تجد من يواجهها أو يعبس فى وجهها.

أعود من جديد وأعترف بقصر ذات يدى العلمية وعدم قدرتى على إعداد إحصاءات تحدد نسبة هذه العبارات المزعجة إلى غيرها من العبارات لكن الأمر يبدو أنه لا يحتاج إلى إحصاءات أو بيانات فمجرد وجود عبارة واحدة

www.dvd4arab.com

خارجة يعد خدشا كبيرا للذوق العام، إنها عبارة منقوشة كالحجر متحركة كالقمر منتشرة كالوباء تطالعها يوميا مئات العيون مما يجعلها تمثل فوق مئات العبارات ، المصيبة أنها عبارة غير عابرة إنها مسجلة ومحفوظة ومحافظ عليها. وهنا نغص بسؤال جديد من يحمى الذوق العام ؟ هل يقتصر الأمر على المفكرين والمبدعين ورجال الصحافة والكتابة والفن؟ هل الحكومة هى المسئولة أم رجال الدين؟هل تخلو ذمة ضابط وعسكرى المرور من الدفاع عن الذوق العام ؟ لماذا لم يتدخل ضابط المرور فى المنطقة ليوقف هذا التوك توك ويدفعه إلى محو هذه العبارة الآسنة؟ لماذا لم يعترض المارة والركاب والجيران على هذه الكلمات البذيئة ؟ هل الأمر لا يشغل أحدا وهل تاهت العقول وغامت النفوس وسط صراع حياة مادية سخيفة لا تتوقف معضلاتها أبدا. هل ماتت براعم جميلة وإنطفأت ألوان مبهجة فى نفوسنا نتيجة عدونا المجنون خلف أشياء مسعورة كرغيف الخبز وسعر الطماطم وزحام الحافلات العامة وتوفير ثمن درس خصوصى لأطفالنا البؤساء؟ إن الحديث عن الذوق العام والمحافظة على اللغة اليومية التى نتبادلها فى الشارع وفوق شاشات الفضائيات وصفحات الصحف أمر مهم وجاد ، إنها حياتنا وبهجتنا ومزاجنا تماما كالطعام والشراب. إننا إذا صمتنا اليوم عن عبارات التوك توك المسيئة سوف يتطور الأمر غدا إلى أسوأ. ولماذا ننتظر للغد ؟ إن رجال التوك توك وفروا علينا مئونة الإنتظار بتسجيلهم مزيدا من العبارات الزنيمة فهذا أحدهم يهتف بكل تفاهة وسفاهة(بوسة). نعم هكذا (بوسة) إنه يطلبها بكل هدوء وبلا ذرة خجل ويؤكدها زميله بدرجة أعلى من الوضوح والتبجح (ممكن بوسة). ماذا سيكتب هؤلاء فى الغد؟ وماذا سيطلبون؟ الصمت سوف يشجع نزقهم ورعونتهم ويؤجج خشونتهم ويساعدهم على إظهار مزيد من إفرازات القبح والتسمم. ثم نصل فى محطة وقاحة أحباء التوك توك لنجد أنفسنا أمام عبارات الثقة المفرطة المتضخمة دون سبب واضح فنجد عبارات تقول (متدلعش) ، (الدلع مش ليكو) ، (مش هتعرفى تكلمينى آخرك تعاكسينى) بينما يخاطبها فتى آخر قائلا (إنتى نسيتى نفسك) قتل الإنسان ما أكفره. ثم ندخل فى مجال النصائح ولكنها بكل اسف نصائح خارجة تكرس تدمير الذوق العام وتحتاج إلى وقفة صارمة من رجال المرور حتى لا يتطور الأمر ، هذا أحدهم ينصح بظرف سمج (شغل فى المساحات وعاكس فى البنات) كأن هؤلاء البنات من

معسكر الأعداء وليسوا بناتنا ، كأنهن أمر مشاع رخيص وهذا الإعتقاد لديهم شجع توك توك آخر ليكتب (صاحب صاحب ينفعك وما تصاحبش بنت تضيعك) بينما يدخل ثالث ليكتب بكل صفاقة ودناءة (صاحب كلب يحرسك ما تصاحبش بنت تحبسك). لقد غدت صحبة الكلاب أفضل كثيرا من صحبة فتاة ، ولكن لا نلبث أن نقابل عبارة مخالفة تماما وإن كانت تتدثر برداء الفجاجة ووهن الذوق وهى تقول (أصاحب بنت تحبنى وما أصاحبش صاحب يذلنى) ، حيرتونى معكم ، إرسوا على شاطىء . ثم ندلف كالعادة إلى المنطقة الشائكة التى تنوه منا فيها العبارات وتتداخل الأغراض والأهداف والتى أعانى فيها بشدة لتصنيف ما أمامى . هذا أحدهم يهدد (جرح بجرح) لا ندرى هل كتب عبارته بعد الجرح الثانى الذى كان ثأرا للجرح الأول أم أنه يهدد بما سيكون ثم يدركنا توك توك ثان بعبارة غامضة للغاية تقول (دموع فى عيون جافة). العبارة المشهورة تقول (دموع فى عيون وقحة) وهى عنوان مسلسل ناجح للمبدع صالح مرسى أما دموع فى عيون جافة فأمر غريب ثم أن مجرد طفر الدموع يحول العيون الجافة إلى عيون رطبة مبتلة ، كيف يلتقى الجفاف مع البلل هذا ما يدركه فقط أهل التوك توك. ثم نصل لعبارة شديدة الغموض والحساسية تقول (حب ولبن) ، ما علاقة الحب باللبن؟ هناك علاقة عند المصريين بين التصالح والتصافى واللبن ، إنهم يتخذون لون اللبن الأبيض علامة على نقاء السريرة والتخلص من الضغينة فيقال عند التصالح (صافى يا لبن) كما أنهم يعتبرون لون اللبن علامة لشفاء القلوب ونقائها من الكراهية والحقد فيقال (قلبه أبيض زى اللبن) لكن ما الذى يجمع الحب باللبن؟ لا يوجد أدنى صلة من ناحية اللون أو الشكل أو الطعم. ويقلقنى جدا تفسير أرعن يعتقد فى خبث العبارة ووقاحتها إلى أقصى درجة. تفسير يعتمد على وصف يطلقه العامة مستخدمين كلمة اللبن فى أحيان كثيرة لوصف (السائل المنوى) للرجل. تفسير وقح - هذه المرة الوقاحة من عندى- ولكن هل ستكون وقاحتى أقصى وأقسى من وقاحة أهل التوك توك.

خامسا : فلاسفة الحب

هكذا كتب (ترى أيهما أشد إيلاما لحظة الفراق ذاتها أم لحظة الحنين

Looloo
www.dvd4arab.com

بعد الفراق) إستغرق الأمر متابعة شديدة منى وعدة مقابلات لهذا التوك توك ورغم ذلك لم أفلح فى إلتقاط العبارة كاملة . إنها طويلة والثوانى القليلة التى تجمع بين عينى والتوك توك المتحرك لا تكفى لإلتقاط مثل هذا العدد من الكلمات فضلا عن صغر الخط وغموض المعنى. لم أتمكن من رصد هذه العبارة إلا عند خروجى من أحد المساجد لأجد هذا التوك توك يقف أمام المسجد فدرت حوله وتمكنت من تسجيل العبارة بسهولة. لم تكن العبارة السابقة وحدها ، كانت هناك عبارة أخرى تقول (إذا رأيت فى عيون إمرأة نورا فأعلم أن فى قلبها نار). واضح جدا ثقافة ومعاناة السائق ومرارة تجربته. إنها ليست الفلسفة بمعناها النظرى ولكنها نظرة فاحصة ووقفة لإستخلاص بعض العبرة من تجربة الحب. إنهم لم يدرسوا الفلسفة ليضعوا نظريات وتعريفات للحب لكنهم بشر لديهم أفكار وثقافة خاصة وأخلاق غنية فى كثير من الأحيان لذلك إختاروا أن تكون عباراتهم مغلفة بشرائط من الحكمة والعبرة والرقة. هذا أحدهم يهمس بلغة إنجليزية ترجمتها (أنا وحدى فى هذه الحياة لذلك أبحث عن فتاة تضىء حياتى بالحب) ، ندعو له بلقاء مصباحه المضىء. ثم تتوالى عبارات فى شكل نصائح وتوصيات عامة تحمل فى ثناياها دعوة للبذل والسخاء فى الحب والتخلص من مادية الحب ومحاولة الوصول إلى روحه الخلاقة التى تهيم فى عالم من التسامح والأمن مثل (الحب أمانة مش خيانة) و(الحب مش كلمة) و(حب علشان تتحب)و(مش كل حب بينتهى)،لابد من أثر أو ذكرى ،(كان فى الأصل نظرة عين) ،(القلب الكبير بيحب كتير) و(مش مهم تحب المهم تتحب) ثم تختتم هذه الطائفة الجميلة من العبارات الرائقة بعبارة شديدة الروعة والذوق ، عبارة غاية فى السمو والتميز (بحلم لو يوم الناس تحب بقلوبها الناس). ثم تنقلنا العبارات إلى دنيا الهجر والخيانة ولكن فى أدب ورقة مثل قولهم (لما الحبايب تخون يبقى مين هيصون) و(لا أمان لحبيب خان) و (محدش بينجرح أوى إلا لما يحب أوى) و(بعهم يشتروك) و(مسير الغايب يرجع). ثم تحملنا العبارات إلى فيض من النصائح الحكيمة النابعة من تجاربهم الصادقة مثل قولهم (لا بالجمال ولا كتر مال) وهى دعوة لعدم الإغترار بالمال أو الجمال الشكلى . وهى عبارة تصلح نصيحة للمقبلين على الزواج وتبدو كأنها مشتقة من الحديث الشريف الذى لخص بدقة جراح ماهر ما يدور فى ألباب الرجال الباحثين

عن زوجة عندما وضح أن المرأة تتكح لجمالها ومالها ونسبها ودينها ثم زكى صاحبة الدين. يبدو أهل التوك توك مصدقين لهذا الحديث بشدة إذ يقول أحدهم (مش كل البيض حلوين) ، إنه يقصد الحلاوة الداخلية فإذا كانت المرأة بيضاء شاهقة الجمال فإن هذا لا يجزم أبدا بجمالها ، هناك عوامل أخرى كثيرة للجمال غير الشكل. لا يصل لهذه الحكمة الخالصة سوى من عرك الحياة ونال قسطا غزيرا من التجارب ، ولا أدرى من أين لهؤلاء الشباب البسطاء هذه الحكمة النفيسة ، يبدو أن الشباب أعمق وأكثر ثقافة مما يعتقد امثالى. ثم نجد أحد فلاسفة التوك توك يسدى إلينا نصيحة جميلة بهدوء وروية (عاجبك جمالها أخطبها من خالها). لا لف ولا دوران ، أفضل طريق هو الطريق السليم والرسمى ، ودخول البيوت من أبوابها كرامة وشهامة ، إذا أعجبك جمالها فلا داعى للمعاكسة أو البحث عن طريق ملتوى للوصول إليها ، لماذا والطريق المستقيم موجود ، إخطبها فورا وأرح نفسك ووفر عنها المتاعب. الغريب أنه يطالبنا بخطبتها من خالها ، نعم الخال والد وهو يقوم فى أوقات كثيرة بدور مهم للأسرة لكن الخطبة دائما تكون من الأب ، إنها قرار صعب وخطير لابد أن يتخذ من أعلى مسئول فى الأسرة، فهل الأب فى هذه الحاله غير موجود ، هل هو على سفر أم أنه متوفى أم أنه يقضى عقوبة فى السجن ؟، للأسف لم توضح العبارة. ثم تأتى كالعادة عبارة شائكة غائمة يصعب كشف كنهها وهى فى هذا الموضع تقول (شارب الحب طول عمره خسران) ، ماذا يعنى بقوله شارب الحب ، هل يريد الغارق فى الحب كأنه يشربه صباح مساء ، هل الحب يشرب كالماء أو كالخمر أو كالدواء ومن اين أتت الخسارة ؟ لم يوضح ولم أستوضح؟؟

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل العاشر

استوب
إحنا التوب

Looloo
www.dvd4arab.com

«ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض و لكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير(٢٧) وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد (٢٨) ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير (٢٩) وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير(٣٠) وما أنتم بمعجزين فى الأرض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير (٣١)

سورة الشورى
قرآن كريم

Looloo
www.dvd4arab.com

يقول سائق توك توك (واثق فى خطوتى ملك فى مشيتى) ، النفس البشرية تميل غريزيا إلى شهوة الظهور وحب المدح. لا أحد يريد السير فوق أديم الأرض ، الكل يريد أن يتعلق فى السماء ويزاحم النجوم ، الكل يضخم فى ذاته بحق أو كذب ، ينجح البعض بالعمل الدؤوب والموهبة الصادقة والجدية العنيدة فى تحقيق نجاحات تخلدهم بينما يصاب الفاشلون بداء عضال يمزق أوصال أنفسهم ، تكتسحهم بارانويا ممضة تجعلهم يظنون بأنفسهم الظنون ويضخمون ذواتهم بدرجات عنيفة ، رحم الله امرىء عرف قدر نفسه ، إنه أمر جد عسير. لا ينجو من رغبة الشهرة المتوهجة إلا من استحق الرحمة ، وهم قليل. منذ الميلاد وحتى قبل لحظة الختام بقليل - لحظة إدراك أن كل شىء لم يكن يستحق - نجد المرء يبحث عن الإنتشار وذيوع الصيت. منذ هبط الأب آدم إلى الأرض والذرية بأثرها تعدو خلف طول البقاء وبريق الأضواء ، بحث نشط عن طول العمر بعقاقير وطب وجراحات وأحلام بتجميد الإنسان وحفظه داخل كبسولات خاصة لتتم إعادته إلى الحياة بالتدفئة فى المستقبل. لكن الموت قادر على هزيمة كل هذه البدائيات لذلك لجأ الإنسان إلى البحث عن الخلود بطرق أخرى من خلال الإنجاب وإقامة التماثيل وتسجيل السير الذاتية والنقوش والرسوم وتشييد النصب وإطلاق أسماء الأشخاص على المدن والشوارع. كل يبحث عن البقاء وسعة السيرة وتداول الذكر فوق أكبر عدد من الألسنة ولأطول زمن ممكن ، إنه الإنسان بكل غموضه وغرائبه.

هكذا أيضا أهل التوك توك يبحثون عن الشهرة والذيوع ويقدمون أنفسهم فوق شاشة الحياة اللامعة التى لا يتوقف بثها لحظة ولكنهم فى تدوين تاريخهم وملامح عظمتهم يتبعون أسلوبهم الخاص ، أسلوب أهل التوك توك ، تفرد وتميز..

Looloo
www.dvd4arab.com

يبدو من الوهلة الأولى أن القوم زاهدون فى الشهرة منصرفون عن هذه الأوهام تماما راضون بحياة غارقة فى الدعة والنمطية حيث نجد عبارات تقول (متفكرش فيها) و(سيبونا فى حالنا) و(ياناس سيبونى فى حالى دا القسط شاغل بالى)، (خليها بظروفها) ثم تظهر عبارة كأنها موجهة لى تقول (متشغلش بالك وخليك فى حالك). ورغم هذه العبارة فقد شغلت بالى واعتبرت حال أهل التوك توك هو حالى ، وظللت أطارد التوك توك ما يقرب من عامين أجمع العبارات وأسجلها حتى نشأت داخلى عاطفة نحو التوك توك وأهله وصرت أعد نفسى منهم كما نمت لدى شبه غريزة أو موهبة فى سرعة إلتقاط العبارات وإدراك تكرارها وتميزها. أحيانا كنت ألتقط بداية العبارة ويفلت التوك توك قبل أن أتمكن من قراءتها كاملة لكننى كنت أتمكن من تخمين البقية ، التى كانت تثبت صحتها عند مقابلة التوك توك مرة أخرى.

لم أستجب لنداء هذا السائق وهمنى الأمر جدا. إننى أشعر بشر مستطير وخطر داهم . وسواس قهرى يسرى فى جوانحى يرعبنى من القادم ، اشعر بالمرض المزمن يتقدم بخطى ثابتة كل ليلة ومع مطلع كل نهار ، جسد الوطن يئن تحت وخزات الفشل العام ، علاقات غريبة وتعاملات جافة بعيدة عن التشذيب ، حناجر وحشية عالية دائما وقبضات مشرعة وأسلحة بيضاء وسوداء فى كل مكان. عندما تحدث مشاجرة تافهة ووضيعة فى قريتى نتيجة مجرد تشاحن أحمق بين شابين أجد العائلتين خارجتين عن بكرة أبائهم للإنغماس والدفع والسفك ، وجوه غريبة تحتل مقدمة أجساد هؤلاء القرويين الذين أراهم كأننى أراهم للمرة الأولى ، غضب عارم وبغض فياض وكراهية مكثفة ومركزة ، رغم أنهم كانوا منذ بضع دقائق يتعايشون فى سلام ، سلام كاذب ، المحبط أن أيديهم التى كانت فيما مضى تزرع وتحصد تخلت عن الفأس وزمام البقرة لتنشغل بخنجر أو سيف أو سنجة ، كانت الأسلحة فيما مضى عصى وأغصان أشجار تجرح ولا تقتل أصبحت «سنج وخناجر»، كل بيوت القرية مكتظة بمثل هذه الأشياء ، فقط بيتنا الوحيد الذى ليس به سنجة ، نحن نطلب حماية الأمن إذا كان موجودا ولديه وقت.

يجب أن ننشغل جميعا ونستيقظ جميعا قبل أن ينقضى الوقت وتتحول الحالة المرضية إلى وضع ميئوس منه . لذلك إنشغلت بأهل التوك توك

وكتاباتهم ذلك لأن أهل التوك توك جزء من هذا الوطن الذى نحياه ويحيانا . إنهم شريحة من أهلنا يعيشون معنا ، يقتاتون نفس المعاناة ويشربون نفس الكدر. فليس أقل من أن نسلط بؤرة ضوء ونبذل قليل جهد لفحص بعض أوجاعهم ومعاناتهم. لقد وصلت المعاناة ببعضهم إلى أن يكتب (يا مرحب بالموت ما تشغلش بالك) ، خبر أسود ومنيل ، مرحبا بالموت ، ما هذا اليأس والقنوط ؟ كيف لا أشغل بالى بقطعة عزيزة من قلب الوطن ، الشباب..

بإستثناء هذه العبارات البسيطة الخالية من الغرور أو الكبر كان هناك سيل عارم من عبارات مدح الذات وتضخيم القيمة الشخصية والإستعلاء الذى ليس له حد. فى البداية نجدهم يتحدثون عن تميزهم وتفضلهم دون حتى أن يحددوا أسبابا حقيقية لهذا التميز أو تلك الرفعة ، فقط نجد أحدهم يقول (إستوب إحنا التوب) بالطبع دون أن يقدم أدنى توضيح لهذه القمة وطبيعتها ومسالك الوصول إليها . إنهم هناك فقط لأنهم يستحقونها حيث يقول أحدهم (أصل إحنا كده) ويقول ثان (إحنا الأساس وعلمنا كل الناس) ويقول ثالث (إحنا مش زى حد ومفيش حد زينا) . ولا أجد فى متابعتى ذرة علم قدموها للناس ولكنهم يشعرون أنهم أساتذة وبقية الخلق تلاميذ ويؤكد ذلك قول أحدهم (أنا الناظر يا تلامذة) ويقول زميله (تعالى عندنا وإتعلم منا) ويقول آخر (قرب إتعلم) ولا نكاد نلبى نصيحته حتى يفاجئنا زميل له قائلا (حاولوا متقلدوناش) فماذا نفعل ؟ ويأتى توك توك جديد ليرسم لنا خريطة الإبحار إلى هذا العالم الغامض فيقول فى تحذير(اللى أدنا يمشى جنبنا) وإذا حاولنا أن نوضح أننا بمثل قدرهم ويمكننا المشى بجوارهم نجد زميلا لهم يصرخ فى وجوهنا (إوعى تنسى أصلك) ويهدد آخر بصرخة ودفعة (حاسب يا عم الرجولة فى الدم) ويصعقنا زميله (خلاص راحت عليهم) بينما ينهى زميل آخير الحوار قائلا (معرفش أجامل). ويستمر نبع التميز فى التدفق فنجد عبارات المدح والزهو مسطورة بكثرة مفرطة كأننا فى سوق عكاظ لتخليد الذات حيث تغمرنا عبارات متتالية تمجد الذات مثل (ابن الأكابر) ،(كان منه وخلص) و (كان منى وخلص) و(هو راح هو جه - جاء- هو واحد بس) ويختتم توك توك هذه الثورة الهائجة من تضخم الذات بعبارة ضخمة تقول (الكبير كبير). ثم تحاول بعض العبارات تقديم تفسير وطرح حصال

www.dvd4arab.com

للتميز عن الآخرين حيث نجد لافتة واضحة وقوية تقول (نحن نختلف عن الآخرين)، وتقول عبارة أخرى (قلب ميت مش كبرياء) ، هل يعتد بالقلب الميت سببا للإختلاف والتميز؟ ربما يسرى ذلك فى دنيا الإجرام. بينما يقدم توك توك آخر سببا مختلفا وغريبا إذ يقول (الصمت لغتنا والدم لعبتنا) وهى نبأ لو تعلمون عظيم، الصمت فضيلة لا يجترىء عليها أحد وهو تميز وإكتمال فى كثير من الأحايين ولكن ما علاقة الصمت بالدم؟هل هذه عبارة للفخر أم شروع فى جريمة ؟. وفى نفس سياق التهديد والوعيد نجد عبارة تقول (إن خف جسمه كفايه رسمه) و يقول آخر (أنا البراوية ومحدش يقدر عليه) ويبدو أن البراوية عائلة المذكور وهو يختزل العائلة فى شخصه ويرفع تهديده فى وجه الجميع ، تحدياً للآخر الذى ربما ليس له أدنى علاقة بالسائق ، تحد غريب.

ثم تأخذ حدة الكلمات فى الإنكسار وتظهر نبرة لينة ولكنها فى نفس درب الشعور بالتميز فنجد أحدهم يقول (هوايته صيد الغزلان وتربية الفرسان) ويقول آخر (الكرم أصلنا والنزاهة طبعنا) ويفتخر ثالث (الرجولة بتاعتنا والأسفلت سكتنا) ويقرر رابع (رجعت تانى سلطان زمانى) ويقول خامس (إحنا العالم الرايقة) ويقول سادس (إحنا الأصل والباقى فى الفصل) وهذا يلخص لنا أحد أهم محاور دنيا التوك توك ، التسرب الدراسى ، حيث يترك تلاميذ الإبتدائى والإعدادى فصول الدراسة للخروج إلى قيادة التوك توك ، هل الجلوس فى الفصل يجلب ثلاثين جنيها فى نهاية اليوم ؟ ويقول آخر (أصلنا وفصلنا والأبيض قلبنا) والفصل هنا يختلف ، إنه العائلة والنشأة ، ونتمنى أن يعود اللون الأبيض إلى كل القلوب ، ويزهو سابع بجلده وتحمله قائلا (إحنا زى ما إحنا عمر الزمان ما جرحنا) ويؤكد هذا الشعور توك توك آخر (مهما انجرحنا إحنا زى ما إحنا). ثم ينفرد توك توك بتقديم سبب يبدو مقبولا ووجيها للتميز عندما يقول (نحن نكون حتى لا يتنمرد الآخرون) لكن القضية من يحدد مدى هذا التنمرد وكيف يمكن منعه ؟ إنها جمرة الرعب التى تصطلى فى صدور عشاق هذا الوطن من ذلك اليوم الكريه الذى يخشاه الجميع ، ذلك اليوم الذى ستندلع فيه شرارة الفوضى لينطلق الجميع بلا (خارطة للحب) وبلا خطة للعمل من أجل تطبيق ما يظنونه صحيحا وسليما ومفيدا للوطن تحت بند منع التنمرد أو التمرد ، من يستطيع أن يحدد هذا الخط الوهمى

بدقة وعقل؟ . لا يمكن أن يسلم الوطن لأولئك الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أبدا لن تكون الفوضى مفيدة أو نافعة ، إنها السلطة الغائبة التى نعانى جميعا من وهنها ، إنها قبضة الحكم المتراخية بالشيخوخة والترهل والفساد والإستبداد فتترك لكل من تلسعه نوبة عقلية يطبق ما يعن له ثم تبدأ هى فى وضع المسكنات وتوصيف الأمر بسطحية وثقة ليس لها أصل ، إن النيران متأججة بشدة أسفل الرماد . ثم تنقلنا العبارات إلى وجه آخر للتميز هو (العمومة). والعمومة علاقة إنسانية فريدة وتليدة لها بعدها الإنسانى والعائلى. العمومة نبع عاطفة وفيض تواصل ومعين عطاء ، دائما يسند وجود العم مسيرة الوالد ويقويها ، دائما العم حاضر بقوة ووهج دافىء وفى حالات غياب الوالد يقوم العم بدور الأبوة بتضحية وأثرة لأبناء أخيه ولكن العمومة فى عالم التوك توك بعيدة كل البعد عن هذا المعنى السامى. إن العمومة فى دنيا التوك توك تكاد تقترب من معناها الغبى الذى يطلقه المغتربون على (الكفيل) الذى يكفلهم فى دول الخليج ، إنها تعنى التفضل والتملك واحتكار القوة والإستعلاء وربما يصل معناها إلى حدود الكبر. هذا توك توك يقول بخط ضخم واضح وبإيجاز له حضوره (عممهم) فقط عممهم لا أكثر ولا أقل ثم يترك لنا حرية فهم ما وراء ذلك كما يعن لنا ثم تنفرج الكلمات قليلا مع توك توك آخر يقول (عمهم وبس) ويزداد إنفراج الكلمات أكثر ولكن بزيادة فى جرعات الخشونة والقبح عندما يقول توك توك جديد (إحركوا وإفركوا أنا برضه عمكوا) الحرك والفرك كناية عن فقد القدرة على تغيير الوضع بينما يتفضل توك توك آخر بتقديم حيثيات عمومته قائلا (طول ما إيدى فى بقهم - فمهم - هفضل عممهم). ثم تظهر عبارة متفردة ونادرة حيث يعتز فيها أحدهم بالمحافظة التى يقطنها حيث كتب يقول (طول ما العجلة شغاله الشرقية بتجيب رجاله) ، لم يفعلها أحد آخر ، يبدو المكان غائبا تماما عنهم ، لا يوجد بينهم من يفتخر بقريته أو مدينته أو حتى وطنه ، غربة ليس لها حدود .

ثم ندخل إلى المنطقة الشائكة الواقعة فى مؤخرة كل مجموعة من العبارات - كأن كل ما مضى لم يكن شائكا - تلك المنطقة التى تصلح جميع عباراتها للإصطفاف تحت لافتة الوقاحة والقبح والتى تصل فى بعض الأحيان إلى ما يشبه الجريمة فنجد توك توك يقول (هتترسموا

www.dvd4arab.com

عليا هدوسكم برجليا) هل يوجد ما هو أشرس وأخشن من هذه العلاقة بين فتى صغير يخاطب ركاب يأتيه الرزق من جيوبهم أو مارة لا علاقة له بهم بتاتا ؟. وهل نتصور منظر هذه الأقدام العفية التى تدوس وتسحل فقط لشبهة الإعتقاد بأن أحدا يستعلى ويتكبر عليها ؟ ، إنه رد فعل مجسم وديناميكى لفعل هلامى صامت غير محدد ويحتمل الكثير من الأراء. إنه قصر البال ونضوب الصبر. ثم يخترق توك توك بديع هذا المارثون التاريخى عندما يقول (يا صاحبى إحنا غلابة بس ساعة الشر بنبقى غابة) ، قوة وقدرة هائلة فى إطلاق الصفات دون وجل أو خشية لوم ، ما يعن للعقل يكتب، لا خوف من مراجعة أو نقد أو حتى عتاب ، ساعة الشر ، ما أتعسها من ساعة حيث تفور الأعصاب وتغلى الدماء فى الشرايين وتغبر السحنة وتصل مراكز العقل ، فى تلك الساعة الشؤم يصير هذا السائق غابة كاملة بكل هوامها وزواحفها وأخطارها. ممنوع الدخول أو الصيد. ثم نصل للنهاية فنجد فى انتظارنا حرائق ونيران حيث يقول أحدهم (لا نار ولا حريق أبو عادل على الطريق) ولذلك لا يستدعى أحد المطافىء ، إنها ليست نيران ، إنه ابو عادل يمر ، كان الله فى عون عادل ، كيف يعيش مع مثل هذا الأب ؟

تقديم الذات من خلال قضايا خاصة :

يقول (لو سألت العذاب يحب مين حيشاور على أنا) هل يوجد تكثيف للتعاسة أبدع من ذلك ؟ إنهم أهل التوك توك لكنهم يختلفون عن المجموعة الأولى الغارقة فى محيط الذات ولا ترى من حولها ، هؤلاء يتحدثون عن أنفسهم أيضا لكن بطريقة مختلفة قد تبدو مقبولة ومستساغة إذا قورنت بالإندفاع والقبح السابق . إنهم هنا يرفعون فوق الجدران التى يمتلكونها بعض أوجاعهم ويبثون بعض ما يمرح فى أعطافهم من ألم ومحن ، على عكس سمت مركبتهم المتكور حول نفسه وكأنه بيضة مغلقة على جنينها لا تنبىء أبدا عن ملامحه نجدهم ينشرون صفحات شجنهم الخاصة أمام الأعين رغبة فى المشاركة والتواصل . إن المبتلى دائما فى حاجة ليد حانية وكلمة شافية وقلب وجل ، قد يساهم فى تخفيف العنت. إنهم يبحثون من خلال تقديم أنفسهم عن كلمة طيبة أو نظرة شفقة أوعلى الأقل درء سهام الحسد مثل هذا الذى يقول (يا ناس سيبونا فى حالنا كفاية اللى جرى

لنا) و(أمانة عليكم سيبونى أفوق لروحى وأعيش حياتى) و (بص لى بإبتسامة وإدع لى بالسلامة). معظم عبارات هذه المجموعة تقدم معاناة مريرة من الزمن أو الناس أو جدب الحياة وصلفها فنجد عبارات تقول (يا خسارة الحلو لما تبهدله الأيام) ،(وحدانى والدنيا مش مسعدانى) ،(صبرت كتير)،(صابر يارب)،(أكتب وسطر الألم) ، كأنه يحدثنى ،(فينا اللى مكفينا تعبنا وشقينا)،(اللى فينا مكفينا) ، (كلنا مجاريح) ، (الجريح) ، (جروحى كتير والسبب طيبتى) كأن الطيبة أصبحت عورة وضعفا ثم أخيرا يكتب أحدهم بتكثيف صارخ (المظلوم). وتتحدث هذه المجموعة كثيرا عن الدموع ، دموع الفراق والفقد أو عبرات القهر ، أحزان المصريين بمدى عمرهم أوسع بكثير من أفراحهم مثل قولهم (دارى دموعى يا عين) و(مات أبو قلب طيب) كأنه نعى لأحد الأعزاء ، و (القلب بيتألم ولا يتكلم). ثم يسلمنا نهر العبارات إلى رقعة غاية فى الأهمية والتفرد ، إننا نجد أنفسنا أمام قضية العصر ومرض الساعة الذى يئن منه المجتمع المصرى عامة والشباب فيه خاصة ،آفة (الغربة) تلك الجرثومة اللعينة التى ضربتنا بقوة فى العقود الثلاثة الأخيرة لنجد أنفسنا غرباء داخل الوطن ، أعنف وأقسى أنواع الغربة ، ما الذى يدفع شابا لكى يسطر فوق مركبته التى يذرع بها الشوارع ليلا ونهارا (صعبان عليا عشان مفيش حد ليا) و(حد سأل عليا) ويكتب آخر (محدش حاسس بيا) ويكتب ثالث (لمين همعيش) ويكتب رابع (إنسان بلا روح) ويقول خامس فى تسول يقطع القلب (بس لو كلمة حلوة) إلى هذا القدر خشنت وقبحت كلماتنا، أين ذهبت الكلمات الحلوة ؟ ويقول سادس كأنه يقدم خلاصة رائعة ومكثفة لشريط حياته كاملا (غربة وسهر ، شغل وسفر) ويكتب خامس تلخيصا لأوجاع كل الذين خرجوا وغرقوا فى رحلات الرعب والفزع فى البحر الأبيض خلال مراكب بدائية للوصول إلى الفردوس الأوروبى فلم يصلوا ولكنهم قد يلحقون بالفردوس الإلهى فى العالم الآخر كتب صديقهم التوك توكى يقول (عشقت السفر من ظلم البشر) وأكد صديق آخر رغبة الهروب رغم عدم قدرته على ذلك (لو كنت طير كنت هجرت). ثم نصل لختام هذه الحزمة من العبارات لنجد أنفسنا على عكس كل ما قابلناه فى رحلتنا معهم عندما كنا نجد أنفسنا أمام كلمات صلدة وعبارات خشنة شائكة تنتمى إلى عالم الوقاحة فإن الأمر هنا مختلف حيث نجد الرحلة الأخيرة

Loloo
www.dvd4arab.com

من عبارات وصف الذات وعرض بعض ما يشغلها تميل إلى نزعة المزاح وخفة الظل . هذا أحدهم يقدم نفسه قائلا (شاب تاب بعد رحلة عذاب) وهنا يجب أن نعتنى بما فى هذه العبارة من تضاد بين مرحلة الشباب التى هى مستهل للرحلة بينما سائقنا هذا قد أنهى رحلته العذابية ووصل إلى مرحلة أخيرة دفعته إلى التوبة ، ولا يعنينا هنا سبب التوبة أوما سبقها من آثام لكن الغريب حديثه عن رحلة منتهية ، كيف وهو فى البداية ؟، هل بلغ العجز بشبابنا درجة الشيب فى بدايات أعمارهم ؟ ، ذلك خطب عظيم . وبنفس الطريقة ولكن بدرجة مقبولة وعقلانية يقول آخر (كان شقى وربنا هداه) . ثم تتوالى عبارات مدح النفس فى طرافة فيقول أحدهم (كبرنا وعجزنا وسيبناها لتلاميذنا) و رغم أعراض المزاح وعلامات الدعابة التى تسيطر على العبارة و شدة الثقة بالنفس التى تجعله فى موضع الرائد الذى خلف أجيالا من التلاميذ إلا أن كلمة (عجزنا) تدمى القلب و تطفىء دفء المرح ، عجز فى سن الشباب ، من فعل بنا وبشبابنا ذلك ؟ ويقول أحدهم (لو الشطارة رتب كان زمانى لواء) ويقول آخر (الدائرى لعبتنا والصحراوى شغلتنا) رغم أن التوك توك لا يسير فوق الطريق الدائرى ولا يذهب إلى الطرق الصحراوية ، ربما فورة الطموح ، ويقول ثالث (النزاهة طبعنا) ويؤكد رابع (مهما الدنيا تتغير أنا ما أتغير) ويفتخر خامس (متعودتش أندم على حاجة خسرتها) بينما يتواضع سادس (لا مال ولا غنى ده من فضل ربنا) بينما يطمئننا توك توك أخير على نفسه وكأنه ينفى كل معاناة زملائه (عايش مرتاح وأديك شايف) ، نتمنى ذلك ، ولكن يبدو أنه يتحدث لأحد الحاسدين الموتورين أو المختلفين معه. ثم نصل إلى مصب نهر الكلمات بصحبة عبارة غاية فى الخصوصية عندما يقول أحدهم (بناتى أغلى ما فى حياتى) والرائع فى هذه العبارة هى الإفتخار والحبور بإنجاب البنات فى مجتمع ذكورى من قمة رأسه لأخمص قدميه يقدس ويعلى من شأن إنجاب الذكور ، ربنا يسهل ..

تقديم النفس بروح الدعابة :

هذه المجموعة من العبارات تواصل نفس الرحلة التى قطعتها العبارات السابقة ولكن الأمر هنا مختلف قليلا حيث تسيطر على الكلمات روح المرح وخفة الظل التى يتميز بها المصريون عامة والشباب خاصة. إن الشباب الذى يعمل على التوك توك فى مرحلة تتميز بالإنطلاق والثقة مع

محدودية فى تحمل المسئولية فلا توجد زوجة أو حتى مشروع قريب للزواج وليس هناك أطفال أو ملتزمات مادية كبيرة كما أن إنشغالهم بالقضايا العامة أو أوجاع الوطن يكاد يكون معدوما، الهموم قد تكون قليلة نوعا لذلك نجد عبارات هذه المجموعة تدور وتتجول فى الحديث عن النفس بسجية صافية لحد ما. ورغم المسلك الواحد فى سطر العبارات إلا أننا نجد هنا تنوعا كبيرا حيث يقدم كل سائق نفسه بصورة تختلف كثيرا عن زملائه أو كما قال أحدهم (كل واحد وخياله). عبارات كثيرة هنا تتكون من كلمة واحدة غالبا صفة أو لقب لصاحبها ولا يخفى علينا أن فئة السائقين والحرفيين عموما تميل كثيرا لإطلاق ألقاب على أنفسها قد تكون غريبة أو صادمة وقد تبدو مستساغة عند سماعها ولا تخلو من المبالغة والإسراف مثل هذه العبارات التى تقول (كايدهم) ، من هم؟ لم يحدد ، و(الزلزال) و (اللفاف) و (حنكوشة) و (البطل) و (بكار) و(العو) و (الأمريكى) و (المدمر) و (الديزل) و (المكافح) و (العملاق) و(دراكولا) و (غزالة) و (فالنتينو) .

ثم تظهر كلمة واحدة مكتوبة بحروف ضخمة وتحتل الجدار الخلفى للتوك توك والذى يمثل الصفحة الرئيسية للكتابة هى أكثر ما أثار دهشتى فى هذه المجموعة حيث تقول (بن لادن) هكذا بكل جرأة وبلا خوف أو رهبة وسط مجتمع يرتعب من ذكر كل ما له علاقة بالإسلام السياسى خشية إثارة إنتباه عيون الأمن المنبثة فى كل مكان ، جسارة يحسد عليها هذا السائق ، كما أنه كتبها بالطريقة العربية التى تنزع حرف الألف من كلمة إبن ولم يسجلها بالطريقة المصرية التى تثبت غالبا حرف الألف ، هل هذا إعجاب بالرجل أم إيمان بفكره أم أنها خاطرة مرت بعقله فسجلها دون أن يكون وراءها شيئا ؟ كما أن العبارة إستمرت - ومازالت - تحتل مكانها فوق جدار التوك توك دون أن يتعرض السائق لمضايقات أو يصدر له أمر بإزالتها فى نفس الوقت الذى يصادر فيه الأمن أية عبارة تقول (الإسلام هو الحل) ، الأمن له طريقته الفائقة فى تقييم الأشخاص ، ويعلم جيدا الفرق بين من يتكلم بلا خطر ومن يتكلم ويكمن كل الخطر وراء أكمة حديثة.

ثم تظهر عبارات تتكون من كلمتين مثل (إصحى للجنتل) و (الخفاش الطيب) ما هو وجه الجمال فى الخفاش حتى يتخذه أحدهم لقبا ثم هل

www.dvd4arab.com

هناك خفاش شرير وآخر طيب؟ ثم نجد عبارة تقول (كرشة الصغير) وطوال بحثى لم أجد أثرا لكرشة الكبير ، ربما هو لا يعمل فوق التوك توك ثم يتوالى سيل العبارات المعتزة مثل (أبو الأيامة) و (أنا الفارس) و (النمر الأسود) و(عودة الرايق) و (عودة مزيكا) و (العايق مرتاح) و (تيتو الرايق) و (الأصل عرباوى) و (العفريت وصل) و (قلب ميت) علامة الشجاعة وعدم الخوف.

ثم يتحول التوك توك لصفحة حوادث حيث يسجل أحدهم عبارة تقول (دريكة السبب) ولم يحدد الجرم الذى تسبب فيه هذا الدريكة ولم يتسن لنا معرفة حقيقة دور دريكة و هل هو مدان حقا أم أنه برىء ، إننى أشك أن دريكة فعلا السبب ، سبب ماذا ؟ مش مهم ، المهم أن شخصا يدعى دريكة لابد أن يأتى من ورائه شر مستطير ، وهل تأتى الدريكة بخير؟ كما يتوجه أحدهم بتهديد يفيض بالحنق والغضب (هتدفع الثمن) ومرة أخرى نقول أن شخصا يكتب مثل هذه العبارة فوق مركبة تتحرك فى الشوارع العامة لابد أنه يعانى من غبن ممتد ومضن، وأخيرا يقول أحدهم (القبطان الثلاثة) هم ثلاثة أصدقاء ، أعجبهم لقب قبطان فمنحه صديقهم السائق لهم ، لكن مع الأسف لم تسعفه اللغة ليفرق بين الجمع والمفرد ولم يستطع الحصول على جمع كلمة (قبطان) فلزقها كما تراءى له ، يبدو لى تقريبا أن جمع قبطان قباطنة ،عساها صحيحة وإلا تكون فضيحة. ثم تنمو الكلمات ويزاد طول العبارات فنجد كتابات (الواحد وبس) حيث تظهر عبارات لا حصر لها تقول (كريم واحد وبس) و (حماده واحد وبس) وهكذا لا يريد كل فرد منهم أن يتكرر ثم هو يؤمن بإخلاص أنه لن يتكرر ، وهل تتكرر الفلتات؟ لكن أغرب ما كان فى هؤلاء (البسيين) واحد منهم يقول (الأبيض كتير بس أنا الكبير) وهى نظرة عنصرية تعتمد على تمييز أصحاب اللون الأبيض وإن كان السائق لم يفتخر باللون بل تجاوزه إلى الكبر وبالطبع هو لا يقصد كبر السن بل كبر القيمة و المقام كما يقول آخر (حواوشى واحد بس) وهذا أجد أنه على حق تماما فى بسيته . ثم تأخذ العبارات فى عرض قضايا خاصة بأصحابها فنجد (إحنا أصل الدلع) و(عودة ابن الليل) و(لا داعى لوداعى) و(زاميكا عاشق المستحيل) و (وش السعد يا سعد) و (كيمو من الهند ما يحبش العند) و (الطيار و ربك الستار) و (لما ربنا أمر رجعت زى القمر) و (ولد ابن ولد على الشقاوة

اتولد) و (هما دول ولاد حوه) و لا أدرى هل هو ينتسب إلى أمنا الأولى أم أن العائلة تحمل هذا اللقب ؟. ثم يقول أحدهم مفتخرا (أنا الطيب إنت مين) وأمام هذا لا أستطيع إلا أن أقول له أنا الشرير !! إن الطيبة أبدا لا تقدم بهذا الصلف والتحدى لكنه العنف حتى فى تقديم الخلال الحميدة وهذا أيضا ما دفع أحدهم ليقول (آه يا بلد مفيش ولد غيرى) و رغم روح الوطنية وحب الوطن و التى لا نراها عند أهل التوك توك كثيرا إلا أن تقديمها بهذا الصراخ وتلك الثقة المفرطة يجعلنا نشك فى قيمتها وربما عدم وجودها من الأصل. ثم نجد عبارات متنوعة مثل قول أحدهم (للذكرى و التاريخ على كوكب المريخ نحن الصواريخ) وهى كتابة نمطية خالية من الإبتكار أطلت علينا من زمن فائت عندما كانت تسطر على جدران المدارس والفصول فى زمن ما قبل التوك توك. وهى كتابة بسيطة وسطحية تعتمد على موسيقى الكلمات أكثر من إعتمادها على المعنى. ثم يقدم أحدهم إعلانا غير مدفوع الأجر عن نفسه قائلا (على ميه وفصله سته تمورة فى كل حته) وهو يتأثر هنا بمحطات الإذاعة وترديداتها أما تموره فهو لقبه أو ترخيمه . وبنفس الطريقة يقدم أحدهم نفسه قائلا (حياة إكس مش ممكن تنتهى أبدا) وهى جملة ختامية فى أحد أفلام الممثل الكوميدى فؤاد المهندس . ثم يشيد أحدهم بنفسه وأصدقائه قائلا (الثلاثة العظماء الشرقاوى و شيكو والغرباوى) وأنا لا أعرف أبدا سر عظمة هؤلاء الثلاثة - لم يوضح - ولا أعرف من منهم الذى يقود التوك توك ؟.

ثم يقدم أحدهم وصفة رائعة و ترياقا لجلاء النفس ومسح الكرب عندما ينصحنا (إن كنت متضايق إركب مع الرايق) ، أظن لو صدق هذا السائق لركب معه كل الشعب المصرى. ثم يحملنا أحدهم إلى صورة فنية مبدعة تجعلنا نتجول مع الكلمات المسطورة فوق التوك توك إلى عوالم جميلة وبعيدة وتشد أذهاننا إلى عبقرية وإبداع شباب التوك توك وتدعونا لمزيد من الدراسات العلمية الواعية لهذه الظاهرة المعجزة حيث يقول أحدهم (الحوت فى الغريق وكتكوت على الطريق) تأخذنا العبارة إلى البحار الواسعة حيث الأعماق السحيقة والأمواج العالية والمياة شديدة الزرقة والحيتان الضخمة التى تعيش فى هذه الأعماق ثم تسحبنا سريعا إلى الطريق حيث (كتكوت) - لقب السائق - صغير يقود توك توك يمكن

Lusies
www.dvd4arab.com

للحوت الضخم أن يبتلعه.

ثم تتحول جدران التوك توك إلى صفحة للشكوى والأنين عندما يقول أحدهم (الشيخ وعفرتو منهم لله) ولقد توقفت كثيرا أمام هذه العبارة وأنا أتساءل عن قدر الجرم الذى فعله هذا الشيخ ورفيقه عفرتو حتى يسجل هذا السائق تلك الشكوى المريرة ، تمنيت لو حزت من الشجاعة ما يمكننى من إيقاف السائق لسؤاله ، لكننى أبدا لم أفعل ، الشجاعة تحتاج دائما لقلوب صلدة . ثم تأتى عبارة الختام لتفتح جرحا فى قلبى وفى قلوب كل المتيمين بهذا الوطن الذى يتأرجح كمريض ضربت الجراثيم بؤر الإتزان فى جمجمته ، عبارة واحدة لم تتكرر ولم تجد أبدا عبارة أخرى تشد من أزرها ، ظهرت كعبارة لقيطة كأنها نبتة صيفية ظهرت وسط حقل للحنطة التى تبزغ فى الشتاء ، نبتة مخالفة ليس هذا أوانها رغم أن لها بذورا كثيرة مدسوسة فى تربة الحقل لكنها لم تنبت لأسباب كثيرة قد أدرك بعضها وقد لا أدرك ولكن كل ما أعرفه أن لهذه البذور الحق تماما فى أن تنبت وتترعرع وتشرع سيقانها فى الهواء وتشرئب نحو الشمس بكل حرية ، تقول هذه العبارة (هو ده أبانوب الصغير)،بحروف صغيرة منكسرة وعلى إستحياء وكأنه يسرق ولا يكتب فى مساحة يملكها ، كأنه كتبها لتقرأ فى الظلام و يخشى أن تفضح عيون النهار وجودها ، هو ده أبانوب الصغير ، ولم يتحدث أبانوب الكبير عن نفسه مطلقا ، لم يظهر له أثر فى عالم التوك توك ، أفهم أن كرشة الكبير لا يهتم بالحديث عن نفسه لكن لماذا يفعل أبانوب وإخوته ذلك ؟ لم تظهر عبارة تحمل إسم مسيحى آخر ؟ كنت أتمنى لو أوقفت السائق وسألته لماذا لم تسطرها بحروف واضحة منمقة ؟ لماذا تكتبها وكأنك تخفيها ؟ كنت أريد أن أصرخ فيه لماذا لا تعلن عن نفسك كما أعلن الآخرون عن أنفسهم ؟ لماذا لا تعلن أسرتك و أصدقائك عن مكنوناتهم فوق جدران التوك توك كما يفعل الجميع ؟ لماذا أيها الأحباء ؟ ألا تعلمون أنه وطنكم كما هو وطن الأخرين. كنت أريد أن أفعل لكننى خشيت ألا يصدقنى أبانوب أو يظن أننى أسخر منه٠٠٠٠

الفصل الحادى عشر

كن واقعيا واطلب المستحيل

Looloo
www.dvd4arab.com

قول السائق : (محدش بيختار مصيره الكل عايش على جرح غيره)، لقد حاولت ألا أكون من هذا الكل ، جاهدت ألا أعيش على جرح أهل التوك توك ، لم يكن هذا العمل سوى مشاركة لهم فى الألم ومواساة لهم من بعض الأوجاع ، أتمنى أن أكون كذلك وألا أكون زدت الجرح إلتهابا .

قال لى الكثيرون من الذين عرفوا أننى أجمع عبارات التوك توك لا تشغل ذهنك بهذه الكتابات الساذجة ، كانت حجتهم أن أهل التوك توك لا يدركون معنى ما يكتبون ولا يعنون ما يسطرون وأن الأفكار التى تدور فى رأسى حول هذه العبارات لم تتطرق أبدا إلى ألبابهم ، إنهم يسجلون ما يعن لهم من عبارات دون قصد أو فكر كما أن المتخصصين فى الإكسسوارات والكتابة فوق الجدران لديهم عبارات جاهزة يعرضونها على السائقين ليختاروا ما يشاءون . لكننى كنت أعتقد بغير ذلك ، لا يوجد إنسان يسجل عبارة فى موقع ثابت ومستقر مثل جدار التوك توك ثم يحمل هذه العبارة ويدور بها أمام آلاف العيون دون أن يدرك لها معنى ودون أن يقصد شيئا محددا من وراء هذه الكتابة ، ثم إن تجدد العبارات وتنوعها لا يمكن أن يكون نتيجة جهد مجموعة صغيرة من الخطاطين ، الأمر أكبر وأثقل من ذلك ، إنها ثقافة وفكر شعب قدر الله عليه منذ الأزل أن يكون نبعا لا يفيض للحضارة والفكر والتجديد ، تدور السنوات وتتحرك الأرض ويحبل التاريخ ويلد ويتلون ويهتز ويستقر ، تضعف الدولة أو تقوى ، يصيبها الهوان أو تدركها القوة ويبقى الشعب يمتلك الحكمة وخلاصة المعرفة ، إنها الآن ليست المعرفة الصحيحة ، معرفة العلم والكمبيوتر والهندسة الوراثية والنووية ولكنه يمتلك القدرة والرغبة فى الحصول على المعرفة الخالصة التى يشربها مع مياه النهر رغم أن النهر تلوث واغتصب

www.dvd4arab.com

إلا أن الحكمة مازالت موجودة وإن كانت تلوكها الشوائب وبعض الخزعبلات إلا أن ذلك ليس عيبا أبدا فى الشعب ولكنه وزر وإثم هؤلاء الذين يحكمون هذا الشعب . إن أمة تسرق خيراتها بشراسة وشراهة منذ الأزل ، منذ عهد سيدنا يوسف الذى طلب أن يكون وزيرا للمالية لأنه لا يثق فى من حوله وتستقر فى العيش وتواصل البقاء فوق صفحات الحياة هى أمة حكيمة ، إن أمة قدرها سيطرة اللصوص دائما على المقدرات ثم تجد ما تأكله هى أمة حكيمة ، رغم مرارة هذه الحكمة وخنوعها فى العقود الأخيرة. أبدا ليست عباراتهم إعتباطا ، إنها حكمة وفلسفة وخلاصة للحضارة والفكر. حكمة وعبرة ، ولكنها حكمة التوك توك وعبرة سائقيه ، بكل ما فى التوك توك وفيهم من تميز وغرابة وجنوح . تدور عبارات الحكمة فى رحاب مساحات شاسعة وتغطى تجارب متنوعة .

عن الحلم والمستقبل يقول أحدهم (كن واقعيا واطلب المستحيل) كيف يمكن ذلك ؟ ، هل يستطيع أحد على ظهر البسيطة أن يكتب هذه العبارة سوى سائق توك توك مصرى ، إنها عبارة تشبه أشياء كثيرة فى مصر ، لا قاعدة واضحة ولا قانون للأشياء ، فقر مدقع واستثمارات ضخمة فى الساحل الشمالى ، عشوائيات رهيبة وأكبر بلد إستعمالا للمرسيدس فى العالم ، دخل محدود وإنفاق مضاعف ، وبالتالى فلا عجب أن تكون الواقعية هى طلب المستحيل . ثم تأخذنا رياح الواقعية الحقيقية فى أحضانها فنجد عبارات تقول (كله فى أوله صعب) ، (كله بثمنه) ، (كله مردود) ، (كل شىء مكتوب) ، (أول خطوة فى المشوار) ، (ممكن بس إزاى) ، ولهذا الأخير الذى يبحث عن وسيلة أو طريقة للتقدم والريادة يجيبه توك توك قائلا (اللى عايز الحلو يصبر على مراره) ويقول آخر (عايز تبقى كويس عامل الناس كويس) وهى دعوة كريمة لحسن الخلق وجودة المعاملة ويقول آخر (خليك جرىء وعوم فى الغريق) وهى دعوة إلى المغامرة والإقدام وقوة المحاولة بينما يقول توك توك أكثر خبرة (عايز تعيش وتشوف وشك يكون مكشوف) .

وعن العيش والمعيشة تدور عبارات كثيرة مثل (العيب مش فى العيش - الخبز - العيب فى اللى كلوه) وهى نظرية مصرية خالدة لا يضارعها نظرية فى أى مكان بالعالم ، نظرية الرضا بالمقسوم وجلد الذات والتمرغ فى تراب الميرى ، رغم رداءة وعدم صلاحية الخبز المصرى الذى صار يحتوى فى

مكوناته ما يعد من الغرائب مثل المسامير والصراصير والأحجار فإن هذا السائق لا يرى غضاضة فى هذا الخبز ويتهم الناس وهى عبارة يستطيع وزير التضامن الإجتماعى الإستعانة بها بكل يسر وغبطة فى الرد على من يهاجم رغيف الخبز . ويقول آخر (آخرة الشقاوة عيش و حلاوة) وهذه العبارة بدورها تستطيع وزارة الداخلية اتخاذها شعارا لمحاربة الجريمة والخروج على القانون ، فمن المعروف أن من يتم احتجازه قيد التحقيق يقوم ذووه بادخال الخبز والحلاوة إليه فى محبسه ليس ابتهاجا ولكن لسهولة تمرير هذا النوع من الطعام ، ويقول توك توك جديد (الدنيا اتقل خيرها والناس باعت ضميرها) ، ويقول آخر (غريبة الناس) بينما يحسبها سائق آخر ببساطة ووضوح قائلا (اللى يحبك حبه) .

ثم تنقلنا العبارات المركزة والمكثفة إلى معاناة إنسانية جديدة عندما تتحدث عبارات كثيرة عن الخيانة والنذالة فيقول أحدهم (عاتب الأصيل ولومه والندل له يومه) وبنفس المعنى ترد عبارات كثيرة مثل (عاتب الراجل ولومه والندل سيبه لما ييجى يومه) ، (اللى نسى اللى فات خسارة العتاب فيه) ، (عتاب الندل اجتنابه حضوره يشبه غيابه) ، (عايز تعرف أصلك إفتكر ماضيك) ويلخص توك توك جديد كل المعاناة ويضع حلا ناجعا فيقول (الناقص بناقص منه) ، ثم نصل إلى هذا النص الذى وجدته مكتوبا على الجزء الخلفى لأتوبيس عمال ، قابلنى كثيرا ولم أستطع نقل الكلمات لأنها كانت صغيرة ومهتزة حتى ساقتنى الأقدار ذات يوم إلى (موقف سيارات) فوجدت هذه الحافلة متوقفة فتمكنت من نقل النص بسهولة ، يقول كأنه يلقى موالا أو أغنية شعبية (خسيس عمل سيئة يقصد بها عندى - عنادى- ، عملت أنا طيبة ، شوف الفرق بين دى و دى). ثم تنتقل العبارات إلى قضية تتعلق بحسن الخلق والمعاملة المثلى فترد عبارات تقول (قدر تتقدر) ، (الإحساس نعمة واللى يكره يعمى) ، (الخواجه قال لك ما تصعش عشان حقك ما يضيعش) لا أدرى هل الخواجه قال ذلك أم لا ؟ هل الخواجات يعرفون كلمة الصياعة ؟ ، (الطيب طيب لنفسه) ثم نعثر على جملة غاية فى التجرد والدقة ، كأنها مصباح باهر يكتسح ظلام الأخلاق البشرية عندما تقول (ما المؤدب فرود والمجنون مجنون بمزاجه) قانون دقيق ونص واضح ينتصر لصاحب الأدب ويمنحه حقه فى أن يكون (فرود) متقدما وبارعا بينما يضع الحجاب

www.dvd4arab.com

عمن يدعى الجنون ويرتكب الحماقات ويسىء الخلق تحت نزعة الإندفاع والغضب والجنون ، لا قيمة لكل ذلك لأنه يفعل هذا (بمزاجه) لا حجة لمخطىء .

وفى مجال النصح والدعوة تقول العبارات (قول - قل - لآكل الحرام يخاف) ، (احترم الطريق يحترمك) ، (لا تفكر فى الأمر ودع الأمر لصاحب الأمر) ، (الإستقامه أيامه) ، (كل قصير مقير - يقصد مكير) بالطبع ليس هذا حكما قاطعا، فكم من طويل أشد مكرا .

ثم ترد عبارة باللغة الإنجليزية تقول trust no one مرة أخرى نعود إلى أزمة الثقة المفقودة لدى هؤلاء الشباب وهذا أحدهم يصرخ لا تثق فى أحد ويؤكد سائق آخر انعدام الثقة فيقول (ما يقلقش منك إلا اللى أقل منك) لماذا ؟ يجيب آخر (كله بتاع مصلحته) ، ثم يقول أحدهم (إتك على عقلك) والمعنى غامض ، ربما يقصد التعقل والإتزان ، وربما يقصد الإساءة للمخاطب بوصفه أن عقله خفيف مضطرب فيطلب منه (الضغط) على هذا العقل عله يتعقل . ثم تتوالى نصائح عامة مثل (استرجل) بمعنى كن رجلا وأنضج ، ومن أهم صفات الرجولة الشجاعة والإقدام وإذا لم يتوفر للمرء ذلك فإنه يشبه الصنف الأخر وهذا ما يؤكده أحدهم عندما يكتب (إذا كنت خايف حط أحمر شفايف) ، ويقول آخر (الهادى ربنا معاه والأصفر منه لله) والمقصود بالأصفر هو القلب المريض المتلىء بالحقد والغل . ثم تظهر نصائح متعلقة بطبيعة عملهم وحركتهم فوق الطريق فنجد (الطريق ملعب والكل بيلعب) ، (الأسفلت ملعب والكل بيلعب) ، (الغلط لحظة والندم سنين)، (الطارة - الإطار- دوارة والغلطة بخسارة) ، (العجلة من الشيطان رايح فين إنت غلطان) ، رايح فين إنت غلطان ، هل توجد عبقرية فى وصف للحركة أروع من ذلك ، الحكمة تقول العجلة من الشيطان وجاء هذا السائق المبهر ليلحق بها مقطعا كأنه كاميرا ترصد حركة خاطئة لمركبة تسير بجواره ، كأننا نشاهد الطريق المزدحم وتصل إلى آذاننا أصوات آلات التنبيه الغاضبة ونرى ذلك الذى يتحرك بتعجل وضد قواعد السير ليفلت من الزحام ، الله يفتح عليك أيها السائق ، ثم يكتب مبدع آخر (إزاى أمشى عدل والسكة معوجة) .

ثم نصل إلى عبارات متنوعة فنجد عبارة تحض على التواضع تقول (لو إنت كبير الله أكبر) ، وعبارة غاية فى الإبداع والبلاغة تقول (كتير الكلام

كداب) إنه لم يقدم شيئا ملموسا ويريد أن يكون متميزا وقيما فيلجأ إلى الثرثرة وسفك الكلمات ليثبت لنفسه حقا ليس لها ، يكثر من الكلام فيزداد كذبه . ثم ترد عبارة عن الوصف الحقيقى للخسارة تقول(ما تبكيش على اللى راح ماله ابكى على اللى وقف حاله) وعبارة ثالثة غاية فى التفرد والبلاغة تقول (عندها ثلاثين فستان وبتشكى من الحرمان) ، روشتة رائعة لعدم القناعة وكشف بالأشعة التوكتوكية عن أطماع النفس البشرية التى ليس لها حدود . ثم تقول عبارة تجمع الكثير من خيوط الحكمة وكأنها تجرى على لسان لقمان الحكيم (الرزق فى السماء و الحب فى القلب و الكذب فى اللسان) ثم أجد عبارتين موجهتين لى تقول إحداهما (لو حاولت تفهم مش هتفهم) ، والحقيقة أننى فهمت أشياء كثيرة لكن ما لم أفهمه أكثر ، بينما تهمس الأخرى والأخيرة فى أذنى بحميمية وود ولوعة (خلصت الحكاية) .....

الحمد لله

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل الثانى عشر

مكتوب على توك توك مصر

Looloo
www.dvd4arab.com

ملحق للعبارات التى وردت على جدران التوك توك

١ ابن الأكابر
٢ . إبن المعلم معلم
٣ . أبو الأيامه
٤ . أبويا خيره عليا وأمى نور عينيه
٥ . إتك على عقلك
٦ . إتثان ملهمش أمان الصاحب والزمان
٧ . احترس عسلية مفترس
٨ . احترم الطريق يحترمك
٩ . احذروا التقليد
١٠ . احركوا وإفركوا انا برضه عمكو
١١ . أحسن كلمة تقولها الله
١٢ . أحلى حاجة محدش فاهم/ عارف حاجة
١٣ . أحلى سلاح الأدب
١٤ . احلى كلمة تقولها الله
١٥ . أحلى ما فى السما نجومها وأحلى ما فى حبيبتى عيونها
١٦ . احلى منهم
١٧ . إحنا أصل الدلع
١٨ . احنا الإدارة
١٩ . احنا الأساس و علمنا كل الناس
٢٠ . إحنا الأصل و الباقى فى الفصل
٢١ . إحنا الحكومة
٢٢ . إحنا العالم الرايقة
٢٣ . إحنا زى ما إحنا عمر الزمان ما جرحنا
٢٤ . إحنا صغيرين بس معلمين
٢٥ . احنا مش زى حد ومفيش حد زينا
٢٦ . إختار الصديق قبل الطريق

Looloo
www.dvd4arab.com

٢٧ . إخترت صاحب جديد علشان القديم باعنى
٢٨ . أخرة الشقاوة عيش وحلاوة
٢٩ . ادعيلى يا أمى
٣٠ . أدفعلك كام و تسيبنى أعيش يا زمان
٣١ . إدلعى يا كايداهم المحكمة موجودة
٣٢ . اذا رأيت فى عيون إمرأة نور فأعلم أن فى قلبها نار
٣٣ . إرجع بقى
٣٤ . أرزاق يا دنيا
٣٥ . إزاى أمشى عدل والسكة معوجة
٣٦ . إزاى هعيش العمر وأنت مش معايا
٣٧ . أسأل الله العافيه
٣٨ . إستحالة تروح منى
٣٩ . استرجل
٤٠ . استوب احنا التوب
٤١ . اسمع سمعت الرعد إحنا الصحاب اللى بنحب بعض
٤٢ . إش إش سكساوى وصل الدش
٤٣ . أصاحب بنت تحبنى وما أصاحبش صاحب يذلنى
٤٤ . اصبر يا قلبى
٤٥ . إصحى للجنتل
٤٦ . إصحى يابا إحنا العصابة
٤٧ . أصعب خيانة لما تيجى من الصديق
٤٨ . أصعب فراق فراق الحبايب
٤٩ . أصل إحنا كده
٥٠ . أصل الأصحاب أنواع
٥١ . أصل كل واحدة بتختلف عن التانية
٥٢ . أصلنا و فصلنا و الأبيض قلبنا
٥٣ . أطب لسانك بذكر الله
٥٤ . إعرف صاحبك وإديه على عينه
٥٥ . أعز ما ليا غدر بيا
٥٦ . أكتب وسطر الألم

٥٧ . إكس و كنش كله بيهنش
٥٨ . ألا بذكر الله تطمئن القلوب
٥٩ . إلا رسول الله
٦٠ . الأبيض كتير بس أنا الكبير
٦١ . الإحساس نعمة واللى يكره يعمى
٦٢ . الإستقامة أيامه
٦٣ . الأسفلت ملعب والكل بيلعب
٦٤ . الأصل عرباوى
٦٥ . الأمريكى
٦٦ . البحر طرح ودع مفيش صاحب جدع
٦٧ . البحر واحد و السمك أنواع
٦٨ . البطل
٦٩ . التوك توك المهم للمشوار المهم
٧٠ . الثلاثة العظماء :الشرقاوى وشيكو والغرباوى
٧١ . الجريح
٧٢ . الحب أمانة مش خيانة
٧٣ . الحب زمنه فات والبنات زى المداسات
٧٤ . الحب مش كلمة
٧٥ . الحبوب ملك القلوب
٧٦ . الحدق يفهم
٧٧ . الحكاية فيها أبو على
٧٨ . الحكمدار
٧٩ . الحلوة تفاحة للسفر و السياحة
٨٠ . الحلوة خوخة جت بعد دوخه
٨١ . الحلوة دى مخطوبة
٨٢ . الحلوة شغلاهم
٨٣ . الحلوة لما تتدلع بتخلى الأسمنت يولع
٨٤ . الحلوة منين يا ترى أنا أوطه السكره
٨٥ . الحلوه من الهند و صاحبها اسمه جبار سنج
٨٦ . الحمد لله على نعمة الإسلام و كفى بها نعمة

Looloo
www.dvd4arab.com

٨٧ . الحوت فى الغريق و كتكوت على الطريق
٨٨ . الخفاش الطيب
٨٩ . الخواجة صنعها والباشا دلعها
٩٠ . الخواجه قالك ما تصعش عشان حقك ما يضعش
٩١ . الدائرى لعبتنا والصحراوى شغلتنا
٩٢ . الدلع مش ليكو
٩٣ . الدلع موضة
٩٤ . الدلوعة شهد
٩٥ . الدنيا إتقل خيرها والناس باعت ضميرها
٩٦ . الدنيا أحوال
٩٧ . الدنيا بالمال و الآخرة بالأعمال
٩٨ . الدنيا بالمظاهر بس الأصل ظاهر
٩٩ . الدنيا بتتغير و بتعلى الصغير
١٠٠ . الدنيا بتلهى ناس و تشغل ناس عن ناس
١٠١ . الدنيا حظوظ
١٠٢ . الدنيا دى تجنن
١٠٣ . الدنيا رحلة عذاب
١٠٤ . الدنيا ساعة
١٠٥ . الدنيا علمتنى
١٠٦ . الدنيا غدارة من زمان و الطيبين ملهمش مكان
١٠٧ . الدنيا فى لحظة بتغير
١٠٨ . الدنيا لحظات و الدموع درجات
١٠٩ . الدنيا لقى وفراق
١١٠ . الدنيا ما تحلاش إلا بيك
١١١ . الدنيا مدرسة والشاطر يتعلم
١١٢ . الدنيا مش على كيف حد
١١٣ . الدنيا ملهاش عازة
١١٤ . الديزل
١١٥ . الرب راعى فلا يعوزنى شىء
١١٦ . الرجولة بتعتنا والأسفلت سكتنا

١١٧ . الرجولة فى خطر
١١٨ . الرجولة مالهاش قطع غيار
١١٩ . الرجولة مواقف و الندالة دروس
١٢٠ . الرحمن علم القرآن
١٢١ . الرزق فى السماء والحب فى القلب والكذب فى اللسان
١٢٢ . الرومانسى واحد بس يا خونة
١٢٣ . الزلزال
١٢٤ . الزمن الطيب جاى
١٢٥ . الزمن دوار
١٢٦ . الزمن مش لعبه
١٢٧ . السعادة فى الرضا
١٢٨ . السمك مهما كبر الحوت هو الأصل
١٢٩ . السندريلا
١٣٠ . السنيورة
١٣١ . الشدة تسلم علشان بتبين الراجل
١٣٢ . الشعبطة مليطة
١٣٣ . الشقاوة من عندينا بس ربنا يهدينا
١٣٤ . الشمندورة
١٣٥ . الشيخ و عفرتو منهم لله
١٣٦ . الصاحب اللى يضر سيبك منه
١٣٧ . الصاحب الناقص بناقص
١٣٨ . الصبر طيب
١٣٩ . الصحاب غيارة
١٤٠ . الصحاب فى أجازة
١٤١ . الصحوبية أمانة مش غدر وخيانة
١٤٢ . الصمت لغة العظماء
١٤٣ . الصمت لغتنا والدم لعبتنا
١٤٤ . الطارة دوارة والغلطة بخسارة
١٤٥ . الطريق ملعب والكل بيلعب
١٤٦ . الطيار و ربك الستار

Looloo
www.dvd4arab.com

١٤٧ . الطيارة وصلت و الدماغ فصلت
١٤٨ . الطيب طيب لنفسه
١٤٩ . العايق مرتاح
١٥٠ . العايقة رايقة
١٥١ . إلعب بعيد يا له
١٥٢ . العجلة من الشيطان رايح فين انت غلطان
١٥٣ . العصابة
١٥٤ . العظمة لله
١٥٥ . العفريت وصل
١٥٦ . العمدة راجع يا بلد المواجع
١٥٧ . العمر رحلة سفر و الحياة حدوتة
١٥٨ . العمر لحظة
١٥٩ . العملاق
١٦٠ . العو
١٦١ . العيب مش فى العيش العيب فى اللى كلوه
١٦٢ . العين صابتنى و رب العرش نجانى
١٦٣ . العيون كتير بس رينا كبير
١٦٤ . الغايب راجع
١٦٥ . الغدر طبعك
١٦٦ . الغدر طبعها
١٦٧ . الغريب لو صح أحسن من ألف أخ
١٦٨ . الغلط لحظة والندم سنين
١٦٩ . الغندورة
١٧٠ . الغيرة حيرة
١٧١ . الفراعنة
١٧٢ . الفراق قدرى و نصيبى-الحب
١٧٣ . القبطان الثلاثة
١٧٤ . القلب الحزين
١٧٥ . القلب الكبير بيحب كتير
١٧٦ . القلب بيتألم و لا يتكلم
١٧٧ . الكبير كبير

١٧٨ . الكرم أصلنا و النزاهة طبعنا
١٧٩ . الكلمة مننا و الحلم من عقلنا
١٨٠ . الكون كله مصالح و كلام الناس بقى جارح
١٨١ . الكويس بيتكيس
١٨٢ . اللفاف
١٨٣ . اللهم اضرب الظالمين بالظالمين واخرجنا من بينهم سالمين
١٨٤ . اللهم أعطى الناس ما يتمنوه لى
١٨٥ . اللى أبوه صعيدى ما يخفش
١٨٦ . اللى أدنا يمشى جنبنا
١٨٧ . اللى بيسلك ربنا يسترها معاه
١٨٨ . اللى بيفهم بيريح
١٨٩ . اللى جابته خادته ما وفرتش حاجه
١٩٠ . اللى عايز الحلو يصبر على مراره
١٩١ . اللى عايزيتعلم بيجى
١٩٢ . اللى فينا مكفينا
١٩٣ . اللى متغاظ مننا يعمل زينا
١٩٤ . اللى نايم على ودانه يصحى (الكلام)
١٩٥ . اللى نسى اللى فات خسارة العتاب فيه
١٩٦ . اللى يحبك حبه
١٩٧ . اللى يصعب عليك يفقرك
١٩٨ . المخرج عاوز كده
١٩٩ . المخلص صاحبى
٢٠٠ . المخلصين راحوا
٢٠١ . المخلصين قلوا والغدارين هلوا
٢٠٢ . المدمر
٢٠٣ . المسيح يحبنى
٢٠٤ . المظلوم
٢٠٥ . المقابلة انتهت
٢٠٦ . المكافح
٢٠٧ . الناقص بناقص منه
٢٠٨ . الندل ندل حتى لو حكم بالعدل

Looloo
www.dvd4arab.com

٢٠٩ . النزاهة طبعنا
٢١٠ . النمر الأسود
٢١١ . الوحدة صعبة
٢١٢ . اليوم اللى وصلته فيه النوم استغنى عنى
٢١٣ . آمانه عليكو سيبونى أفوق لروحى و أعيش حياتى
٢١٤ . امشى ورايا أقدرك تعدى منى أزعلك
٢١٥ . إن خف جسمه كفايه رسمه
٢١٦ . ان عشت هذلكم و ان مت الله يسهل لكم
٢١٧ . إن كنت متضايق اركب مع الرايق
٢١٨ . أنا البراوية ومحدش يقدر عليه
٢١٩ . أنا الحب
٢٢٠ . أنا الطيب إنت مين
٢٢١ . أنا العميد يا خونة
٢٢٢ . أنا الغندورة ما تحكيش وسكرة ما تهمنيش
٢٢٣ . أنا الفارس
٢٢٤ . أنا المصرى إنت مين
٢٢٥ . أنا المعلم يالا- إنت بتضحك على أمك - وإحنا بنضحك عليك - اتعلم من المعلم.
٢٢٦ . أنا الناظر يا تلامذة
٢٢٧ . أنا بابا يالا
٢٢٨ . أنا رحت الجيش و سيبت الناس تأكل عيش
٢٢٩ . أنا فى حماك يارب
٢٣٠ . أنا مظبطها إوعى تخبطها
٢٣١ . أنا همام عقل اللى من غير عقل
٢٣٢ . أنا وحدى فى هذه الحياة لذلك أبحث عن فتاة تضىء حياتى بالحب (بالإنجليزية)
٢٣٣ . أنت حبيب العمر
٢٣٤ . أنت خطيبها وأنا حبيبها
٢٣٥ . إنت غيرهم
٢٣٦ . انتباه يا معلمين
٢٣٧ . انتى اللى جبتيلى الكلام

٢٣٨ . إنتى نسيتى نفسك
٢٣٩ . إنسان بلا روح
٢٤٠ . انكش شعرك
٢٤١ . آه من اللى منى
٢٤٢ . آه منها الأيام
٢٤٣ . آه يا بلد مفيش ولد غيرى
٢٤٤ . آه يا زمن على
٢٤٥ . أهى دنيا و عايشين فيها و بس
٢٤٦ . إوعدنى هتفضل جنبى
٢٤٧ . إوعى تجرى ورايا أختك مش معايا
٢٤٨ . أوعى تنسى أصلك
٢٤٩ . إوعى كده
٢٥٠ . أول خطوة فى المشوار
٢٥١ . أيام العذاب محسوبة
٢٥٢ . بالراحة عليا بص للمدفوع فيا
٢٥٣ . بحب القمر
٢٥٤ . بحبك يا عسلية
٢٥٥ . بحبها وعرفة نفسها
٢٥٦ . بحلم لو يوم الناس تحب بقلوبها الناس
٢٥٧ . براحتك يا خفة الإشارة واقفة
٢٥٨ . بس ولو كلمة حلوة
٢٥٩ . بسم الله ماشاء الله
٢٦٠ . بص لى بإبتسامة وادع لى بالسلامة
٢٦١ . بص لى و خلاص بصة بإخلاص
٢٦٢ . بص يا صاحبى وما تغرش ولو غيرت ما تحسدش
٢٦٣ . بطلنا نصاحب حد
٢٦٤ . بعت ليه
٢٦٥ . بعدك عنى انتحار
٢٦٦ . بعهم يشتروك
٢٦٧ . بقت فندق وكلهم سياح

Looloo
www.dvd4arab.com

٢٦٨ . بكار
٢٦٩ . بن لادن
٢٧٠ . بنات عز
٢٧١ . بناتى أغلى ما فى حياتى
٢٧٢ . بوسة
٢٧٣ . بيت الغرام
٢٧٤ . تحياتى لمن غيرت حياتى
٢٧٥ . تركب هسليك تنزل هولع فيك
٢٧٦ . ترى أيهما أشد إيلاما (لحظة الفراق ذاتها أم لحظة الحنين بعد الفراق)
٢٧٧ . تعالى عندنا واتعلم مننا
٢٧٨ . تفاحة آدم
٢٧٩ . تقفيل معلم و محدش يقدر يتكلم
٢٨٠ . تمشى ورايا أقدرك تعدينى أزعلك
٢٨١ . تمنيت الموت فتذكرت دموع أمى
٢٨٢ . توك توك يوصلك و لا تاكس يعطلك
٢٨٣ . توكلت على الله
٢٨٤ . تيتو الرايق
٢٨٥ . جرح الحب ملهش طبيب
٢٨٦ . جرح بجرح
٢٨٧ . جروحى كتير و السبب طيبتى
٢٨٨ . حاسب يا عم الرجولة فى الدم
٢٨٩ . حاولوا متقلدوناش
٢٩٠ . حب أيه يا جاهل ما فيش بنت تستاهل
٢٩١ . حب أيه يا غلبان مفيش بنت لها أمان
٢٩٢ . حب علشان تنحب
٢٩٣ . حب وخداع والكل بياع
٢٩٤ . حب ولبن
٢٩٥ . حبك قدر و مكتوب عليا
٢٩٦ . حبيبه ماشيه بتدلع و عيون الناس هتولع
٢٩٧ . حبيبى الأولانى

٢٩٨ . حبيبى أنا بضعف أدامك كل ما بسمع كلامك
٢٩٩ . حبيبى تحرم عليا تفرح عنيا بعدك
٣٠٠ . حبيبى علمنى معنى الصبر
٣٠١ . حبيبى يا رسول الله
٣٠٢ . حبينى
٣٠٣ . حد سأل عليا
٣٠٤ . حرمت أحب تانى
٣٠٥ . حسسنى وبلاش تلمسنى
٣٠٦ . حضرت الفنانين خلصت المعلمين-شعوذة
٣٠٧ . حطوا ايديكو تحت رجليكو ده وزه هيدوس عليكو
٣٠٨ . حكاية كل عاشق
٣٠٩ . حنكوشة
٣١٠ . حواوشى واحد بس
٣١١ . حوش يارب
٣١٢ . حياة إكس مش ممكن تنتهى أبدا
٣١٣ . خارج عن القانون
٣١٤ . خارج فى ملك الله و راجع بإذن الله
٣١٥ . خارجة وربنا حاميها وراجعة وربنا راضيها
٣١٦ . خاصة برجال الأعمال فقط
٣١٧ . خايف أسميك بحر ، الناس تغرق فيه
٣١٨ . خبينى
٣١٩ . ختك على عيبك
٣٢٠ . خسرتينى
٣٢١ . خسيس عمل سيئة يقصد بها عندى عملت أنا طيبة شوف الفرق بين دى و دى
٣٢٢ . خلاص راحت عليكم
٣٢٣ . خلاص مفيش أحلام
٣٢٤ . خلص الكلام
٣٢٥ . خلصت الحكاية
٣٢٦ . خلعت دبلتى و بعت دنيتى
٣٢٧ . خلى بالك

Looloo
www.dvd4arab.com

٣٢٨ . خلى توكلك على الله
٣٢٩ . خليك جرئ وعوم فى الغريق
٣٣٠ . خليك ديب بلاش تخيب
٣٣١ . خليك فى حالك
٣٣٢ . خليك مغرور لحد ما ييجى عليك الدور
٣٣٣ . خليك على أدك يا حبيبى
٣٣٤ . خلينا أصحاب
٣٣٥ . خلينا أصحاب وبس
٣٣٦ . خليها بظروفها
٣٣٧ . خليها تاكلك
٣٣٨ . دارى دموعى يا عين
٣٣٩ . دايما بفكر فيك
٣٤٠ . دايما ظالمنى
٣٤١ . دراكولا
٣٤٢ . دربكة السبب
٣٤٣ . دموع القمر
٣٤٤ . دموع فى عيون جافة
٣٤٥ . دنيا غرورة بألف صورة
٣٤٦ . ده مالنا و محدش بيسألنا
٣٤٧ . ده مش غنى ده ستر من ربنا
٣٤٨ . ده نصيبك مش هواك
٣٤٩ . دى مش دبابة دى رزق الغلابة
٣٥٠ . إذا كنت خايف حط أحمر شفايف
٣٥١ . ذكريات كدابه
٣٥٢ . راح تفضل لأمتى كده يا غلبان
٣٥٣ . راحت حبيبتى منى
٣٥٤ . راحوا الحبايب
٣٥٥ . رافعة حاجبها ومحدش عاجبها علشان بوستوا ركبها
٣٥٦ . رافعها حاجبها و محدش عاجبها
٣٥٧ . ربك لما يريد
٣٥٨ . ربنا على كل ظالم

٣٥٩ . ربنا لا تجعل مصيبتنا فى ديننا
٣٦٠ . ربنا يحميك من يد ابراهيم الميكانيكى
٣٦١ . رجعت تانى سلطان زمانى
٣٦٢ . رحلة النسيان
٣٦٣ . رحنا وجينا محدش خيره علينا
٣٦٤ . رد الجميل صعب
٣٦٥ . رضاك يا أمى
٣٦٦ . روتانا توك توك مش هتقدر تمشى على رجليك
٣٦٧ . روتانا زمان على الأصل دور
٣٦٨ . زاميكا عاشق المستحيل
٣٦٩ . زمن الخيانة
٣٧٠ . زمن الصحاب انتهى
٣٧١ . زمن العجايب
٣٧٢ . زمن الملايكة خلاص
٣٧٣ . زى الملايكة
٣٧٤ . زيزو سوسو وطى على التوك توك وبوسه
٣٧٥ . سألنا ربنا و إدانا وعيون الناس مش سيبانا
٣٧٦ . سبحان الذى سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين
٣٧٧ . سبحان الله العظيم
٣٧٨ . سفير الغرام
٣٧٩ . سفينة الملوك
٣٨٠ . سلام عليك يا سحر العيون
٣٨١ . سلام ممنوع الكلام
٣٨٢ . سلام يا بلد الكلام
٣٨٣ . سلام يا دولة
٣٨٤ . سهل أحبك صعب أنساك
٣٨٥ . سهلة بس عايزة قلب
٣٨٦ . سوق الصحاب انتهى
٣٨٧ . سولار فى التلك ولا مليون فى البنك
٣٨٨ . سيبنالكو الكلام
٣٨٩ . سيبها لنصيبها

Looloo
www.dvd4arab.com

٣٩٠ . سيبوا عجلها لتجيبوا أجلها
٣٩١ . سيبونا فى حالنا
٣٩٢ . سيما يا دنيا
٣٩٣ . سينما الحياة فاتحة البيبان
٣٩٤ . شاب تاب بعد رحلة عذاب
٣٩٥ . شارب الحب طول عمره خسران
٣٩٦ . شايف نفسك على أيه
٣٩٧ . شخلل علشان تعدى
٣٩٨ . شعوذة
٣٩٩ . شغل فى المساحات و عاكس فى البنات
٤٠٠ . شغلاهم
٤٠١ . شلة مجانين
٤٠٢ . شوفلكوا لعبة
٤٠٣ . صابر يا رب
٤٠٤ . صاحب صاحب يخدعك أحسن من بنت تجرحك
٤٠٥ . صاحب صاحب ينفعك متصحبش بنت تضيعك
٤٠٦ . صاحب صاحبك على حاله
٤٠٧ . صاحب صاحبك على عيبه
٤٠٨ . صاحب صاحبك على عيبه ما تصاحبوش على اللى فى جيبه
٤٠٩ . صاحب كلب يحرسك ما تصاحبش صاحب يحبسك
٤١٠ . صاحبك اللى يحبك
٤١١ . صاحبك مصلحتك
٤١٢ . صاحبى دراعى
٤١٣ . صبرت كتير
٤١٤ . صحابى غدارين مش عارف أصاحب مين
٤١٥ . صعب أديك الأمان
٤١٦ . صعب تبقى نصيبى
٤١٧ . صعبان عليا عشان مفيش حد ليا
٤١٨ . ضاع العمر يا ولدى
٤١٩ . طايش بس عايش

٤٢٠ . طريق أم النور بيسهل لك كل الأمور
٤٢١ . طلبت منك يا رب حبيب بعتلى ملاك
٤٢٢ . طلبنا من ربنا وإدانا و عيون الناس مش سيبانا
٤٢٣ . طول ما العجلة شغالة الشرقية بتجيب رجالة
٤٢٤ . طول ما إيدى فى بقهم هفضل عمهم
٤٢٥ . عاتب الأصيل ولومه والندل له يومه
٤٢٦ . عاتب الراجل ولومه والندل سيبه لما ييجى يومه
٤٢٧ . عاجبك جمالها أخطبها من خالها
٤٢٨ . عاشق أنا وقلبى عنيد
٤٢٩ . عالم سمسم و الكل بيرسم
٤٣٠ . عايز تبقى ريس عامل الناس كويس
٤٣١ . عايز تعرف أصلك إفتكر ماضيك
٤٣٢ . عايز تعيش ما تعدنيش
٤٣٣ . عايز تعيش وتشوف وشك يكون مكشوف
٤٣٤ . عايز صاحبك يدوم صبحه كل يوم
٤٣٥ . عايش مرتاح وأديك شايف
٤٣٦ . عايشين من غير قلوب
٤٣٧ . عتاب الندل اجتنابه حضوره يشبه غيابه
٤٣٨ . عربى بيحبك يا عسلية
٤٣٩ . عسولة أوى والله
٤٤٠ . عشان عصفور اصطادونى و عشان ديب احترمونى
٤٤١ . عشت طيب انجرحت عشت خاين اندبحت
٤٤٢ . عشت عصفور دبحونى
٤٤٣ . عشقت السفر من ظلم البشر
٤٤٤ . عشم مات المعاملة دلوقت خد و هات
٤٤٥ . عضة أسد و لا نظرة حسد
٤٤٦ . عفرتو ملك العفاريت
٤٤٧ . علامة استفهام (؟)
٤٤٨ . علشانك يا قمر
٤٤٩ . على مية وفصلة ستة تمورة فى كل حتة
٤٥٠ . عمر الدنيا ما جرحت حد

Looloo
www.dvd4arab.com

٤٥١ . عملوها الفراعنة
٤٥٢ . عمهم
٤٥٣ . عمهم و بس
٤٥٤ . عمهم و حابس دمهم
٤٥٥ . عميد كلية الحب
٤٥٦ . عميد كلية الحب قسم الرومانسية
٤٥٧ . عندها ثلاثين فستان و بتشكى من الحرمان
٤٥٨ . عودة ابن الليل
٤٥٩ . عودة الرايق
٤٦٠ . عودة مزيكا
٤٦١ . عين بصاصة عاوزة رصاصة
٤٦٢ . عينيك يا ظالم
٤٦٣ . عيون كدابة
٤٦٤ . غاوى حب
٤٦٥ . غدر الدنيا صعب وغدر الصحاب اصعب
٤٦٦ . غربة سهر ، شغل وسفر
٤٦٧ . غريبة الناس
٤٦٨ . غزالة
٤٦٩ . غلطة مين
٤٧٠ .
٤٧١ . غير و لا تحسد
٤٧٢ . فاكرك و مش ناسيك ودايما بفكر فيك
٤٧٣ . فالله خير حافظ
٤٧٤ . فالله خير حافظا و هو أرحم الراحمين
٤٧٥ . فداك أبى وأمى يا رسول الله
٤٧٦ . فكرتك حبيب أيامى
٤٧٧ . فلنتينو
٤٧٨ . فهمت حاجة
٤٧٩ . فوق الكل يا مصر
٤٨٠ . فى أية فى الدنيا تبكى عليه
٤٨١ . فى خيط ضعيف رابط بينا وهو ده النصيب

٤٨٢ . فى صحة الخيانة من غدر السواقين
٤٨٣ . فى عنيك كلام
٤٨٤ . فين المعلمة
٤٨٥ . فينا اللى مكفينا تعبنا و شقينا
٤٨٦ . قدر تتقدر
٤٨٧ . قرب إتعلم
٤٨٨ . قطتى الجميلة
٤٨٩ . قلب ميت
٤٩٠ . قلب ميت مش كبرياء
٤٩١ . قلبى بيسألنى هلاقى زيك تانى فين
٤٩٢ . قمر الزمان حبيبى
٤٩٣ . قول - قل - لأكل الحرام يخاف (مقدمة مسلسل)
٤٩٤ . كان بينا حب
٤٩٥ . كان شقى و ربنا هداه
٤٩٦ . كان فى الأصل نظرة عين
٤٩٧ . كان من المستحيل أنساك دلوقتى حب ومات
٤٩٨ . كان منه وخلص
٤٩٩ . كان نفسى أكون ليكى
٥٠٠ . كانت أيام وعدت
٥٠١ . كانت تمثيلية
٥٠٢ . كبرنا و عجزنا وسيبناها لتلاميذنا
٥٠٣ . كرشة الضغير
٥٠٤ . كريم واحد بس
٥٠٥ . كفاية يا عين
٥٠٦ . كفى نفسك
٥٠٧ . كل جرح و له أخر
٥٠٨ . كل شىء مكتوب
٥٠٩ . كل قصير مقير (مكير)
٥١٠ . كل واحد و خياله
٥١١ . كلام الناس هوايه و ذكر الله كفايه
٥١٢ . كلب يحرصك ولا ندل يحبسك

Looloo
www.dvd4arab.com

٥١٣ . كلمة الله آية ولكل ظالم نهاية
٥١٤ . كلنا مجاريح
٥١٥ . كله بالحب
٥١٦ . كله بتاع مصلحته
٥١٧ . كله بتمنه
٥١٨ . كله فى أوله صعب
٥١٩ . كله مردود
٥٢٠ . كلهم خاينين
٥٢١ . كمل كلامك
٥٢٢ . كن واقعيا وأطلب المستحيل
٥٢٣ . كنت فاكرك ملاك أتاريك !!!
٥٢٤ . كوخه
٥٢٥ . كيدهم
٥٢٦ . كيمو من الهند ما يحبش العند
٥٢٧ . لا إله إلا الله محمد رسول الله
٥٢٨ . لا أمان لبشر
٥٢٩ . لا أمان لحبيب خان
٥٣٠ . لا بالجمال ولا كتر مال
٥٣١ . لا بوش ولا طط الأتوموبيل على الخط
٥٣٢ . لا تربوا و لا دبابة ده توك توك الغلابة
٥٣٣ . لا تفكر فى الأمر دع الأمر لصاحب الأمر
٥٣٤ . لا داعى لوداعى
٥٣٥ . لا دنيا ولا صاحب ولا حد يتصاحب
٥٣٦ . لا كارك و لا فنك إلعب بعيد أحسن لك
٥٣٧ . لا مال ولا غنى ده من فضل ربنا
٥٣٨ . لا نار و لا حريق أبو عادل على الطريق
٥٣٩ . لحظة سكوتك بيوحشنى صوتك
٥٤٠ . لدنيا لحظة غضب
٥٤١ . لسه الزمن زمنى
٥٤٢ . لعبة الحياة
٥٤٣ . للبيع

٥٤٤ . للذكرى والتاريخ على كوكب المريخ نحن الصواريخ
٥٤٥ . لما الحبايب تخون يبقى مين هيصون
٥٤٦ . لما ربنا أمر رجعت زى القمر
٥٤٧ . لمين هعيش
٥٤٨ . لن أطلب الرحمة من أحد ولكن سيأتى يوما لن أرحم فيه أحد
٥٤٩ . لهادى ربنا معاه والأصفر منه لله
٥٥٠ . لو الشطارة رتب كان زمانى لواء
٥٥١ . لو أنت كبير الله أكبر
٥٥٢ . لو باض الديك مش هعديك
٥٥٣ . لو حاولت تفهم مش هتفهم
٥٥٤ . لو زعلان البحر مليان
٥٥٥ . لو سألت العذاب يحب يعذب مين ؟ حيشاور على أنا
٥٥٦ . لو صاحبك خانك اعتبره دخانك
٥٥٧ . لو كان الرزق بالجرى ماكانش حد حصلنى
٥٥٨ . لو كنت طير كنت هجرت
٥٥٩ . لو ليك صاحب بجد ما تخافش من حد
٥٦٠ . لو مكنتش نصيبى هتفضل حبيبى
٥٦١ . لو نام السبع شوية الكلاب يأكلوه
٥٦٢ . لو ناوى تعيش ما تعدنيش
٥٦٣ . ليك يوم يا ظالم
٥٦٤ . ليه الأيام الحلوة عمرها قصير
٥٦٥ . ليه الحاجة الحلوة عمرها قصير
٥٦٦ . ليه تحسدونى أصحابى تعبوا على ما اشترونى
٥٦٧ . ما المؤدب فرود والمجنون مجنون بمزاجه
٥٦٨ . ما بخافش و إنت عارف
٥٦٩ . ما بقاش فيها مبدأ
٥٧٠ . ما بقيتش ملاك
٥٧١ . ما تبصليش بعنيك الإثنين أنا جايه بالسلف و الدين
٥٧٢ . ما تبصليش يا تلانك أنا على فلوس فى البنك
٥٧٣ . ما تبكيش على اللى راح ماله ابكى على اللى وقف حاله
٥٧٤ . ما تجريش ورايا اختك راكبة معايا

Looloo
www.dvd4arab.com

٥٧٥ . ما تخافوش٠
٥٧٦ . ما تزعليش يا غندوره بكره تبقى أموره
٥٧٧ . ما تسلك يا مان وسيبنى أعيش فى أمان
٥٧٨ . ما تطلبش من العبد إنه يدعيلك واطلب من الرب إنه يديلك
٥٧٩ . ما يقلقش منك إلا اللى أقل منك
٥٨٠ . مات أبو قلب طيب
٥٨١ . مات الكلام (عنوان كبير)
٥٨٢ . مازال النيل يجرى يا صحراوى (مطروح)
٥٨٣ . ماشى دايخ فى زمن بايخ
٥٨٤ . مافيا
٥٨٥ . مالكش فى الطيب
٥٨٦ . مالكش فيه
٥٨٧ . متبصش لعجلها لتجيب أجلها
٥٨٨ . متبصليش عليها دا اللى جاى منها رايح عليها
٥٨٩ . متبكيش يا قلبى على اللى جرحونا
٥٩٠ . متحرمش العمر منك
٥٩١ . متددلعش
٥٩٢ . متشغلش بالك و خليك فى حالك
٥٩٣ . متعودتش أندم على حاجة خسرتها
٥٩٤ . متفكرش فيا
٥٩٥ . متقلش رومانسيين إحنا المعلمين
٥٩٦ . مجروح منك يا زمان
٥٩٧ . مجنونة
٥٩٨ . محدش باقى على حد
٥٩٩ . محدش بيبكى على حد
٦٠٠ . محدش بيختار مصيره الكل عايش على جرح غيره
٦٠١ . محدش بينجرح أوى إلا لما يحب أوى
٦٠٢ . محدش بينفع حد
٦٠٣ . محدش حاسس بيا
٦٠٤ . محدش عارف حاجة
٦٠٥ . محدش مرتاح

٦٠٦ . محدش يتكلم أبو منه هو المعلم
٦٠٧ . محكمة الحب
٦٠٨ . محلفانى محدش يركبها تانى
٦٠٩ . مرسى العشاق
٦١٠ . مزاجها تضحك
٦١١ . مسافر بلا هوية
٦١٢ . مستكة المرتاحة للسفر و السياحة
٦١٣ . مسير الغايب يرجع
٦١٤ . مسيرها تروق وتحلى
٦١٥ . مش عاوز كتر كلام
٦١٦ . مش كل البيض حلوين
٦١٧ . مش كل حب بينتهى
٦١٨ . مش مهم تحب المهم تتحب
٦١٩ . مش هتعرف تقلدنى إنت كبيرك تحسدنى
٦٢٠ . مش هتعرفى تكلمنى أخرك تعكسينى
٦٢١ . مش هجرى ولا أدوس زى كلاب الفلوس
٦٢٢ . مش هيصعب علينا حد علشان مصعبناش على حد
٦٢٣ . مشى إيديك شوية
٦٢٤ . مطلوب آنسة للعمل
٦٢٥ . مطلوب مدام للعمل
٦٢٦ . مع أبو جيجى خلص الكلام
٦٢٧ . مع تحياتى لمن دمرت حياتى
٦٢٨ . معاك أنا بنسى الدنيا
٦٢٩ . معانا يارب
٦٣٠ . معرفش أجامل
٦٣١ . معطلكش
٦٣٢ . مغرور يا ابن آدم
٦٣٣ . مفيش إخلاص
٦٣٤ . مفيش حد صالح كله بتاع مصالح
٦٣٥ . مفيش صاحب يتصاحب و لا بقت تتحب
٦٣٦ . مفيش غراب أبيض

Looloo
www.dvd4arab.com

٦٣٧ . ملقتش أصحاب فى مصر بعت أجيب من الصين
٦٣٨ . ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب
٦٣٩ . ملك روحى
٦٤٠ . ملهمش فى الطيب
٦٤١ . ممكن بس ازاى
٦٤٢ . ممكن بوسة
٦٤٣ . من طبعنا ما نجرحش اللى حبنا
٦٤٤ . من غدر الصحاب صاحبت الكلاب
٦٤٥ . من غدركم كرهتكم
٦٤٦ . من غدرهم كرهتهم وهما أعز الأصحاب
٦٤٧ . من غير صحاب أشيك
٦٤٨ . من كان رزقه على الله فلا يحزن
٦٤٩ . من كان منكم فى نعمة فليرعها فإن الذنوب تذهب النعم
٦٥٠ . منك لله يا دنيا يا مفرقة الأحباب
٦٥١ . منهم لله
٦٥٢ . مهما الدنيا تتغير أنا ما أتغير
٦٥٣ . مهما السمك يكبر الحوت هيفضل حوت
٦٥٤ . مهما انجرحنا إحنا زى ما إحنا
٦٥٥ . مهما مشينا العين علينا
٦٥٦ . مين باع مين
٦٥٧ . ناس عيانة من غير عيا
٦٥٨ . نحن نختلف عن الآخرين
٦٥٩ . نحن نكون حتى لا يتنمرد الآخرون
٦٦٠ . نزلت حاجبها وبرضه محدش عاجبها
٦٦١ . نشكر ربنا و نحمده اللى ملقناش حد نقلده
٦٦٢ . نصيحة منى ليك ما تزعلش اللى شاريك
٦٦٣ . نظرة حب
٦٦٤ . نفسى أصاحب راجل
٦٦٥ . نن عينى
٦٦٦ . نور التوحيد
٦٦٧ . هابعها خلاص علشان ترتاحوا

٦٦٨ . هتترسموا عليا هدوسكم برجليا
٦٦٩ . هتدفع الثمن
٦٧٠ . هتدفع الثمن (الكلام)
٦٧١ . هدى أعصابك (كلام)
٦٧٢ . هما دول ولاد حوه
٦٧٣ . هو ده أبانوب الصغير
٦٧٤ . هو راح هو جه هو واحد بس
٦٧٥ . هو لسه فى غدر
٦٧٦ . هوايته صيد الغزلان و تربية الفرسان
٦٧٧ . هى جت كده
٦٧٨ . هيه اللى فى القلب
٦٧٩ . و لا نص كلمة
٦٨٠ . وا اسلاماه
٦٨١ . واثق فى خطوتى وملك فى مشيتى
٦٨٢ . والنبى سكر- الحب
٦٨٣ . وأما بنعمة ربك فحدث
٦٨٤ . وبشر الصابرين
٦٨٥ . وجه كريم
٦٨٦ . وحدانى و الدنيا مش مسعدانى
٦٨٧ . وحشتينى يا أمى
٦٨٨ . وحياة النبى تصلى على النبى
٦٨٩ . وزيناها للناظرين
٦٩٠ . وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم
٦٩١ . وش السعد يا سعد
٦٩٢ . وفى السماء رزقكم وما توعدون
٦٩٣ . وقفت حياتى عليك و بس
٦٩٤ . ولا نص كلمة
٦٩٥ . ولا ولا كتير الكلام قليل الفعل
٦٩٦ . ولأن شكرتم لأزيدنكم
٦٩٧ . ولد ابن ولد على الشقاوة إتولد
٦٩٨ . وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

Looloo
www.dvd4arab.com

٦٩٩ . ومن يتق الله يجعل له مخرجا
٧٠٠ . ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
٧٠١ . وهى معاك لسه حبيبتى
٧٠٢ . يا بخت اللى صاحبه راجل
٧٠٣ . يا بركة دعاء الوالدين
٧٠٤ . يا تهدى وتشوف جمالها يا تعدى وتسيبها فى حالها
٧٠٥ . يا تهدى يا تعدى
٧٠٦ . يا جبل ما يهزك ريح
٧٠٧ . يا خسارة الحلو لما تبهدله الأيام
٧٠٨ . يا دنيا دورى بينا عكس الصحاب تفوت زى التكس
٧٠٩ . يا رب ماليش غيرك و بتمتع بخيرك
٧١٠ . يا رب ياالله مليش غيرك بنام واصحى على خيرك
٧١١ . يا سلام لو الناس تبطل كلام
٧١٢ . يا صاحبى إحنا غلابة بس ساعة الشر بنبقى غابة
٧١٣ . يا صاحبى اللى مش فى ايدك بيكيدك
٧١٤ . يا صاحبى سكتنا مش واحدة
٧١٥ . يا صاحبى لو تسانى ما تنساش الماضى
٧١٦ . يا عم يا اللى انت مش مالك سيب الملك للمالك
٧١٧ . يا عين مالك سيبى الملك للمالك
٧١٨ . يا مرحب بالموت ما تشغلش بالك
٧١٩ . يا نا س سيبونا فى حالنا كفاية اللى جرى لنا
٧٢٠ . يا ناس سيبونى أسدد ديونى وبعدين إحسدونى
٧٢١ . يا ناس سيبونى فى حالى دا القسط شاغل بالى
٧٢٢ . يارب اعيش ذليل رحمتك ولا اذلهاش يوم للناس
٧٢٣ . يارب سترك
٧٢٤ . يارب سترك و رضاك
٧٢٥ . يارب متشمتش فيا حد
٧٢٦ . يارب مليش غيرك
٧٢٧ . ياريتنى عرفتك من زمان
٧٢٨ . يقينى بالله يقينى
٧٢٩ . يهمك فى أيه

٧٣٠ . مازال البحث جاريا عن الرجولة .
٧٣١ . الحب تجارة و أنت فى الآخر خسارة
٧٣٢ . شفت الشقاوة يا روح أمك .
٧٣٣ . عبقرى فى زمن طرى
٧٣٤ . الحب الأولانى مش ممكن يتنسى أبدا
٧٣٥ . يا ناس يا حلوين ما تبصوش بعنيكوا الغدارين
٧٣٦ . هنلعب رياضة والكل هيتراضى
٧٣٧ . طول ما الحقد فى دمك هفضل عمك
٧٣٨ . عسولة بس مشغولة
٧٣٩ . مخاوى الليل
٧٤٠ . شىء غريب لا صاحب و لا حبيب
٧٤١ . دمى و لا دموع أمى
٧٤٢ . الحب تجارة وإنتى فى الأخر خسارة
٧٤٣ . الحب مات بسبب البنات
٧٤٤ . لو الحياة خوف يبقى الموت أفضل
٧٤٥ . الكار ده مش كارنا يارب صبرنا
٧٤٦ . مطرح ماتروح وراها
٧٤٧ . صدقنى خاف مننا عشان مفيش زينا
٧٤٨ . انجرحنا .
٧٤٩ . no love again
٧٥٠ . trust no one

Looloo
www.dvd4arab.com